

كمال النجف



الجزء الثاني

# يَوْمِيَا الْمَغْتَبِينَ وَالْجَوَارِي

## حكايات من لغزاني الأصفهاني



مكتبة دارالسلام

دارالهلل

الناشئ

# يُوسُفُ الْمُغْنِيهِ وَالْحَوْلِيِّ

حِكَايَاتُ مَوْلَى الْأَخْفَانِ لِلَّهِ سَفَرَانِي

(الجزء الثاني)

بقلم  
كمال النجوى

دار الهلال

# الناشئة

الغلاف بريشة : الفنان محمد أبو طالب  
الرسوم الداخلية بريشة : الفنان صلاح بيصار

## مقدمة

هذا هو الجزء الثانى من «يوميات المغنين والجوارى» .. يصدر بعد فترة قصيرة من صدور الجزء الأول الذى استقبله القراء استقبالا حميما ، فأفاضوا عليه التشجيع والاحتفاء ، كما أضفى عليه كبار الكتاب وفضلاء النقاد عطفًا سابغا ، وحيوه بكلمات بليغة مضيئة ، شجعتنا على المسارعة بإصدار هذا الجزء الثانى وهو امتداد للجزء الأول ، واستكمال لقصص المغنين والمغنيات فى العصرين الأموى والعباسى الأول كما ذكرها أبو الفرج الأصبهاني فى «كتاب الأغاني» الذى طالعه القراء العرب القدماء فى الأرض الممتدة بين الأندلس والهند أو الصين ، ولبثوا يطالعونه على اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان أكثر من ألف عام ..

وقد نسجنا هذا الجزء الثانى على المنوال الذى نسجنا عليه الجزء الأول ، ومنهجنا فيهما تسيج وحده فيما نظن ، لأننا لم نقصد به «تلطيف» حجم كتاب الأغاني الضخم ، ولاتجريد من الاسناد والاستطراد ، ولا اختصاره وانتقاء شذرات مما فيه ، ولاتحويل قصصه العبة إلى مادة درامية للشاشة الكبيرة أو الصغيرة أو ميكروفون الاذاعة ، وإنما ذهبنا فى النظر إلى كتاب الأغاني الجليل الشأن مذهبا آخر يعدل بنا عن ابتذاله فى الاختصار والتجريد ، أو تمزيقه تمزيقا مرثيا أو مسموعا فى الصور المرئية أو الكلمات الأثرية .. وقدمناه فى شكل يوميات تكتبها الشخصيات التى عاشت على صفحاته الممتعة أجيالا بعد أجيال ..

وفى الجزء الأول من «يوميات المغنين والجوارى» كما فى هذا الجزء الثانى ، لانتعاقب القصص والحكايات والأحداث كما يتعاقب الليل والنهار ، يوما فى إثر يوم ، وساعة موصولة بساعة ..

فإذا كتب المغنى مذكرات «اليوم الأول» ثم مذكرات «اليوم الثانى» فليس معنى ذلك أن هذين اليومين متعاقبان يأخذ أحدهما بتلابيب الآخر ، ولكن المقصود بالأيام هنا قد يكون سنة أو سنين أو شهورا أو أسابيع أو أياما .. وربما ساعات !

والمهم فى جميع الأحوال أن تترابط الأحداث متجهة إلى هدفها مهما اتسعت الفوارق الزمانية والمكانية بينها ، أو تقاربت ، أو اتصلت بلا فارق فى الزمان والمكان

وقد تمتد يوميات مطرب أو مطربة فوق عشرات السنين ، وقد تنكمش فوق لحظات فى اليقظة أو المنام .

وفى هذا الجزء الثانى نواصل الأسلوب الذى كتبنا به الجزء الأول ، فنحاول الاقتراب قدر المستطاع من أسلوب مؤلف كتاب الأغانى احتفاظا بشيء من رائحة الماضى العطرة .

ولغة مؤلف كتاب الأغانى هى لغة بلغاء القرن الرابع الهجرى الذى كان العصر الذهبى للأدب والفن والفكر ، ومازال أثره باقيا فنيا حتى اليوم لأنه العصر الذى تكونت فيه نفسية الأمة العربية وعقليتها ومزاجها على مثال غير مسبوق ، ومازال هذا التكوين العقلى والنفسى والمزاجى يعمل فىنا عمله ، ولايصح أن نتجاهله ، ولايمكن الغاؤه بمرسوم ، ولايقدر على تعديله وتحويله وتطويره إلا مرور السنين الطوال ..

ونرجو بهذا الجزء الثانى من كتابنا أن نسهم فى توثيق الصداقة التى حاولنا أن نعقدها بجزئه الأول بين القارئ العربى العصرى وبين كتاب الأغانى العظيم الذى قرأته الأمة العربية جيلا بعد جيل .

كمال النجمى

يوميات جميلة

# المغنية الأولى



أنا « جميلة » هذا اسمى ، وهو ايضا صفتى !..  
فأنا - بإجماع الناس - احدى الجميلات فى المدينة ، وجهها وقواما ، ومن  
أظرفهن وأبرعهن أدبا وكلاما ، أما صوتى فأنا فيه الجميلة المتفردة بالجمال كله  
والحمد لله على نعمائه .

ولا أحدثكم كثيرا عن صوتى فاسألوا الناس عنه ، وانظروا اليهم حين  
يسمعون غنائى كيف ينعمون من الطرب ، أو يُغشى عليهم من الوجد !..  
نشأت مولاة فقيرة عند بعض ابناء الانصار فى المدينة ، وبدأت حياتى خادمة  
عندهم ، حتى هيا الله لى ان اسمع غناء مطرب المدينة العظيم « سائب خاثر » ..  
فأخذت عنه الفن وتعلمت الضرب بالعود ، وحفظت ادوارا غنائية لا تحصى حتى  
برعت فى الضرب والغناء ، وسمعتنى الناس فقالوا : ان جميلة هى صاحبة الصوت  
الاجمل فيما سمعنا من اصوات المغنيات والمغنين جميعا

وصرت بما اخذته من غناء سائب خاثر اول مغنية ، تتحرك شفتاها بالغناء  
العربى المتقن الصنعة فى بلاد العرب والمسلمين .. وقال الناس ان جميلة اعلم  
خلق الله بالغناء ، وقال بعض كبار المغنين : أصل الغناء جميلة ، ونحن فروعه ،  
ولولا جميلة وما تعلمناه منها لم نكن نحن مغنين !..

أما أنا فأقول : لولا سائب خاثر لما اهتمت الى الغناء العربى المتقن ، فهو فى  
رأى اول مخترعى هذا الغناء ، ولست الا تلميذته فيه !.. ولم استمع قبله الا الى  
« طويس » .. اول من غنى فى المدينة ، لكن غناء طويس كان على الدَف ، فلم يكن  
يعرف الضرب بالعود ، ولا الغناء المتقن الذى بنى اصوله وقواعده سائب خاثر فى  
المدينة وابن مسجح فى مكة ، وشاركهما غيرهما فى ذلك

وقد سمعت غناء المطرب الفارسى الاصل « نشيط » الذى كان يلح بضرب  
العيدان الفارسية ويغنى بالعربية ، الا ان سائب خاثر هو اول من استبحر فى بناء  
اصول الغناء العربى المتقن على أوتار العود الفارسى بعد ان انطق أوتاره نطقا  
عربيا .. وعن هذا الرجل فى المدينة ، ومن عاصره من مطربي مكة ، اخذ مطربو  
إيامنا هذه صناعة الغناء المتقن وزادوا فيها ونافسونى الا اننى تقدمتهم جميعا !..  
وبما غنى هؤلاء وغنيت أنا صار الغناء العربى الجديد المتقن صرحا بانخافى مدة  
يسيرة ، وتعشقه الناس ، وطلبه الخلفاء والكبراء .



قال لى سائب خاثر يوما وانا اسأله عن اصل صناعته فى الغناء

- جئت الى المدينة طفلا ضمن بعض السبى الفارسى ، فنشأت على لغة العرب وشعرهم وادبهم وذوقهم .. ولما كبرت سمعت بعض العمال الفرس ممن اجتلبوا لبناء القصور والدور فى المدينة ، يغنون غناءهم بلغتهم الاعجمية ، ويضربون بالعيدان الفارسية ، فتعلمت منهم الضرب ، وادخلت فى بعض الحانهم شعرا عربيا بدلا من رطانتهم ، ونفيت من الحانهم مالا يوافق ذوق العرب ، ومالا يدخل فى توزيع الكلمات العربية واوزان الشعر العربى ، فجاءت الحانى مبتكرة عجيبة ، مال اليها النبيل الهاشمى المعطاء عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، فغمرنى بالجوائز ، ولكنى لم ااجر مهنتى وهى بيع الطعام ، فأنا طبّاخ ماهر فى الطبخ مهارتى فى الغناء ، وقد وسع الله رزقى فتزوجت أربع زوجات ، وانجبت بنين وبنات ..!

ضحكت وقلت لاستاذى :

- فمالى اراك لا تغنى الا لتطرب عبد الله بن جعفر وحده ؟!

قال :

- بل غنيت للخليفة معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد ، فأما يزيد فقد غمرنى بالعطاء وقال لى معايبا : يا خاثر .. ارايت كيف اخثرت لك العطاء ؟! يعنى انه زاد لى فيه ..! واما معاوية فحين صحبنى ابن جعفر الى مجلسه وطلب اليه قضاء حوائجى ، حدجنى بنظرة وقال لابن جعفر : وماذا يصنع سائب خاثر هذا مما يستحق ان نكافئه عليه ؟! .. قال له ابن جعفر : انه يروى الشعر ويعمل فى تحسينه ..! قال معاوية : وهل نكافىء كل من يروى الشعر ويعمل فى تحسينه ؟! .. ثم امرنى معاوية « بتحسين » الشعر فى حضرته ، فغنيت لحنا من ابرع الحانى فى شعر جيد ، وكان معاوية لا يسمع الغناء الا نادرا ، فلما غنيت له قال لابن جعفر : ما رأيت مثل هذا الرجل فى تحسين الشعر ..!

ضحكت وقلت لاستاذى :

- اتظن ان معاوية لم يكن يعرف الغناء ، وانه ظن ماسمعه منك هو من قبيل « تحسين » الشعر فقط ؟!

قال

- رأيت معاوية ذات ليلة - وكان يزور المدينة قادما من مكة عائدا الى دمشق - فوقف لحظة عند منزل يتبعث منه غناء ، ثم انصرف عنه وهو يقول : استغفر الله ..! استغفر الله ..!

ورأيت فى الليلة التالية يجلس مع سرة المدينة من ابناء المهاجرين والانصار ، فاندفعت بين السماطين فغنيت قول حسان بن ثابت :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي .

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

## ● اليوم الثانى :

كبر سائب خاثر سنا الا انه لم يضعف ، وان كان قد اجتنب الغناء الا لعبد الله ابن جعفر ، وصار المغنون والمغنيات يقصدوننى للتعليم ولا يقصدونه ، وقد اخذ عنى هذا الفن اكبر مطرب فى المدينة الان وهو « معبد » .. وكذلك ابن عائشة وسلامة القس وحبابة وغيرهم ..

والناس يرسلون جواريتهم الى بيتى ليتعلمن منى فيتزاخرن حولى ، فربما انصرف اكثرهن ولم يأخذن شيئا ، وربما اعجز لتزاحمهن حولى ، عن مطارحة الغناء ولو واحدة منهن فقط ..

وقبل ان اتحرر من الرق واستقل بنفسى واعيش فى بيت أملكه ، كسبت لمن كنت ملك يمينهم من موالى مالم يكن يخطر لهم ببال حتى ملأت الاموال خزائنتهم ..

واحمد الله اننى الان بلا منافس فى الغناء من مغنية او مغن ، فى مكة والمدينة والشام والعراق .. وقد جاء الى المدينة منذ ايام عظماء مطربى مكة : ابن سريج والغريز وابن مسجع وابن محرز ، فالتقوا بمطربى المدينة : معبد وابن عائشة وغيرهما فتقنوا بالحانهم واختلفوا ايهم اجود صناعة واجمل صوتا ، فجاءوا يحتكمون الى فيما اختلفوا فيه

سمعتهم واحدا بعد الآخر ، وقلت لهم كلكم محسن وكلكم مجيد فى معناه ومذهبه من الصناعة .. أما ابن سريج فلو سمعته التكللى لطربت لصوته وداخلها السرور .. وأما معبد فنسيج وحده بجودة تأليفه وعذوبة غنائه .. ولابن محرز سبق وأولية فى الغناء المتقن ، لا ينكر احد فضله واستاذيته ، فهو فى هذه الصناعة مخترع للاصول كسائب خاثر وابن مسجع ثم وصفت الاخرين وقرظتهم ، فسرهم ذلك سرورا عظيما

دعوت بالطعام ، وجلسوا عندى الى الليل ، فغنيتهم ، حتى صاح الغريز طربا :

– ياسيدتى وسيدة كل من حضر هنا من فحول صناعتنا ، والله مانحن الا عيال عند قدميك !..

ضحكت وضحكوا ، ودعوت لكل منهم بعود ، واخذت عودى ، فضربت ، وقلت لهم : اضربوا معى بضرب واحد ، ففعلوا ، وغنيت وحدى ، وأنا وهم على ضرب واحد بالعيدان ، ثم قلت لهم : غنوا اللحن معى .. ففعلوا وصرنا نضرب ونغنى معا ، ونحن اجمل اصوات خلقها الله ، فلما انقضى مجلسنا قال ابن سريج

– لا اعرف يوما واحدا ولا ليلة واحدة مثل هذا اليوم الذى عشناه ، ومثل هذه الليلة !..

## ● اليوم الثالث :

جنود الخليفة الجديد يزيد بن معاوية حاصروا المدينة ثم دخلوها واستباحوها وقتلوا ونهبوا وفعلوا الافعال ، فاحتميت ببعض منازل الهاشميين ثم انتقلت الى بعض منازل الامويين ، لان جنود يزيد لم يقتحموها ..

فلما انجلت الغمة اخذ الناس فى احصاء من قتلهم عسكر يزيد بن معاوية ، فاذا من بينهم سائب خاثر!..

ادهشنى انهم قتلوه ، فما هو الا مغن مسالم لا شأن له بالسياسة ، وقد غنى ليزيد وابيه ، وهما يعرفانه ، ولا اظن ان يزيد امر بقتله!..  
سأله احد رؤساء الجند عن صناعته ، وهو مقبوض عليه مكبل بالاعلال ، فقال سائب

- انا مغن ولا شأن لى بالعصيان فى المدينة!..

قال رئيس الجند

- فلماذا وجدناك مختبئا فى بستان ترتعد من الخوف؟

- كنت انتظر مناداتكم بالكف عن استباحة المدينة والامتناع عن قتل الناس!

- غن لنا اذن!..

فغنى سائب خاثر وهو ينظر الى السيوف المشرعة ويرى الموت فيها ، فلما فرغ من غنائه ، قالوا له :

- احسنت والله!..

ثم ضربه احدهم بالسيف فقتله ، وضجوا ضاحكين!

هكذا انتهت حياة هذا العبقري الذى كان من بناة الغناء العربى الممتقن!.. ويحز فى القلب ان اخر ساعات حياته كانت غناء تحت السيوف المصلطة على عنقه ، وان القتلة احتزوا حنجرته مع اخر نغمة اسمعهم اياها!..

هل عرف قاتلوه الغلاظ الاجلاف من قتلوه؟!..

## ● اليوم الرابع

قيل لى اليوم ان يزيد بن معاوية حين وضعوا بين يديه الجريدة الطويلة التى تحوى اسماء من قتلهم جنوده فى المدينة ، مرت عيناه على اسم مطربه القديم سائب خاثر ، فقال متجاهلا

- من سائب خاثر هذا!؟

قالوا

- هو يامولانا سائب خاثر المغنى !..

قال يزيد كانه كان ناسيا ثم تذكر

- ويله !.. ماله ولنا ؟! .. ألم نحسن اليه ونصله ونخلطه بأنفسنا ، فما الذى  
حمله على عداوتنا ؟! لا جرم ان بغيه صرعه !..

ثم صمت قليلا متفكرا واجما وقال :

- إنا لله وإنا اليه راجعون !.. هل بلغ القتل الى سائب خاثر وطبقته من الموالى  
وحشوة الناس ؟! .. ماظن انه بقى بالمدينة احد الا من عصمه الله من القتل !..

ثم ثار صاخبا وصاح :

- قبحكم الله من عسكر .. ما ارسلتكم لتقتلوا كل من وجدتموه مستترا فى  
حائط !..

هكذا سفكوا دم سائب خاثر دون ان يستطيع صديقه العظيم عبد الله بن جعفر  
حمايته .. فإن جعفر نفسه كان محتاجا الى من يحميه فى تلك الايام الدامية  
ايام وقعة « الحرة » الرهيبة !..

### ● اليوم الخامس :

عادت الحياة الى المدينة منذ زمن .. ابتعد الناس عن كل شىء الا عن مطالب  
حياتهم اليومية ، وازداد تعلقهم بالغناء .. فلم يبق فى الدنيا غيره من شىء  
جميل !..

جلست للناس فى منزلى مجلس الغناء فكثروا حولى ، وجاء عبد الله بن جعفر ،  
فقامت الناس فتلفيته وقبلت يديه ورجليه وجلس فى صدر المجلس ، ورأيت  
كثرة الناس فأشرت اليهم ، فانصرفوا وبقي الشريف ابن جعفر واصحابه .. فقلت  
له :

- ياسيدى وسيد أبائى وموالى ، كيف نشطت الى ان تنقل قدميك الى خادمك  
فى منزلها ؟!..

قال متبسطا

- ياجميلة .. علمت انك حلفت الا تغنى الناس الا فى منزلك ، فأحببت الاستماع  
، وكان طريقى اليك مادا فسيحا

قلت والفرح يغمرنى

- جعلنى الله فداك .. هلا أمرتنى فصرت اليك وكفرت عن يمينى بالصدقة او  
بالصوم ؟!..

قال فى تواضع :

- لا أكلفك ذلك ، وبلغنى انك تغنين بيتين لامرئ القيس كان الله انقذ بهما  
جماعة من المسلمين من الموت وهما :

ولما رأت ان الشريعة همها  
وان البياض من « فرائصها » دامى  
تيممت العين التى عند « ضارج »  
يفىء عليها الظل عرمضها طامى

فلما غنيت ، سبح ابن جعفر تسبيحا طويلا ، ثم سأله بعض من كان معه :  
- كيف انقذ الله تلك الجماعة من المسلمين بهذين البيتين ؟!

قال

- أقبل من اليمن قوم يريدون لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ،  
فضلوا الطريق ، ومكثوا اياما لا يجدون قطرة ماء حتى اوشك العطش ان يقتلهم ،  
فأقبل راكب على بعير وسمع احدهم ينشد هذين البيتين فى صوت خافت ، فقال  
الراكب لهم والله ماكذب امرؤ القيس فهذا المكان اسمه « ضارج » وهذه عين  
الماء تحت عيونكم ، وهى « الشريعة » التى فيها اعذب الماء ، فلا ترتعد فرائصكم  
ولا تدمى ان شاء الله !

ففاءت جماعة المسلمين الى الظل عند عين الماء وشربوا حتى ارتووا وحملوا  
من الماء ما احتاجوا اليه فى سفرهم حتى بلغوا مدينة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ..

استحسن الناس هذا الخبر من ابن جعفر ، ثم نهض ونهضوا معه ، فما رأيت  
مجلسا كان احسن من هذا المجلس !..



يوميات جميلة :

# أحزاب الغناء



## ● اليوم الاول

فى ايامنا هذه ينقسم عشاق الغناء حزبين اما اكبرهما وأكثرهما عددا ، فحزب الغناء المتقن الذى لا يؤديه المطربون الا على ضرب العود ، بعد ان جعلوا من العود الفارسى عودا عربيا

واما الحزب الاصغر ، فحزب الغناء المتقن الذى لم يأخذ بالضرب على العود ، ويرى ذلك تقليدا للفرس والروم

ولكن الناس يسمعون المطربين والمطربات من الحزبين جميعا فاذا غنى ابن سريج على العود التف حوله الناس وطربوا ... واذا غنى طويس ونقر على الدف ومشى وهو يغنى مشية اهل الحجاز فى مثل هذا الموطن ، اشتد طرب الناس ، ولم يأبهوا لغياب العود ، ولم يتكروا النقر على الدف ، فكل غناء متقن تغنيه حنجرة صداحة ، هو عندهم غذاء القلب والروح !

بالأمس سمع الناس فى بيتى ابن سريج وطبقته من المغنين الضاربين بالعيدان

واليوم اجتمع الناس عندى يسمعون طويسا واصحابه من المغنين الناقرين على الدفوف ..

ابتدأ طويس قفنى :

قد طال ليلى وعاد لى طربى

من حب خود كريمة الحسب

غراء مثل الهلال آنسة

أو مثل تمثال صورة الذهب

فأثنت عليه ، وصاح الناس طربا ... ثم غنى المطرب « الدلال » ومعه المطربون « فند » و « رحمة » و « هبة الله » جميعا صوتا واحدا فاشتد طرب الناس ، وأثنت انا على « الدلال » واصحابه ، ثم قلت للمطرب المخضرم « هيت » .. وهو ذو فكاكة ودعابة :

- يا ابايزيد .. اتنا نلك لكبرستك ، فلا نكلفك ان تغنى لنا وتتعب ، وقد عرفنا احسانك فى هذه الصناعة قديما ...

قال هيت معابثا :

- اجل ياماما ...



فضحكت وضحك الناس ، ثم قلت للمطرب « برد الفؤاد » وزميله « نومة الضحى » :

- هاتيا معا لحنا واحدا

فاستحسن الناس اقتراحي ، وغنى المطربان لحنا جميلا طرب له الحاضرون ، واشربوا ينتظرون مايكون بعد ذلك ..

ثم ضربت ستارة واجلس وراءها كل من فى البيت من الجوارى المغنيات ، بأيديهن العيدان فضربن وضربت معهن ، فتزلزل الناس طربا من اجتماع الضرب المتقن على أربعين وترا ، وبكى الكثيرون حرقا. ووجدا ، وتذكر كل عاشق جرحه الذى فى قلبه !..

وكانت عزة الميلاء المطربة البارة المطبوعة الجميلة ، حاضرة مجلسنا ، فطلبت اليها ان تغنى ، فغنت احسن غناء باحسن حنجرة ففتنت السامعين ، فقلت لها :

- يا عز انك لباقية على الدهر !.. فهتيتا لك حسن هذا الصوت ، مع جودة الغناء !..

ثم قلت لسلامة القس وزميلتها حباية :

- هاتيا معا لحنا واحدا ..

فغنتا :

ومن عجب انى اذا الشوق جننى

اقوم من الشوق الشديد واقعد

احن اليكم مثلما حنَّ تائق

الى الوزد عطشان الفؤاد مُصَرَّد

ولى كبد حرى يعذبها الهوى

ولى جسد يبلى ولا يتجدد

فاستحسن الناس غناءهما ، ولكنهم لم يتبينوا فرق ما بين صوت سلامة وصوت حباية ، ولا ما بين صنعة سلامة وصنعة حباية ، لان الصوتين خالط احدهما الآخر ، وخالطت صنعة هذه صنعة زميلتها اما انا فما فاتنى فضل سلامة على حباية .. ولو غنت سلامة وحدها ، ثم اعقبتها حباية لعرف من له ذوق وفهم فرق الصوت والصنعة عندهما .. وشتان بينهما .. سلامة هى الاجود حلقا وصناعة ..

ثم قلت للجوارى الثلاث الجميلات « فرعة » و« بلبله » و« لذة العيش » وكنت منذ الصباح اطارحن الالحان واثقفهن

- هاتين لحنا واحدا باصواتكن جميعا ..

فاندفعن كأنهن صوت واحد فغنين :

لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى  
بَغَى سقما إني اذن لسقيم  
فأقسم ما صافيت بعدك خلة  
ولا لك عندي فى الفؤاد قسيم

هكذا ، قضينا شطر الليل على هذه الحال ، لم أترك مغنيا ولا مغنية ممن حضر  
مجلسي الا أمرته بالغناء ، فكلهم اطاع امرى وسره انى استمعت اليه مع الناس ..  
فما رأيت ولا رأى الناس مجلسا أحسن منه ...

## ● اليوم الثانى :

قعدت اليوم على كرسى فى مدخل منزلى وقلت لحاجبتى :  
- لا تحببى عنى احدا اليوم . واقعدى بالباب ، فكل من يمر فاعرضى عليه  
مجلسى وقولى له جميلة تدعوك !!  
غصت دارى بالناس حتى صعدوا الى العلالى والسطوح ، واشتد الحرفأمرت  
باسقائهم الجلاب المتلج ، والماء المبرد وقامت جوارى منزلى على رعوس الناس  
بالمناديل والمراوح الكبار على رعوس الناس ووجوههم .. فاستروحوا الهواء والعطر  
من ايدى الجوارى ...

ثم قمت فقلت للناس

- انى قد رأيت فى منامى شيئا افزعنى وارعبنى وقد خفت ان يكون حان اجلى ،  
وليس ينفعنى ان مت الا صالح عملى ، فرأيت ان اترك الغناء كراهة ان يلحقنى منه  
شيء عند ربى !!

وقف شيخ ذو لحية بيضاء فقال :

- وفقك الله ، وثبتك على هذه النية الصالحة !!

صاح اخرون

- بل لا حرج عليك يا جميلة فى الغناء !!

كثر اختلاف الناس ، بين مستحسن لانقطاعى عن الغناء وان كانوا يحبونه منى  
خشية ان يلحقنى منه فى آخرتى ما اكروه ، وبين مستنكر لما اعلنت من رغبتي فى  
هجر الغناء ، حتى وقف من بينهم شيخ ذو سن وعلم وفقه وتجربة فقال :  
- قد تكلمت الجماعة ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، ولم اعترض عليهم فى  
قولهم ، ولا شركتهم فى رأيهم ، فاستمعوا الان لقولى وانصتوا ..

فسكت القوم وتناولت اليه اعناقهم ، فقال :

- يامعشر اهل الحجاز .. انكم متى تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم عدوكم .. وقد  
انكر عليكم بعض اهل العراق ماتسمعون من هذا الغناء الطيب الذى هو تحسين

للكلام بالصوت الحسن ، ولكنكم انتم لا تتكرونه ، ولا يدفعه عابدم وعالمكم وشريفكم فان رأيتم من لا يفشى مجالس الغناء ، فليس للتحريم ، ولكن زهدا فى الدنيا ، لان الغناء من اكبر اللذات وهو أسرُّ للنفوس من جميع المسرات !..

وصمت الشيخ لحظة كأنه يستجمع بقية حججه فى اباحة الغناء ثم قال - ألا ترون الغناء يحيى القلب ، ويزيد فى العقل ، ويبهج النفس ، ويفسح فى الرأى ، ويتيسر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويدل به الجبارون حتى يمتهنوا انفسهم عند استماعه ، ويبرئ المريض !.. ويزيد اهل الثروة غنى واهل الفقر قناعة ورضا باستماعه .. من تمسك به كان عالما ، ومن فارقه كان جاهلا ، فأما من مات قلبه ، وذهب عقله وبصره ، فانه يوجب تركه ، ويزعم تحريمه !..

فلم يخالف الشيخ احد من الحضور فيما وصف به الغناء ، ولا انكروا عليه شيئا من قوله ، وعاد المخطئ منهم على نفسه فأصلح خطاه ، واقر بالحق ! عندئذ قال لى الشيخ :

- يا جميلة اوعيت ماقلت ، ووقع من نفسك ماذكرت عن الغناء ؟!

قلت :

- أجل .. اعزك الله ! .. وانا استغفر الله ولا انقطع عن الغناء ابدا .. واتعلق برقبته واقول هذا الشيخ اقنعنى به !..

قال الشيخ باسم :

- فاختمى اذن مجلسنا ، وفرقى جماعتنا بلحن من بدائعك !..

فأمسكت بالعود وضربت وغنيت :

أفى رسم دار دمعك المتفرق  
سفاهما وما استنطق مالىس ينطق  
فأحسن شيء كان اول ليلنا  
وأخره حزن اذا نتفرق

فصاح الشيخ وقد تملكه الطرب .

- حسن والله !.. أمثل هذا يتركه الناس ولا يسمعون ؟! .. لا والله ، ولا كرامة لمن خالف الحق !..

فلما همَّ الشيخ والناس بالانصراف ، قال - الحمد لله الذى لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته ، والسلام عليك ورحمة الله يا جميلة !..

قلت :

- وعليك السلام يا شيخنا ورحمة الله وبركاته !..

جلست اليوم وليست برنسا طويلا ، وألبست جوارى منزلى برانس اقل طولا  
وجاء المطربون وعلى رأسهم ابن سريج وهو قبيح الصلعة يتخذ وفرة شعر يضعها  
على رأسه تستر صلعته ، فأحببت ان أرى صلعته فان الناس يتحدثون بقبحها ولم  
أرها من قبل !.. فأعطيته برنسا ليلبسه ، ففهم ابن سريج انه لايد من خلع وفرة  
الشعر عن رأسه ، واني دبرت ذلك لارى صلعته ، فصاح ضاحكا :

- هذا من تدبيرك لتفضحيني يا جميلة !..

ضحكت وقلت

- هو والله كذلك فاصنع مايدا لك يابن سريج !.. فتزع وفرة الشعر عن صلعته  
فاذا هي أقبح صلعة رأيتها ، فتضاحكت الجوارى ، فزعت فيهن كأننى غاضبة :  
- والله لو طار رأسه كله ولم يبق فيه الا حلقه وحتجرتة يغنى بهما لكان فيهما  
مايفضل به جميع الناس !..

ثم قمت وقد مسنى طائف من المرح والطرب فرقصت وضربت بالعود وعلى  
رأسى البرنس ، فقام ابن سريج وقد غطى رأسه بالبرنس ، وقام معبد والغريض  
وابن عائشة ومالك ، وفى يد كل منهم عوده يضرب به على ضربى ويرقص مثل  
رقصى ..

فلما استوفينا من ذلك حظا ، ضربت وضربوا وغنيت وغنوا معى

إنى أقول مقالة بتجارب

حقا ولم يخبرك مثل مجرب

صاف الكريم وكن لعرضك صائنا

وعن اللئيم وفعله فتنكب

فلما فرغنا من الغناء ، دعوت بوفرة شعر رائعة مصنوعة من الشعور الرومية  
الحمراء ، فنزعت البرنس ووضعت وفرة الشعر على رأسى فوق شعرى ، ودعوت  
لابن سريج بوفرة شعر صفراء انتقاها قصاربها كأنه رومى احول ، فان ابن سريج  
، الى صلعه القبيح ، من أقبح الناس منظر عينين ، وقد جعل له الحول عينا تنظر  
الى اليمين واخرى الى الشمال !..

انتقى كل مغن ما احب من وفرات الشعر فوضعها على رأسه ، ثم قمنا نضرب  
بالعידان ونتمشى مشية المغنين الحجازيين ، وغنيت وغنوا بغنائى صوتا واحدا

يمشين مشى قطا البطاح تاودا

قب البطون رواجح الاكفال

حتى نال منا التعب والطرب ، فنعرت ، ونعر القوم طربا وتعبا ، ثم جلست  
وجلسوا ، وخلعوا ثيابهم ووفرات الشعر ، ورجعوا الى زيهم ، ثم انصرفوا فكان ذلك  
يوما لم ار مثله حلاوة وطيبا !..

يوميات جميلة

---

## زينة الجوارى



## ● اليوم الاول :

هذا يوم جعلته لاستقبال زوارى من كبراء الناس واشرافهم .. ولابد لهم ولى من معاقرة الغناء فى هذا اليوم !.. اغنيهم انا ثم تغنيهم الجوارى اللاتى اشتريتهن وربيتهن وعلتهن الغناء ، وخرّجتهن فى هذه الصناعة احسن تخريج !.. وانا الان - بحمد الله - رأس هذه الصناعة الجميلة ، واستاذة كل محسن ومحسنة فيها ! وقد اكثر كبار المغنين من قولهم لى « لولا انت ما كنا نحن » !..

دعوت بالجوارى فوضعت على رعوسهن شعورا مستعارة تنسدل كالعناقيد الى ما تحّت خصورهن ، ووضعت فوق هذه الشعور التيجان المذهبة ، والبستهن الثياب المصبغة الفاخرة ، وزينتهن بالجلي افخر زينة .. ثم قلت لنفسى لاوجهن الى الشريف عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، ادعوه لزيارتى حتى يرى ويسمع ، فانه راعى هذا الفن فى المدينة وهو الذى حمى اصحابه من مطاردة بعض المتعنتين من حكام بنى امية الذين يتصنعون الحفاظ ومطاردة المغنين ومصادرة آلات الغناء !..

ثم دعوت كاتباً لى فقلت له اكتب الى عبد الله بن جعفر - اعزه الله - كتابا تستعطفه ان يزورنا اليوم ..

فلما قرأت ماكتب لم يعجبني ، فأجلسته وقلت له : لا بأس بما كتبت ، غير انى سأملك ما فى نفسى ، ثم امليته هذا الكتاب الى عبد الله بن جعفر :

« بأبى انت وامى !.. قدرك يجل عن رسالتى ، وكرمك يحتمل زلتى ، وذنبى لاتقال عثرته ، فان صفحت فالصفح لكم معشر اهل البيت يؤثروا الخير والفضل كله فيكم مدخر .. ونحن العبيد وانتم الموالى . فطوبى لمن كان لكم مقاربا ، والى وجوهكم ناظرا .. وطوبى لمن كان لكم مجاورا ، وبضيانكم مبصرا .. والويل لمن جهل قدركم ولم يعرف ما اوجبه الله على هذا الخلق لكم .. فصغبركم كبير ، بل لا صغبر فيكم . وكببركم جليل ، بل الجلالة التى وهبها الله عز وجل للخلق هى لكم ومقصورة عليكم .. وبالكتاب نسألك ، وبحق الرسول ندعوك ، ان كنت نشيطا لمجلس هيأته لك ، لايحسن الا بك ، ولا يتم الا معك ، ولا يصلح ان ينقل عن موضعه ، ولايسلك به غير طريقه » !..

فلما فرغت من املاء كتابى هذا قال لى كاتبى :

- هذه ياسيديتى هى البلاغة التى فاتتني ، ومن لى ولامثالى بها !؟

ثم ختمت الكتاب وطويته وبعثت به رسولا الى الشريف ابن جعفر فلما عاد رسولى سألته عما رأى وسمع فقال : ان سيدنا لما قرأ الكتاب تبسم وقال : قد علمنا

ان جميلة حلفت الا تغنى الا فى منزلها ! وانا الان أقصد موضعاً خارج المدينة ،  
فاذا عدت جعلت طريق رجوعى الى منزل جميلة ان شاء الله !  
قلت :

- اما قال غير ذلك شيئاً ؟!

أجابنى الرجل

- بل قال : « إننا - اهل البيت - لنعرف تعظيم جميلة ، لنا ، واکرامها لصغيرنا  
وكبيرنا ..! »

ففرحت بما سمعت من الرجل ، وانتظرت ان يجرى ابن جعفر ولم ادخل احدا  
الى منزلى قبل ان يدخل .. فلما صار الى بابى دخل وبعض من كان معه وصرف  
بعضهم ..

واخرجت الجوارى وهنّ فى تلك الزينة ، فنظر الى ذلك الحسن البار ، والهيئة  
الفائقة ، فقال لى

- يا جميلة لقد إوتيت خيراً كثيراً ما احسن ما صنعت ..!  
قلت

- ياسيدى ، إن الجميل للجميل يصلح ولك هيات هذا المجلس ..  
وقامت الجوارى صفيين وأنا على رأسهن ، فاقسم ابن جعفر فجلست وظلت  
الجوارى وحدهن قياماً ثم قلت له :  
- ياسيدى ، الا اغنيك ؟!

فلما اوماً موافقاً امسكت بالعود وضربت وغنيت فى مدح بنى هاشم من شعر  
حذافة بن غانم

بنى شيبه الحمد الذى كان وجهه  
يضئ ظلام الليل كالقمر البدر  
كهولهم خير الكهول ونسلهم  
كنسل الملوك لا يبور ولا يحرى  
ابو عتبة الملقى اليك جماله  
اغر هجان اللون من نفر زهر  
لساقى الحجيج ثم للخير هاشم  
وعبد مناف ذلك السيد الغمر  
ابوكم قصى كان يدعى مجمعا  
به جمع الله القبائل من فهر

فطرب عبد الله بن جعفر طرباً عظيماً وقال لى :

- احسنت يا جميلة فيما غنيت ، واحسن حذافة بن غانم فيما نظم من الشعر ..

بالله اعيديه علينا !..

ثم قال لاصحابه وانا اتهيأ لاعادة الصوت

- الاترون الشاعر قد تحدث عنا من لدن جدنا « قصى » الذى اجتمعت له امرة قريش الى جدنا « شيبه الحمد » عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؟!  
فلما اعدت الصوت ازداد طربا ، فاحببت ان ازيده فوق ذلك ، فدعوت لكل جارية يعود وامرتهن بالجلوس على الكراسى ، فضربن وغنيت على ضربهن هذا اللحن ، وهن يغنين معى نبرة نبرة ، حتى زلزلت اركان المنزل طربا !..

فاهتز عبد الله بن جعفر واصحابه من شدة الطرب ، وقال  
- ماظننت ان مثل هذا يكون !.. وانه لممايفتن القلب ، ولذلك كرهه اناس لما علموا فيه !..  
ثم دعا ببغلة فركبها منصرفا الى منزله وكنت قد اعددت له ولهم طعاما كثيرا ، فقال لاصحابه

- تخلفوا انتم للغداء !..

فتغدوا فى منزلى ثم انصرفوا مسرورين !.. فكان هذا اليوم من اعظم ايامى بركة وشرفا !..

## ● اليوم الثانى :

يزعم الناس ان الشاعر الاحوص شديد الاعجاب بى !..  
وانا اراه لايفارقنى اذا جلست للناس .. ولا يكون الا اخر من ينصرف ، غير انى لا انكر من اخلاقه شيئا ..

وقد حضر اليوم مجلس الغناء فى منزلى ومعه غلام اشتراه منذ اسبوعين او ثلاثة ، ولم اكن رأيت هذا الغلام من قبل ، ولكنى لاحظت انشغال الجوارى بالنظر الى ناحيته ، حتى كن ينشغلن عن الغناء بالنظر اليه ، فتأملته فاذا هو جميل الوجه جدا ، فاشرت الى الاحوص ان يخرج غلامه هذا من منزلى ، فقد عم الخلل مجلسى وافسد امر الجوارى ، ولايستقيم ادامتهن النظر اليه مع السماع فى هذا المجلس العام ..

فتغافل الاحوص ، واطهر انه لم يفهم اشارتى حتى خفت عاقبة وجود الغلام فأمرت بعض من حضر باخراجه من المجلس فاخرجه وغضب الاحوص وقام فخرج فى اثر غلامه ، ولم يقل لى شيئا !..

فشكر لى الحاضرون هذا الذى كان منى فى شأن الغلام ، وحمدوا موقفى ، وقالوا :

- هذا والله كان الظن بك يا جميلة وانت من انت دينا وحفاظا .. اكرمك الله !



- ان الاحوص لم يستأذن فى المجيء بغلامه هذا ولا علمت به حتى رأيته فى دارى ، وانه ليعز على غضب الاحوص ، ولكن الحق اولى وكان يتبغى له الا يعرض نفسه وايأى لما نكره ...!

فلما تفرق اهل المجلس ، ارسلت اليه : « الذنب لك ، ونحن منه براء .. اذ كنت قد عرفت مذهبي ، ثم عرضتني للذى كان ، فسأنتى ذلك ولم اجد بدا من اخراج غلامك » ...!

فرد قائلا « ليس ذنبه ان الجوارى قد اطلن النظر الى وجهه ، وليس ماتقولين بعذر لك ان لم تجعلى لى وله مجلسا خاصا يمحو مالحقنا من اساءة »!..  
فرضيت بذلك وجاءا فأكرمتهما ، ولكنى حجبت الجوارى فلم يظهرن ولا غنين ولا سمع لهن احد حسا ، وجعلت مجلسى كله من عجايز الموالى ، وكلهن فوق السبعين من اعمارهن ثم غنيت لحنا فى شعر الاحوص يعجبه دائما ان اغنيه فيه :

### وبالفقر دار من جميلة هيجت

#### سوالف حب فى فؤادك مُنْصِبٍ

وهذا اللحن من احسن ما اتفق لى من الصنعة فى الغناء وقد قال لى ابن محرز :  
انى لاغنى هذا اللحن الذى حفظته منك يا جميلة فتعجبني نفسى ويدخلنى شيء لا اعرفه من الفخر والتب ، فكيف اذا غنيتك انت يا جميلة وهو من صنعتك ؟!

### ● اليوم الثالث

رأيت عمرو بن احمر الشاعر المخضرم الذى عاش فى الجاهلية ثم عاش فى الاسلام حتى ايامنا قلت له

- ما احسن ما نظمت من الشعر ؟!

قال :

- شعرى فى الجهاد ، وقد قلت فى خالد بن الوليد وكنت معه فى فتح الشام نكر بخيولنا على الروم

اذا قال سيف الله كروا عليهم

كررت بقلوب رابط الجأش صارم

وقلت شعرا فى عمر بن الخطاب ابتغى به وجه الله ، فانه لم يكن يملك شيئا يعطيه للشعراء ، واذا فضل من عطائه شيء رده الى بيت المال .. وقلت فى عثمان ابن عفان وعلى بن ابى طالب ..

قلت له

- انشدنى مارثيت به عمر بن الخطاب ..

فانشدنى شعرا اعجبني ، فعزمت ان اصنع فيه لحن ، فلما صنعت اللحن رأيت

كل من يسمعه يبكي حزنا على عمر بن الخطاب وإيامه التي كانت غررا في أيام الاسلام .. وقال لى بعض اهل صناعتنا  
- لا تغنى للناس هذا اللحن فانه يبكيهم ، وماسمعتك منك الا وجدت شيئا يضغط قلبى ويحرقه ، ولا املك عيني !..  
فكتمت اللحن عن الناس ، وصرت لا اغنيه الا لنفسى فى ساعات الأسى ! ..  
وليس بالقليلة فى حياتى التي يراها الناس حافلة بالفرح والمرح !..

#### ● اليوم الرابع :

طرق الليلة منزلى طارق ولم يكن عندى مجلس للغناء ، وجاءتنى خادمة تقول انها نظرت من خصاص نافذة فاذا الطارق هو عبد الله بن عمرو بن عثمان العرجى حفيد امير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله .. وهو شاعر اديب ظريف شجاع ، ولكنى حلفت الا اتغنى بشعره والا ادخله منزلى لكثرة عبثه وسفهه وحادثة سنه !  
فلما علمت بمكانه فى هذه الساعة من الليل قلت ان له لشأنا !..  
واستخبرت خبره فعلمت انه قدم المدينة هاربا من ضيعته فى « العرج » بالقرب من مدينة الطائف ، بعد ان قتل احد الموالى وهتك اهله !.. وقيل لى ان امير مكة يطلبه لمحاكمته وقد يقتله او يسجنه سجنا طويلا ..

فخرجت الى باب منزلى فقلت للعرجى :

- ان السادة لايردهم احد عن الابواب ، ولكن منزلى ملئ بالجوارى ولايمكن لمثلك ان يستخفى فيه ، فعليك بالشاعر الاحوص فانه لا يردك وانت من بيت عظيم الشرف

قال لى العرجى

- كانت بينى وبين الاحوص مشادة ، وهو مجانب لى الان ، فابعثى معى رسولا اليه ينقل اليه رأيك هذا .. فان منزله احب المنازل الى قلبى بعد منزلك ، على ماكان بينى وبينه !..

فوجهت مع العرجى الى الاحوص بعض عجائز منزلى ، فتلقاه الاحوص وانزله واكرمه واحسن جواره وستر امره .. فنظم العرجى شعرا ارسله لى وهو مستخف عن العيون ، فما قرأته ، رق قلبى له ، وقلت فى نفسى : كيف لى بالاذن له فى دخول منزلى وقد حلفت الا يدخله ، والا اغنى بشعره وان كان عندى فى الشعر اشبه الناس بعمر بن ابي ربيعة وهو من هو فى الشعر ؟!

فبينما انا ابدأ فى مثل هذا الفكر واعيد ، جاءنى من يقول : لقد وقع العرجى فى قبضة الشرطة ، وساقوه ومعه الاحوص الى الوالى ..

ثم جاء الاحوص وقد اطلقوا سراحه ، وقال لى

- ما اظن العرجى يخرج من هذه المحنة حيا ، فان بينه وبين ذلك الحاكم ضغنا عميقا !..

يوميات جميلة

# عندما يطرب عمر بن أبي ربيعة



## ● اليوم الأول :

زارنى اليوم المطربان الكبيران « معبد » و « مالك » .. فغنى معبد وغنيت  
وغنى مالك .. ثم قال لى معبد على استحياء  
- أتأذنين لى فى الغناء بشعر للأحوص قاله فيك ؟!  
قلت رافعة الرأس  
- إن الأحوص بى معجب ، وأنا له مكربة .. فهات !  
فغناني معبد

شأنك المنازل بالأبرق  
دوارس كالعين فى المهرق  
لال جميلة قد أخلقت  
ومهما يطل عهده يخلق  
فأن يقل النفس لى عاشق  
فأين الذى هو لم يعشق  
فأحسن معبد فى غنائه غاية الإحسان ، ولكنى خلجت من غنائه هذا الغزل الذى  
يكشف الشاعر فيه عن حبه لى ، فقلت لمعبد وأنا بين الخجل والابتسام والطرب  
- حسبك يا أبا عباد .. قد أحسنت ماشئت !..  
ثم قلت لمالك :

- هات ما عندك ، ولا يكن غزلاً فينا !..  
فاندفع مالك فغنى لحناً من ألحاني كان قد حفظه عنى فى شعر لجميل بثينة  
إلا من لقلب لا يمل فيذهل  
أفق فالتعزى عن بثينة أجمل

فأجاد مالك الغناء ، فقلت له  
- أحسنت والله فى غنائك ، وفى أخذك هذا اللحن عنى !..  
قال معبد :

- إنما أنت أستاذة كل مطرب ومطربة فى المدينة .. وحسبك أنك أتممت ما كان  
سائب خاثر - رحمه الله - قد بدأه فى صناعة الغناء المتقن ، ولولاك لم يكن غناء  
ولا مغنون فى المدينة !..

فصاح مالك :

- ولا فى مكة !..

ضحكت وقلت لهما :

- ملائمانى غروراً !.. فأين أنا من فحول الغناء المتقن الذين اخترعوه اختراعاً ، ولم يكن قبلهم شئ نسميه غناءً ؟!..

قال لى معبد

- قد سمعت الآن مالكا يغنى فى شعر جميل بثينة ، وإنك ياسيدتى قد عرفت بثينة وعرفتك بثينة ، فما تقولين عنها ؟!..

قلت :

- كانت بثينة صدوقة اللسان ، جميلة الوجه ، حسنة البيان ، عفيفة شريفة .. وقد قالت لى مرة : " والله ما أردنى جميل رحمه الله ، بريئة قط ، ولا حدثت نفسى بذلك منه " !..

ثم قالت لهما

- فانظرا - عافاكما الله - كيف أحب جميل صاحبتة أشد الحب ، وبادلتة الحب ، فما أرادها قط بريئة ، ولا حدثت فى نفسها بأمر مما تحدث به المرأة العاشقة نفسها ولو فى لحظة عابرة تستغفر الله منها .. فهذا والله هو الحب الصحيح تتعفف فيه حتى خواطر المحبين وهواجسهم وخفايا جوانحهم !..

### ● اليوم الثانى

زارنى المغنى العظيم ابن سريج ، وزعم أنه إنما جاء لسمع منى ويأخذ عنى ، فانزلته وأكرمته وسألته عن أخبار مكة وهو مطربها الأكبر ، فحدثنى وأضحكنى - وإنه لمحدث ظريف - حتى جاء مطرب المدينة معبد .. وكانت عندى جارية لبقة محسنة فى الصناعة ، فابتدأت أطارحها .. فقال لى ابن سريج : فلأ بدأت بمطارحتنا ياسيدة المطربات ؟!.. قلت : كل إنسان فى بيته أمير ، وليس للداخل أن يتأمر عليه ولو كان أصدق أصدقائه ، فتنبه ابن سريج إلى خطئه وقال لى معتذراً :

- صدقت ! جعلنى الله فداك !.. وما أدرى أيهما أحسن : أدبك أم غناؤك ؟!..

قلت :

- دع ذا عنك يا ابن سريج ولا تسرف فى مدحنا ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " احثوا فى وجوه المداحين التراب " !..

قال يشرح ما أراده بالثناء علينا :

- أنت على ما اشتهرت به من الغناء ، صوامة قوامة ، قد رضى الناس دينك ، وعرفوا ورعك ، وأنا صادق فى مدحك ، أما المراد بالمداحين فى هذا الحديث

الشريف فقوم من عادتهم الإسراف فى تملق الناس تحصيلاً للمال أو الجاه !! وأما المدح المراد به الحق فإنه خير لا يُحْتَى التراب فى وجوه أصحابه !!

فضحكت وضحك ابن سريج وقال له معبد

وددت والله لو قامت جميلة فرمتك بحثوة من تراب ، مع صدقك فيما مدحتها !!  
فما هى بحاجة إلى مدحك يا ابن سريج !!

ضحكنا ، ثم أخذت أغنى لحناً لى لتحفظه عنى الجارية ، فرأيتهما يفحصان الأرض بأرجلهما طرباً ، ولا يستطيعان الصياح حتى لا أقطع غنائى !! فلما أتممت اللحن قالوا لى

- كائننا والله حضرنا مزامير داود !!

غنى ابن سريج ، وما أطيب وأعذب وأقوى صوت هذا المغنى ، فقلت له غير متمالكة نفسى من فرط إعجابى :

- إنك والله لبارع محسن فيما نظمت من الشعر وفيما لحتت وفيما غنيت .. وإن صوتك لما يزيد العقل قوة ، والنفس طيباً ، والطبيعة أريحية وسهولة ، ولو كان الهواء يمسك الغناء فلا يذهب بدا ، ولا تذروه الرياح ، لكان مجلسنا هذا كالعلم الخفاق فى هذه الصناعة إلى آخر الزمان ..

### ● اليوم الثالث :

أقبل إلى المدينة من مكة عمر بن أبى ربيعة الشاعر القرشى المشهور ، فطرق منزلى ومعه الأحوص بن محمد الأنصارى وآخرون ، فأذنت لهم ورحبت بهم ، وخصصت عمر بن أبى ربيعة بحفاوة أبذلها فى العادة له ، لمكانته عندى .. فقال لى

- إنى قصدتك من مكة للسلام عليك !!

قلت له :

- أهل الفضل أنت .. جُزيتَ خيراً !!

قال متودداً :

- وقد أحببت أن تفرغى لنا نفسك وتخلى لنا مجلسك ، ونترك الخيار لك فيما تغنين !! فغنيتهم :

تمشى الهوينى إذا مشت فضلاً

مشى النزيف المغمور فى الصُّعدِ

تظل من زور بيت جارتها

واضعة كفها على الكبد

يامن لقلب متيم سدم

غانٍ رهين مُكَلِّمٍ كَمِدٍ

أزجره وهو غير مزدجر

عنها وطرفى مكحل السهد

فنعز الأحوص ، وقام عمر بن أبى ربيعة يريد أن ينطح الحائط برأسه من شدة  
الطرب ، وكأنما اعترت المنزلة زلزلة .. فلما هداؤا .. قال لى ابن أبى ربيعة  
- لله درك يا جميلة .. لقد أعطاك الله كل مافى حلق البشر من حلاوة ، فأنت أول  
الغناء وآخره !..

ثم سكتنا ساعة عن الغناء ، وأخذنا بأطراف الحديث ، حتى شعرت أنهم  
يشتهون أن أغنى ، فأخذت العود وغنيت

شطت سعاد وأمسى البين قد أفدا

وأورثوك سقاما يصدع الكبد

لا أستطيع لها هجرا ولا ترة

ولا تزال أحاديثى بها جددا

فاستخف الغناء القوم ، فصفقوا وحركوا رعوسهم كأنما عقولهم طارت منها ،  
قال ابن أبى ربيعة

- نحن فداؤك من السوء ، ووقاؤك من المكروه .. ما أحسن ما غنيت ، وأجمل ما  
قلت !..

وحضر الغداء ، فتغدينا بأنواع الأطعمة الحارة والباردة ، والفاكهة الرطبة  
واليابسة ، مما ينبت فى المدينة ، ومما يجىء من الشام والعراق ومصر .. ثم  
دعوت بأنواع من الأشربة فقال عمر بن أبى ربيعة : " لا أشرب " !.. أما الأحوص  
فقال " لكننى أشرب !.. وما جزاء جميلة أن نمتنع من شرابها " .. قال عمر :  
" ليس ذلك كما ظننته يا أحوص " .. قلت : " من شاء أن يحملنى بنفسه ، ويخلط  
روحى بروحه شكرناه ، ومن أبى ذلك عذرناه ، ولم يمنعه ذلك ما يزيد من الأنس  
بمحادثته " !.. قال عمر : " لا أكون والله أخس القوم .. فانا سامع مطيع " !..  
فشرب القوم أجمعون !.. فبينما هم فى ذلك غنيت لهم لحنا فى شعراين أبى ربيعة

ولقد قالت لجارات لها

كالمها يلعبن فى حجرتها

خذن عنى الظل لا يتبعننى

ومضت تسعى إلى قببتها

لم تعانق رجلا فيما مضى

طفلة غيداء فى حلتها

لم يطش قط لها سهم ومن

ترمه لا ينج من رميتها

فصاح عمر بن أبى ربيعة وقد غشى على أصحابه من الطرب  
- ويلاه ... ويلاه ... ويلاه .. !

- فلما أتمهن ثلاثا وقد كاد يجن طربا ، عمد إلى ثوبه فشقه من أعلى إلى  
أسفل ، وجلس مبهورا لا يعى ما يصنع .. !  
ثم تمالك نفسه وقال لى معتذرا

- لم أملك من نفسى شيئا ، وما استطعت إلا تخريق ثيابى ، ولولا أنى صبور  
متجلد لأصابنى الاغماء وأخذتنى الغشية كما أخذت أصحابى هؤلاء .. !

فدعوت بثياب فلبسها عمر ، وأفاق أصحابه من إغمائهم واستراحوا ساعة ثم  
انصرفوا ، وأنا لا أعجب لحالهم ، فطالما رأيت السامعين يشقون ثيابهم ، ويغشى  
عليهم ، ويضربون الجدران برعوسهم طربا .. !

ولم يكد القوم ينصرفون حتى وجه عمر بن أبى ربيعة الى منزلى بعشرة آلاف  
درهم ، وعشرة أثواب .. وقال لرسوله الذى حمل هذه الهدية : قل لجميلة إن عمرا  
عاد إلى مكة ولم يمر بدارك لأنه لا يستطيع وداك .. !

#### ● اليوم الرابع :

خرجت أحج بيت الله فى مكة .. فإذا جميع المغنين والمغنيات يمشون فى  
ركابى ، ومعهم جماعة من السادة والشعراء ، ورأيت تحت هودجى أستاذنا طويسا  
ومعه جماعة من مشيخة صناعة الغناء بالمدينة على رأسهم معبد ومالك وابن  
عائشة وابن طنبورة ويديح المليح وتافع الخير .. أما المغنيات فكان على رأسهن  
نابغة الغناء عزة الميلاء وسلامة القس وحبابة وخليدة وعقيلة وبلبله ولذة العيش  
وغيرهن .. ومن الشعراء الأصوص وكثير عزة ونصيب ، ومعهم جماعة من كبراء  
المدينة ، وقيل لى إن من لحق بركبى من المغنيات زدن على خمسين مغنية قصدن  
جميعا الحج معى ، وأعطاهن سادتهن النفقات وحملوهن على ابل فى الهودج  
والقباة .. ! وما أظرف أهل المدينة وأكرمهم ..

قاربنا مكة فتلقانا شيخ المطربين سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن  
محرز ومن لا أحصيهم من المغنين والمغنيات .. أما الشعراء فكان فى مقدمتهم  
عمر بن أبى ربيعة وعبد الله العرجى حفيد عثمان بن عفان ، وجماعة من  
الأشراف .. فدخلت مكة وحولى هؤلاء جميعا ، وخرج كثير من أهل مكة ينظرون  
إلى جمعنا هذا وحسن هيئته .. !

فلما قضيت مناسك الحج .. سألتنى بعض المكيين أن أجعل لهم مجلسا ،  
فسألتهم : للغناء أم للحديث ؟ .. قالوا جميعا .. !

فأبيت أن أغنى ، وقلت لهم :

- إن أردتم سماعى ، فلا يكون فى موسم الحج .. !



فصاح عمر بن أبى ربيعة فى الناس  
- أقسمت على من كان فى قلبه حب لاستماع جميلة إلا خرج معها إلى المدينة ،  
فإنى خارج معها ...!  
فخرج معى إلى المدينة جمع كبير انضم إلى من كانوا قد صحبوني من المدينة  
إلى مكة .. وتلقانا أهل المدينة كبارا وصغارا ...!  
فلما مضت بعد عودتى أيام جلست للغناء ، فقصت دارى بالناس ، وغنيتهم  
بلحن لى فى شعر عمر بن أبى ربيعة ، فكلهم طرب للغناء ، وضع القوم من حسن ما  
سمعوا ، وقالوا ما سمعنا غناء قط أحسن من غناء جميلة فى هذا اليوم ..  
أما عمر بن أبى ربيعة فذرفت عيناه حتى جرى الدمع على لحيته وثيابه ...!



يوميات الغريص :

## قتيل الجن



سهرت الليلة وحدي !.. لم أجد صديقاً لى يسامرني بعد ما رقد السامر .. تذكرت أستاذي في هذه الصناعة ، صناعة الغناء ، مطرب الحجاز الأول ، عبيد بن سريج .. فقلت في نفسي أطرق بابيه في هذه الساعة من الليل أشكو إليه أرقى لعله يساهرنى ويحدثنى ، وربما هزته أريحته فتغنى لى وأسمعتنى ما أشتهى من حلاوة صوته وبراعة لحنه !

قال لى ابن سريج وقد صرت بين يديه في داره  
- هيه ياغريض !.. افتتن بك الناس في مكة لأنك طرى الوجه ، غض الشباب ، حسن المنظر ، أبيض ، لين الصوت ، شجى النبرات حين تنوح أو تغنى .. فماذا أبقيت لى وأنا شيخك ومعلمك !.. منى تعلمت صناعة النياحة وصناعة الغناء فبرعت وكثر في يدك المال ؟!

قلت له مسترضياً مادحا  
- والله مازدت على أن أكون تلميذك وخريجك ، ولولاك لكنت حتى اليوم خياطاً فقيراً أخطط ثياب الناس وأشقى بتلك الحرفة الصغيرة .. وأنت صاحب الألحان المرقصات والمشجيات والمبكيات ، لا يبلغ أحد في هذا الفن أن يكون من بعض خدمك !..

تبسم ابن سريج ، راضياً عنى ، وقال :  
- دعانى بعض أصحاب فقيه مكة وعالمها الأكبر عطاء بن أبى رباح أن أحضر مساء غد وليمة في داره ، مع جمع من أهل مكة ، وعلمت أنهم دعوك أيضاً ، ولا بد لى ولك من الغناء فى هذا الحفل ، ابتهاجا بختان أصغر أولاد الشيخ !  
- نعم !.. بعض أصحاب الشيخ استأذنوه فى دعوتنا ، فأذن بالدعوة كما أذن بالغناء !..

- وتظنه يسمع غناءنا ؟!  
- ألم يسمعك مرة تتغنى بشعر جرير واستحسن غناك ، ومضى يترنم بشعر جرير الذى غنيته ؟!  
- لقد كان ذلك يوماً مشهوداً !..

انصرفت من دار ابن سريج أفكر فيه وفى غنائه الذى فتن أهل مكة حتى قال له الشيخ عطاء بن أبى رباح .. « يافتان !.. أما أن لك أن تكف عن فتنة الناس ؟! » فلما غناه ابن سريج لحناً فى شعر جرير ، كف الشيخ بعد ذلك عن التعرض له ، وصار يستمع إليه أحياناً ..

وتذكرت كيف أرسلنى سادتى منذ سنين الى ابن سريج ليعلمنى صناعة النياحة ، فان للنوح على الموتى فناً خاصا ليس فى الدنيا من يتقنه كابن سريج وقد أبكى أهل مكة حين ورد اليهم الخبر بما فعله مسلم بن عقبة من فتك وهتك بالمدينة المنورة حين أباحها لجنده بأمر الخليفة يزيد بن معاوية ثلاثة أيام ، فصعد ابن سريج على جبل أبى قبيس وناح

### يا عين جودى بالدموع السفاح وابكى على قتلى قريش البطاح

و « قريش البطاح » هم أكرم أهل مكة ، ومنهم بنو هاشم وبنو أمية .. ولم يصب أحد من هؤلاء فى مذبحة المدينة المنورة ، ولكن ابن سريج ذكر « قريش البطاح » لأن منها بطونا أخرى فتك بها جنود يزيد بن معاوية مع من فتكوا بهم من الانصار والمهاجرين وأولادهم ، ذكورا واناثا .. ثم أرسلت سكيئة بنت الحسين من المدينة تطلب الى ابن سريج أن يصنع نوحا فى هذا البيت

### يا أرض ويحك أكرمى أمواتى فلقد ظفرت بسادتى وحماتى

وصنع ابن سريج فى هذا البيت نوحا عجيبا ، يبكى فيه شهداء أهل بيت على ابن أبى طالب أحر بقاء .. فقدمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة وسائر الحجاز وبلاد المسلمين .. ولما ذهب اليه أتعلم « النياحة » وجدنى أتعلم بسرعة واتقان ، وفى صوتى من الشجا مايبكى الناس ، على ما فيه من حلاوة وطلاوة ، فنحانى ابن سريج عنه وطردنى وتجنى على كثير ، حسدا منه لى ، وأنا تلميذ بين يديه ، وليس صوتى أحسن من صوته ، ولا عندى من أسرار هذه الصناعة الا ما تعلمته منه .. راجعته مستعظفا فقال لى محتقرا  
- ما اسمك؟! .. وما كنييتك؟! .. وما أصلك؟! ..

قلت متعجبا

- اسمى وكنييتى وأصلى لا تغيب عنك ، فأنا عبد الملك ، وكنييتى ابويزيد ، وأصلى من رقيق البربر ، وأبى وأمى مسكينان من الموالى فى مكة .. وقد ماتا !! قال :

- ولكنك جميل وضى طرى ، فلهذا سموك الغريض .. وأنت تضرب بالعود ، وتنقر بالدف ، وتوقع بالفضيب ، وتعالى فى تصنيع نفسك وتبريقها .. وقد انتهى الناس نبرات الشجا فى صوتك ، وقمت بدلا منى تنوح لهم .. فوالله لا تركن النياحة ، ولا تقتصرن على الغناء وحده ، ولا تركنك تنوح على أمك وأبيك !!

ومنذ ذلك اليوم ترك ابن سريج النياحة وتركها أنا أيضا وصرت مثله مغنيا ،  
فكاد ينشق غيظا ، مع أنه لبث فى موضعه سيدا لفن الغناء ، وكنت ومازلت تابعا  
له ، وإن لم يكن أحد غيره أحسن منى فى الغناء ..!

## ● اليوم الثانى

زارنى ابن سريج فى دارى قبل طلوع الشمس ، قال لى  
- لعلك تراجعت عن موعدنا الليلة فى ختان ابن الفقيه عطاء بن أبى رباح ، حتى  
لاتغنى معى فى حفل واحد ...!  
قلت أنفى عنه الشك فى أمرى :  
- لا والله .. بل أنتظر الموعد لأتعلم منك ...! فهل لك أن تبقى عندى هنيئة  
أسمعك لحنا لى فى شعر لعمر بن أبى ربيعة ؟!..  
ثم أخذت العود وغنيت

يا أبا الحارث قلبى طائر  
فاستمع قول رشيد مؤتمن  
ليس حب فوق ما أحببتكم  
غير أن اقتل نفسى أو أجن  
حسن الوجهه نقى لونه  
طيب النشر لذيذ المحتضن

فطرب ابن سريج وقال لى  
- كأنك لم تسمع لحنى فى هذا الشعر ؟!..  
ثم اندفع فغنى لحنه ، فتضائل لحنى بإزائه ، حتى وددت أنى لم أصنعه ...!  
ثم نهض ابن سريج وهو يذكرنى بموعدنا عند الفقيه الجليل ...!  
ولم يكد يخرج من دارى حتى سمعت طارقا على بابى ، وإذا بمعبد المغنى  
المشهور فى المدينة المنورة جاء يزورنى فرحبت به فقال :  
- دعنا من الترحيب بالكلام المزوق ، فإنى ماجئت من المدينة الى مكة الا طلبا  
لسماع لحنك فى شعر جميل بثينة :

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها  
وقد قربت نضوى أمصر تريد  
يقولون جاهد يا جميل بغزوة  
وأى جهاد غيرهن أريد ؟!  
لكل حديث عندهن بشاشة  
وكل قتيل بينهن شهيد

فكاد معبد يطير طربا مما أسمعته ، مع أن له لحناً فى هذا الشعر يعجبني  
ويعجب الناس ، وهو أعظم المطربين منزلة عندى بعد ابن سريج .. وقد تلقى فن  
الغناء من مطربى المدينة الأوائل .. طويس ونشيط الفارسى وسائب خاثر ، وجميلة  
سيدة المطربات والمطربين !..

ولقد سمعته يغنى ويضرب بالعود ، على استواء عجيب فى الغناء ، واستقامة  
فى العزف لايحرق بها ضارب عود ، ولا مغن على عود !.. وهو راوية للغناء متين  
الرواية ، وصناعتنا هذه محتاجة الى دعم أصولها ، وهذه الأصول محتاجة الى  
الرواية الصحيحة المتقنة .. والرواية المتقنة الصحيحة لايقوى عليها الا أمثال  
معبد !..

قال لى معبد وهو يهيم بالانصراف  
-لولا ملالة الحديث ، وثقل اطالة الجلوس لاستكثرت منك ، فانك عندى ذو مكانة  
جلية !.. وقد سررتنى بفنائك وفطنتك وقيافتك !

### ● اليوم الثالث :

غنيت الليلة الماضية مع ابن سريج فى دار كبير أهل العلم بمكة عطاء بن أبى  
رباح !..

كانت الوليمة التى أولمها بمناسبة ختان ابنه طيبة وان لم تكن كبيرة ، ولكن  
الحضور كانوا كثيرين ، ولم يكن همهم الطعام .. بل السماع ، وقد علموا أنى وابن  
سريج حاضران !..

بدأ ابن سريج يغنى ، وكنت أظن أن ابن أبى عطاء سينتحي من الدار ناحية  
حتى لا يستمع الى الغناء ، ولكنه ثبت فى مجلسه ، ونقر ابن سريج بالدفء وتغنى  
بشعر كثير عزة .

أمقطع ياعز ما كان بيننا  
وشاجرتى ياعز فيك الشواجر  
إذا قيل هذا بيت عزة قادنى  
إليه الهوى واستعجلتنى البوادر  
أصد وبى مثل الجنون لكى يرى  
رواة الخنا أنى لبيتك هاجر

فأصغى القوم بأذانهم ، وشخصت اليه أعينهم ، وطالت أعناقهم ، وأصابتهم  
غشية من الطرب  
ثم قمت أنا فغنيتهم فى شعر عمر بن أبى ربيعة

فقالته وأرخت جانب الستر انما  
معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

فقلت لها مابى لهم من ترقب  
ولكن سرى ليس يحمله مثلى

فوالله ما رأيت القوم تحركوا ولا نطقوا ، فقد شغلهم الاستماع لى عن كل مافى الدنيا ...

ومضينا أغنى .. ثم يغنى .. حتى قيل لنا : غنيا معا ...  
فاتفقنا أن نغنى هذا اللحن وهو لابن سريج

خليلى عوجا نسأل اليوم منزلا  
أبى بالبراق العفر أن يتحولا  
أرادت فلم تَشْطِيع كلاما فأومات  
إلينا ولم تأمن رسولا فترسلا  
بأن : بث عسى أن يستر الليل مجلسا  
لنا أو تنام العين عنا فتقبلا

غنينا هذا اللحن معا ، فخليل إلينا نحن والمستمعين أن الأرض تميد حتى تبين  
أثر غنائنا فى الفقيه عطاء بن أبى رباح .. وماسمع السامعون شيئا أحسن من  
ذلك

#### ● اليوم الرابع :

أه .. ثم أه من الأيام حين يراها المرء تنقضى وتمر مر السحاب ...  
ذهبت أيام الصبا وأيام الشباب .. وجاءت الشيخوخة بصفرة الوانها ...  
غضب حاكم جديد جاء يحكم مكة فأمر باخراجى منها الى اليمن فخرجت !  
ورأى أعراب اليمن العود فى يدى فظنوه شيئا يستند اليه راكب البعير حين  
يميل على مؤخرة الرجل أو مقدمته ... وطلب بعضهم منى أن أبيعهم هذا العود  
ليضعه فى رحل ناقته ... ولكنى لست تاركا هذا المكان بقية حياتى .. فقد مللت كل  
شئ وزهدت فى الدنيا ..

مر بى بعض المسافرين من أهل مكة فلما رأيتهم بكيت ، فسألونى ..  
- ماييكيك ياغريض وأنت من كنت تضحكننا جميعا بطرائفك وحلاوة لسانك ؟!  
قلت لهم :  
- بأبى أنتم وأمى ... كيف يطيب لى أن أعيش بين قوم لم يروا العود قط ؟!  
أما مكة ، فلن أعود إليها بعد أن مات أكثر من أحبهم فيها ..  
ثم اندفعت أغنى ..

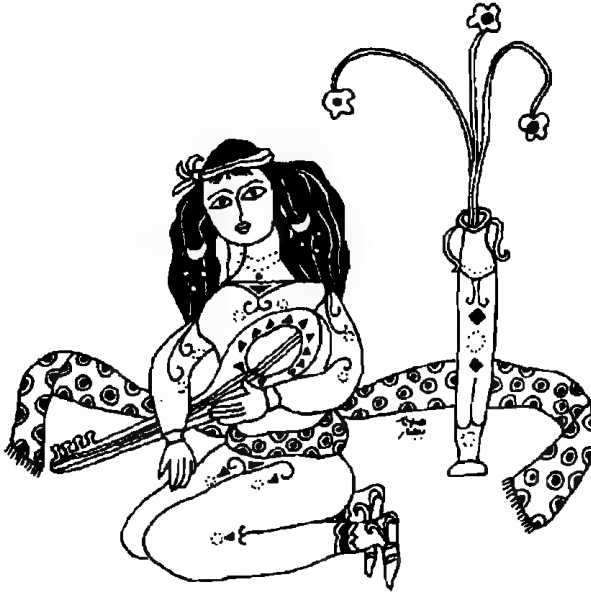
جرى دمعى فهيج لى شجوننا  
فقلبى يستجن به جنونا



مضى القوم الى بلدهم ورقدت مريضا باكيا ولاأراني الا سأموت ...!  
فله أيام بمكة كنت فيها أمسك بالدف فأمشى وأنا أنقر عليه مشية لايرى الناس  
أحسن منها ، ثم أغنى مقبلا ومدبرا حتى أخر صريعا فيظن الناس أن الجن قد لوت  
عنقى غيرة من حسن غنائى ولطف مشيتى على نقر الدف ...  
وزعم الناس أن الجن نهتنى أن أغنى والا قتلتنى ، ولكنى وان كنت اليوم مريضا  
غريبا بأئسا ، لن أنتهى عن الغناء الى النهاية .. ولتقتلنى الجن !..



## أزهد الناس .. وأطرب الناس



## ● اليوم الأول :

فى المدينة المنورة نبغت فى الغناء بعد أن تعلمت أصوله فى مكة ، وأخذته عن معبد وابن عائشة وجميلة سيدة المغنيات ، وسمانى الناس "سلامة القس" .. لأن رجلا من صلحاء مكة سمع يوما غنائى ، فشغفته حبا ، وشهر يحبى فى القرينتين . مكة والمدينة ، فقال الناس القس أحب سلامة !.. ثم صرت أدعى بينهم "سلامة القس" .. نسبة إلى هذا الرجل التقى الورع الذى كانوا يلقبونه "القس" لعبادته وصلاحه !..

سيدى الذى يملكنى فى المدينة .. اسمه مصعب بن سهيل الزهرى ، ولى أخت يملكها أيضا اسمها "ريا" وكذب الشاعر ابن قيس الرقيات حين قال

لقد فتنّت ريا وسلامة القسا فلم تتركاً للقس عقلا ولا نفسا  
فتاتان أماً منهما فشيبة الهلال ، وأخرى تشبه الشمسا

كذب ابن قيس الرقيات فى البيت الأول ، وأراد التشنيع على الرجل الصالح عبد الرحمن القس ، الذى يحببى أنا وحدى !.. وصدق ابن قيس الرقيات فيما شبهنى به وأختى فى البيت الثانى !..

وكانت لنا بمكة زميلة فى صناعة الغناء اسمها "حباة" .. مفرطة الجمال ، لكنها ليست فائقة الصوت ولا الصنعة ، وقد انتقلت مثلى إلى المدينة ، ونجتمع من حين إلى حين فى دار أستاذتنا "جميلة" التى امتلكت فن الغناء من أطرافه ، وتفوقت فيه على ابن سريج وأمثاله من فحول المطربين ، وروت أغانى القيان القدامى اللاتى كن يغنين قبل أن ينضج الغناء المتقن على عود نشيط وزميله سائب خاثر وابن مسجح ، وتلك الطبقة التى كانت أول من غنى على العود الفارسى غناء عربيا .. وعلى أيديهم تم تعريب أوتار العود ، وإقامة الأصوات وأجناسها عليه باللسان العربى والذوق العربى ..

زميلتى حباة مجتهدة حقا ، ولكنها لا تتعلم بسرعة ومهارة كما أتعلم أنا وأختى ، ويريد الرجل الذى يملك حباة أن تتقن الغناء لبييعها بمال عظيم !.. وأستاذتنا جميلة تقول لها : يا حباة .. خذى إحكام ما أطارك به من الحان ، من

أخذك سلامة ، وإن ترأى بخير يا حباية ما بقيت لك سلامة وكان أمركما مؤتلفا  
حباية تسمع كلام استاذتنا وتطيع ، وتريد أن تتعلم ، ولها طموح إلى العيش فى  
القصور العالية فى دمشق ، مع أنها تعيش فى المدينة حياة المترفات ..  
وتقول لى حباية أحيانا : أرأيت يا سلامة .. إن شاهدنى الخليفة أو شاهداك ،  
أكان يفتتن بى وبك ويشترينا ؟ ..!

وأقول لها دائما : نعم !.. وأى رجل يملك ثمننا ولا يدفعه إلى ساداتنا عن طيب  
خاطر ليحوز هذا الجمال وهذا الغناء ؟ ..!

ولكن العهد الآن هو عهد عمر ابن عبد العزيز ، الخليفة الذى يقال إن فيه من  
عمر بن الخطاب مشابه كثيرة ، وهو حفيده من جهة الأم ، وعلى نهجه فى إقامة  
شرع الله فى الرعية ، وقد غمر الدنيا بعدله وصلاحه ..

### ● اليوم الثانى :

يزعم بعض من يجهل الحقيقة أن عبد الرحمن القس كان متبذلا فى حبى ، وهو  
الذى كانوا يشبهونه فى مكة بالفقيه العظيم عطاء بن أبى رباح ..!

ووالله ماتبذل عبد الرحمن يوما فى حبى ، ولا نسى أن الله تعالى مطلع عليه !..  
وما سمع غنائى - أول مرة - إلا مصادفة وعلى غير تعمد منه ، فإنه مر بعد صلاة  
العشاء بدار سيدى - وكنا بمكة - فسمع غنائى ينبعث من النوافذ المفتوحة ، وكنا  
فى الصيف .. فوقف لحظة يسمع على غير رغبة ، فرأه مولاى فدعاه أن يدخل  
ليسمعنى ، فأبى عليه ، فقال له : إنى أقعدك فى مكان تسمع منها ولا تراها  
فقال : أما هذا فنعم ، فأدخله الدار وأجلسه وسمعنى ، فلما فرغت من غنائى  
غمرنى مولاى فخرجت عليهما من وراء الستار كأننى البدر فى تمامه ، فرأنى القس  
فعلق قلبه بى ، وطفق يسبح ويذكر الله ، ويحاول أن يهرب مما علق بقلبه منى !..  
ثم صار يتردد علينا ، فيقعدنى سيدى بين يديه فأغنى ، حتى شغف بى وشغفت  
به ، وعرف ذلك أهل مكة .. وقالوا لسيدى الذى كان يملكنى هناك قبل أن أصير  
جارية لسهيل بن عبد الرحمن فى المدينة :

- أيها الرجل قد أفسدت الرجل الصالح بغناء جاريتك !..

قال لهم :

- لا .. والله !.. ولكنى أصلحت جاريتى !..

وحملنى شغفى به ، وقد غنيته يوما وخلا لنا المكان ، أن أقول له :

- أنا والله أحبك !..

قال وقد علت وجهه حمرة الحياء :

- وأنا والله أحبك !..  
قلت أغريه  
- وأحب أن أضع فمى على فمك !..  
قال وقد اضطرب وتحير :  
- وأنا والله أحب ذاك !..  
قلت أستحثه على الخطوة الأخيرة :  
- فما يمنعك .. فوالله إن المكان لخال !..  
أطرق القس شيئاً ثم رفع رأسه والدمع فى عينيه وقال لى :  
- يمنعنى منه قول الله عز وجل : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .. وأنا أكره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة ..  
ثم خرج من عندى وهو يبكى ، فما عاد بعد ذلك ، وانهمك فى النسيك ، وقال  
قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها  
فأعجب لما قاتى به الأيام  
فاليوم أعذرهم وأعلم أنما  
سبل الضلالة والهدى أقسام  
وهو الذى كان أيام حبه لى ، يصف صوتى فيقول :  
الم ترها لا يبعد الله دارها  
إذا رجعت فى صوتها كيف تصنع  
تمد نظام القول ثم ترده  
إلى صلصل فى صوتها يترجع  
ويقول :  
سلام هل لى منكم ناصر  
ام هل لى عنكم زاجر  
قد سمع الناس بوجدى بكم  
فمنهم اللائم والعاذر  
فهذه والله حكايتى مع عبد الرحمن القس ، وما رأيته منذ فارقت مكة راقمت فى  
المدينة !..

### ● اليوم الثالث :

قدم إلى المدينة حاكم جديد ، فأمر بإخراج المغنين والمغنيات من المدينة بعد  
أيام حددها لخروجهم .. وكان الرجل الصالح ابن أبى عتيق الذى يحب سماعى ،

غائبا عن المدينة ، فعاد فى آخر ليلة من لىالى الأجل الذى ضربه الوالى لخروج  
المغنين والمغنيات ، فمر بدارنا ، فسلم علينا فقلت له

- ياسيدى ما أغفلك عن أمرنا !..

وأخبرته الخبر .. فخرج فاستأذن على الوالى وقال له :

- جزاك الله خيرا على ما فعلت من إخراج أهل الغناء والفساد ، وأرجو ألا تكون  
عملت عملا هو خير لك من ذلك !..

قالى الوالى

- أصحابك الصلحاء أشاروا علىّ أن أفعل وقد فعلت ..

قال ابن أبى عتيق :

- قد أصبت - أصلحك الله - ولكن ماتقول فى جارية هذه صناعتها يكرهها عليها  
ذوها إكراها ، فتركت الغناء وأقبلت على الصلاة والصوم والخير !؟ ..

- فإنى لا أخرجها من المدينة !..

- الخير - أصلحك الله - أن تأتيك هذه الجارية فتسمع من كلامها وتنظر إليها  
فإنها محدثة لبقة ذات علم ..

ذهبت إلى الوالى فحدثته ، فوجدنى من أعلم الناس بالناس - كما قال لى - لأنى  
حدثته عن أبائه وأحوالهم وأمجادهم ، ففكه لذلك وطرب !..

وكان ابن أبى عتيق حاضرا فقال لى :

- أقرئى للأمير قرأنا ..

فقرأت له ، فقال الأمير : هذه أصح قراءة وأجملها ، وقال لى ابن أبى عتيق :

فأسمعى الأمير - أصلحه الله - شيئا من الحدا ..

فحدوت له حدا لا يحسنه الحداة المحترفون وراء الأبل فى صحراء نجد ، حتى  
كثرت تعجب الوالى ، فقال له ابن أبى عتيق من فوره :

- فكيف لو سمعتها أيها الأمير - أعزك الله - فى صناعتها .. الغناء ؟!..  
فتردد الأمير قليلا ثم أمرنى فغنيت ، فأحسننت ماشئت ، وجئت فى غنائى بما  
يشبه السحر ، حتى نهض الوالى من سريره فقعد على البساط بين يديّ ، وصاح  
وقد استبد به الطرب

- لا والله يا ابن أبى عتيق .. مامثل هذه تخرج من المدينة أبدا !..

فلما هدأت سورة الطرب فى جوانح الأمير قال له الشيخ :

- أيها الأمير .. لو تركت سلامة وحدها فى المدينة ، لقال الناس : ترك الأمير  
سلامة وحدها وأخرج غيرها !.. ثم لا يدعك الناس من أقاويلهم الكاذبة !.. فما أنت  
صانع أيها الأمير أصلحك الله ؟!..

قال الأمير فى حسم :  
- إذن لا يخرج من المدينة أحد من المغنين والمغنيات مادامت فيها سلامة ! ..

#### ● اليوم الرابع :

مات عمر بن عبد العزيز .. أحزننا موته ! تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك ، فكان أول ما قاله : « ما يقر عينى ما أوتيت من الملك حتى أشتري سلامة وحبابة » !..

وماهى إلا مدة يسيرة حتى قدم رسل يزيد بن عبد الملك إلى المدينة ، فاشترى حبابة ، ثم اشترونى ، وبلغ ثمنى عشرين ألف دينار قبضها ابن سهيل مغتبطا بالثروة التى هبطت عليه ، ولكنه قال لى :

- والله ماتقر عينى بهذا المال كما تقر برؤيتك وسماعك !.. ولكن لابد من إجابة يزيد بن عبد الملك إلى ما أراد !..

خرجت من المدينة فشيئاً فخلق كثير ، فوقفت بينهم أودعهم ومعى العود ، فغنيتهم

#### فارقونى وقد علمت يقينا

##### ما لمن ذاق ميتة من إياب

ثم ركب متأهباً للرحيل ، فانتحب الناس بالبكاء ، وتحركت الركاب بى وحبابة ، فى اتجاه دمشق !..

فلما دخلنا إلى يزيد بن عبد الملك فى قصره ، أشرق وجهه بالنور ، وقال وهو يفتح ذراعيه لحبابة ولى

#### فألت عصاها واستقر بها النوى

##### كما قر عينا بالإياب المسافرين

ثم قال

- ماشاء بعدُ من أمر الدنيا فليفتنى ، فقد ملكت سلامة جارية ابن سهيل الزهرى ، وحبابة جارية آل لاحق !..

وخيل إلى أن الزهريين واللاحقيين قد أصبحوا أعظم الناس .. ألم يذكرهم الخليفة وكأنه أخذنا منهم سبائاً فى حرب طاحنة !..

لم يتركنا يزيد للراحة إلا قليلاً ، ثم أمرنى فغنيت فى شعر عبد الرحمن القس :

#### الا قل لهذا القلب هل أنت مبصر

##### وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر



ألا ليت أنى حين صار بها النوى  
جليس لسلمى حيثما عج مزهر  
إذا أخذت فى الصوت كاد جليسا  
يطير اليها قلبه حين ينظر  
كان حماما مستهما مؤديا  
إذا نطقت من صدرها يقشعر

فطرب يزيد طربا شديدا ، ثم تفكر لحظة وسألنى :  
- يا حبيبتى .. من قاتل هذا الشعر ؟!  
فقصصت عليه القصة ، فرق للقس ولى ، وقال :  
- أحسن الرجل الصالح ، وأحسنت ياسلامة !..

### ● اليوم الخامس :

فى الأيام الأولى لنزولنا أنا وحبابة فى قصر يزيد بن عبد الملك كانت حبابة تنظر لى بعين الإجلال والتعظيم لما سلف لى من الفضل عليها فى تعليمها ..  
ولكن يزيد بن عبد الملك مال اليها وخصها بحب مفرط ، وتدلّه بها حتى عجبت هى نفسها من تدله الخليفة بها وهى جارية ملك يمينه .. ثم تغيرت معاملتها لى حين رأت تفضيل الخليفة إياها لأنها مفرطة الجمال ، وأما أنا فمغنية بارعة ولكنى لست فى مثل جمال وجهها !..

قلت لحبابة

- ويحك يا حبابة .. أين تأديب الغناء وأين حق التعليم ؟!.. أنسيت قول جميلة لك يوما وهى تطارحنا الألمان : خذى إحكام ما أطارك به من سلامة ، ولن تزالى بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفا ..

قالت لى حبابة :

- صدقت يا خليلتى .. والله لا عدت إلى شىء تكرهينه أبدا !..

ماتت حبابة إذ شرقت بحبة عنب رماها يزيد بن عبد الملك فى فمها مداعبا وهو يؤاكلها ..

حزن يزيد عليها ورفض دفنها ثلاثة أيام بعد موتها حتى أنتنت ، وأقنعوه بدفنها .. فلما مضت أيام اشتاق إليها فنبش قبرها وأخرجها وقد تغيرت جنتها وتشوهت ، فقبل له

- ألا ترى ما فعل الموت بها ؟!..

قال فى جنون

- مارأيتها قط أجمل مما أراها الآن! ..

فأخذوها منه قسرا وأعادوا دفنها .. ومضوا به إلى قصره ..

واليوم فارقنا يزيد بن عبد الملك! ... سمع الناس صوتي وأنا أنوح عليه .. ثم  
صحت : وا أمير المؤمنين! ... فعرف الناس أنه مات .. وجاء ولي عهده هشام بن  
عبد الملك الذي أصبح خليفة فسكّنتي وأمرني بالاحتشام فامتثلت لأمره ..  
وهشام لا يبالي بغنائى ولا يهمه أمر الغناء كله فى شيء .. ولا أدري ماتأتى به  
الأيام! ..

يوميات حباية

---

## للحب وقت وللموت وقت



## ● اليوم الأول

أول من ملَّكَنِي وأنا جارية صغيرة ناشئة فى صناعة الغناء ، يدعى « ابن مينا » على يديه كانت بداية تخرجى فى الغناء وتأدى وتعلمى ، ثم اشترانى رجل يعرف بابن رمانة ، فمكثت عنده قليلا فسمعتنى بعض المكيين من هواة الغناء فاشترانى أخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز ومالك بن أبى السمع ومعبد، وعن جميلة وعزة الميلاء ، وهؤلاء سادة فن الغناء من الرجال والنساء فى مكة والمدينة ، لا ينافونهم فيه أحد ..

زاملتنى فى طلب هذا الفن عند هؤلاء الأساتذة الكبار ، صديقتى وحبيبتى : « سلامة » التى سماها أهل المدينة : « سلامة القس » لما اشتهرت قصة حبها لعبد الرحمن القس ، وحبها لها ..

وعن استاذتنا الجميلة أخذنا أسرار صناعة الغناء ، فلها الفضل الأكبر علينا ، وكانت سلامة أحذق منى وأسرع فى فهم الألحان وغنائها على وجهها الصحيح ، فكانت جميلة تأمرها بمطارحتى الألحان حتى أتقنها ، فصار لسلامة عندى فضل التعليم ، فلولاها ما أتقنت الغناء !..

اشتهرت أنا وسلامة معا بإجادة الغناء ، واشتهرت أنا الى ذلك بحلاوة الوجه والظرف والرشاقة والجمال الفائق .. حتى سمانى الناس « العالية » ! زار المدينة يزيد بن عبد الملك ، نائبا عن أخيه سليمان بن عبد الملك الخليفة فى دمشق ، فحدثوه عنى وعن سلامة ، فجاء يسمعا فأدخلت الى مجلسه وأنا فى إزار له ذئبان ، وببى دق أنقر عليه وأغنى .

ثم دخلت سلامة ففنته أيضا أجمل غناء .. فبلغنا بعد انصرافه ، أنه قال : « ماتقَرُّ عينى فى هذه الدنيا حتى أشتري حباية وسلامة » ! .. فقيل له : « ولماذا لم تشتريهما وفى يدك المال ؟ » . قال : « لو فعلت ذلك وبلغ أخى سليمان ، لأمر بالحجر على ، لأنه يرى مثل هذا العمل سفها يستحق الحجر » ! ..

## ● اليوم الثانى :

مرت أيام الخليفة سليمان بن عبد الملك القصيرة ، ثم مرت من بعده أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز الخاطفة ، ونودى بيزيد بن عبد الملك خليفة فى دمشق ..

حضر رسل السيدة « أم الحجاج » وهى أم الطفل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وأعلنوا أنهم يريدون شرائى وشراء سلامة ، وشاع فى المدينة انها تريد إهداءنا الى زوجها الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك ، لعلمها بشغفه بنا فسبقتة الى شرائنا لتكون هديتها اليه حتى توطىء لابنها عنده فى ولاية العهد .. دخلنا قصر الخليفة فى دمشق يوم جمعة وهو متأهب للصلاة ، فسمعناه يقول لأخيه مسلمة بن عبد الملك :

- بماذا كان عمر بن عبد العزيز معدودا عند الناس فى الخلفاء الصالحين ، وبماذا صار أرجى لربه عز وجل منى ؟!  
قال مسلمة

- بعدله وتقواه وعفافه وزهده ونظره فى مصلحة الرعية !  
قال يزيد

- فأنا أسير على جادته إن شاء الله ..  
فلما فرغ من الصلاة ، عاد الى القصر ، وأمر فأحضرولى وسلامة بين يديه ، وتغنيت فى شعر الأحوص ولحن معبد

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى  
فكن حجرا من يابس الصخر جلما  
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهى  
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

فطرب يزيد طربا شديدا ، وأمر لى بجائزة من جوهر ولؤلؤ ، وأرسل إلى الأحوص أربعين ألف درهم ..  
وانشغل بى يزيد ليلا ونهارا ، فأيقنت أنه أحبنى حبا ملك شغاف قلبه ، فلا فكاك له منى ..

وجاء أخوه مسلمة بن عبد الملك يقول له : - يا أمير المؤمنين .. إنك وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وهو من تعلم عدلا وصلاحا ورعيا للناس ، وأنت مقيم على الغناء والشراب ، وقد تشاغلت بهذه الجارية عن النظر فى الأمور ... والوفود واقفة ببابك قادمة من أقصى خراسان وأقصى الأندلس ، وأصحاب الظلمات يصيحون فى طلب العدل وأنت غافل عنهم ! .

فوجم يزيد وتفكر مليا ثم قال لأخيه  
- صدقت والله ، فلا جلست هذا المجلس بعد اليوم ، ولا انشغلت الا لما كان عمر بن عبد العزيز ينشغى به من العمل الصالح ! ..  
● اليوم الثالث :

مكثت أياما لا أرى يزيد ولا يدعولى ، فلما كانت صلاة الجمعة وأراد الخروج لها ، تصديت له والعود فى يدى ، وتغنيت : « وما العيش إلا ما تلذ وتشتهى » !  
فغطى وجهه وقال لى مه ! .. لاتفعلى هذا ! .. لاتغنى !

ولكنى لم أكف عن الغناء ، فتوقف ثم عدل إلى ناحيتى وجلس متحيرا ، فغنيتة

وعهدى بها صفراء رودا كأنما نضا غرقُ منها على اللون مجسدا  
مهفهفة الأعلى واسفل خلقها جرى لحمه مادون أن يتخذدا  
من المدمجات اللحم جدلا كأنها عنان صناع مدمج القتل محصدا  
كان ذكى المسك بارٍ وقد بدت وريح خزامى طلة تنفج الندى

فطرب يزيد طربا شديدا ، وصاح  
- لعن الله من لامنى فيك ! .. يا غلام .. قل لمسلمة أن يصلى بالناس ' ..  
وأقام معى يسمع ، وعاود ما كان فيه !  
ثم جاءه أخوه مسلمة - وهو رجل صالح حقا - فقال له  
- ضيعت حوائج الناس ، واحتجبت عنهم .. أترى هذا مستقيما لك ، وقد  
تركت شهود الجمعة الجامعة ، وقعدت فى منزلك مع هذه الاماء المغنيات ؟  
فلما انصرف مسلمة قال لى يزيد  
- هذا أخى الأكبر ، وهو رجل الحرب والسياسة فى دولة بنى أمية الآن ، ولو  
لم تكن أمه جارية رومية من جوارى أبى عبد الملك ، لكان مسلمة هذا أحق أبناء  
عبد الملك بالخلافة من بعده ! ..

فغضبت وقلت .  
- أترى أبناء الجوارى أقل شأنًا من أبناء الزوجات العربيات ؟ .. فما تصنع  
إذن لو جئت أنا منك بغلام ؟ .. أتعهد له بالخلافة أم لابن زوجة من زوجاتك  
العربيات ؟ ..

وخرجت من عنده مغضبة ، فلما طال غضبى عليه وهجرى إياه ، دعا خصيا  
من غلمان القصر وقال له : انطلق فانظر أى شىء تصنع حباية الآن !  
فوجدنى الخادم مؤترزة بيزار أحمر أصفر مطيب بأنواع العطور الفاخرة ،  
وللتوب ذيلان طويلان ، وأنا الهو والعجب بالعابى ، فوقف الغلام قبالتى لحظة ثم  
عاد إلى يزيد فأخبره ، فشق عليه انشغالى عنه ، وأراد أن يغيظنى ، فدعا  
بسلامة وأمرها أن تغنى بحيث أسمع غناءها :

فقلت ألا ياليت أسماء اصقبت وهل قول ليت جامع ماتبددا  
وإنى لأهوها وأهوى لقاءها كما يشتهى الصاوى الشراب المبردا

فعلمت أن سلامة تخاطبني بهذا الشعر ، وتناشدنى أن « أصاقب » أو أدنو بعد الابتعاد  
وتؤكد ما يحمله يزيد لى من الهوى المبرح والظمأ إلى الصلح بعد الخصام ! ..

فحمدت لسلامة سعيها لوصل ما انقطع بيني وبين يزيد وقلت في نفسي : « والله لا ترى سلامة منى الا خيرا ماعشت ! .. وإنها لخليفتي حقا ، ولا أمسها بشيء تكرهه أبدا مهما حظيت أنا عند يزيد ، وتخلفت هي عني في الخطوة عنده » .. !  
فمشيت على مهل حتى بلغت مجلسهما فتوقفت سلامة عن الغناء ووثب يزيد فاعتنقتني فرحا بوصالي ، وجلست فغنيت في شعر جرير :

ألا حي الديار بسعد ، إنى      أحب لحب فاطمة الديارا  
أراد الضاعنون ليحزنوني      فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فطرب يزيد حتى أوشك أن يفقد صوابه وصاح : هل أطير ؟! .. فرددت عليه متفترية متدللة والى من تدع الناس بعدك ياسيدى ؟! .. قال : إليك ! ..  
ثم قال لى مبهورا :  
- هل رأيت أحدا أطرب منى فى جميع الناس ؟!  
قلت  
- نعم معاوية بن عبد الله بن جعفر الهاشمى .

### ● اليوم الرابع

استدعى يزيد من المدينة ، معاوية بن عبد الله بن جعفر الذى قلت إنه أطرب الناس ، فأرسلت إلى معاوية قبل أن يدخل مجلسنا ألا يظهر امتعاضا مما يراه من أفعال يزيد حين يطرب .. فلما دخل مجلسنا غنيت فى شعر لابن قيس الرقيات ولحن لابن سريج :

حلق من بنى كنانة حولي      بفلسطين يسرعون الركوبا  
هزئت أن رأت مشيبي عرسى      لاتلومى ذوائبى أن تشيبا

فطرب يزيد وطرب معاوية بن عبد الله ولكنى سمعته يقول همسا : « سواة لى على كبر سننى أجالس هذا المائق » ! ..  
ثم كأنما خشى معاوية أن تفوته الجائزة من يزيد حين يرى قلة نشاطه لغنائى ، فقام معاوية فأخذ وسادة فوضعها فوق رأسه وقام يدور وينادى هو ويزيد فى إبهاء القصر : « الدخن بالنوى » .. وهذا نداء الباعة فى سوق دمشق على « اللوبيا » ..  
فأكبره يزيد لما رأى من مسابرة له فى طربه وطريقة تعبيره عن الطرب ، وأمر له بتعانية آلاف دينار ، وهى جائزة لم يأخذ منه مثلها أحد قط ! ..

لم يكد معاوية بن عبد الله ينصرف حتى دخل رجل كنت وصفته ليزيد بشدة الطرب ،  
فغنىت

تشط غدا دار جيراننا      وللدار بعد غد أبعد

فوثب الرجل حتى القى نفسه على نار شمعة كبيرة فأمسكت النار بلحيته ، فجعل يقفز  
هنا وهناك في القصر ويصيح : الحريق .. الحريق .. ياأيها الناس ! ..  
وضحك يزيد حتى استلقى على قفاه ، وقال :  
- لعمرى إن هذا لأطرب الناس ! ..  
ووصله بالكف دينار ! ..  
ويبدو أن ضجة مجلسنا هذا بلغت شيخا خراساني الأصل يعيش في القصر ، وهو من  
شيوخ يزيد ، لكنه أعجمي النطق ، وإن كان عالما بالعربية ..  
فجاء الشيخ فأقبل على يزيد يعظه وينهاه عما هو فيه من الغناء واللهو ، فقال له يزيد  
إجلس واسمع !  
فغنىت .

وقد كنت أتیکم بعله غیرکم      فافنیت علای فکیف أقول ؟

فطرب الشيخ وقال بلكنته الأعجمية لا .. فيف ! .. جعلنى الله فداك ياهاجبة ! .. يريد أن  
يقول : لاكيف ! .. جعلنى الله فداك ياهاجبة ! .. وذلك ردا على السؤال الذى فى آخر البيت :  
« فكيف أقول ؟! » ..  
ثم قال الشيخ ليزيد :  
- هذه جاريتك ملك يمينك ! .. ولا أقول لك : دعها ! ..  
وانصرف الشيخ ، ودخل مسلمة بن عبد الملك ، كعادته يعظ أخاه ويحذره عاقبة أمره ،  
ويذكره بسيرة ابن عمه الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ..  
وسمع يزيد الموعظة مطرقا ، ونظرت الى دموعه تنحدر ! ..  
وانصرف مسلمة ، وكأنه رأى أن موعظته هذه المرة أوجعت أخاه وأقنعتة ! ..



يوميات أحمد بن أسامة :

---

## مخترع النصب



الناس يسموننى أحمد النصبى ، وإنما أنا أحمد بن أسامة الهمدانى ، من صميم قبيلة همدان العظيمة .. عشقت الغناء ، فقليل : هذا العاشق الغاوى ، وماغويت والله ولكنى وجدت فى الغناء لذة للنفس والقلب تكتمل بها لذة الشعر ، ولا تنتقص من المروءة شيئاً ..

ولقبى الذى التزق باسمى ، مأخوذ من "النصب" - بسكون الصاد - وهو ضرب من الغناء الرقيق يشبه الحداء ، وماهو بالحداء ولا هو بالغناء الذى لا يصلح ألا بالضرب على العود ..

وأنا صاحب هذا اللون من الغناء .. اخترعته اختراعاً ، وغنيته على الطنبور ، وأحدثت فيه ألحانا كثيرة بارعة يعجز عن مثلها جميع الطنبوريين ، وكثير من أصحاب الغناء المتقن الضاربين بالعيدان ..

فلما كثرت الأنصاف التى غنيتها على الطنبور ، واشتهرت فى العراق والشام والحجاز ، قلدى الطنبوريون فى غناء "النصب" ولم أجد فيهم من جاء بصنعة حسنة ، لأنهم لا يعرفون سر الصناعة التى أنا وحدى صاحبها فى هذا اللون من الغناء ..

وبلغنى أن ابن مسجح وابن محرز وابن سريج ، سمعوا أنصابى من بعض الرواة ، فأعجبتهم ، وحسبك بإعجاب هؤلاء المغنين الفحول من شهادة لى ، مع أنهم يغنون على العود الغناء المتقن ، ويرون الغناء على الطنبور باطلاً !..

وقد كسب هؤلاء وغيرهم من خدمة الكبراء والخلفاء ، أما أنا فلم أخدم بغنائى خليفة ولا والياً ، ولم أنظم الشعر ، وأكثر غنائى فى شعر أعشى همدان ، فبأنى لم أزل مواخياً له منذ الصبا .. وهو همدانى مثلى ، وشاعر مُفْلِقٌ فى طليعة الشعراء ..

وكثيراً مايقول لى الأعشى :

- ما أراك زهدت فى خدمة الكبراء والوزراء بغنائك إلا اكتفاء بما آفاه الله عليك من اليسار .. ولو كنت محتاجاً إلى المال ، لدخلت فى خدمتهم كما دخل غيرك .. وقد تعلم مااجتناه مغنومكة والمدينة من الثمرات بغنائهم فى مجالس أولئك السادة الكرام .. وأنت مقيم بالكوفة لا تقصدهم ..

فأقول للأعشى :

- بلى والله ، فإننى لا أغنى إلا تلذذاً بالغناء !..

مع ذلك يزعم أهل الكوفة أنى شديد البخل ، وأنى أقرض الناس بالربا !.. وهذا كله باطل ، فما أنا بالبخل ولا بالمرابى ، ولكنى رجل لا أنفق المال فى غير موضعه ، ولا أعطى من يسألنى بغير حق .. وكل من يرمىنى بنقيصة فليس يخلو

من أن يكون كاذبا أو حاقدا .. فأنا رجل كريم ، شجاع ، حاربت فى عسكر الحجاج ابن يوسف الثقفى ، وأبليت أحسن البلاء ، ومازلت ألبى كل دعوة إلى القتال ، وإن الحجاج لكثير الحروب ، لكثرة الخارجين عليه وعلى بنى أمية ، وما أنا بالمحب للحجاج وسياسته ولكنى مقاتل لا أقعد مع القاعدين !!

### ● اليوم الثانى :

● عدت من غزوة فى بلاد العجم وكان أعشى همدان معى فى المقاتلة ، فلما فرغنا من الغزاة وأخذنا طريقنا عائدين إلى الكوفة ، نزلنا فى "ساباط المدائن" على رجل كريم لم يكن يعرفنا وهو سليم بن صالح بن سعد العنبرى ، فأحسن الرجل استقبالنا ، وأطعمنا وسقانا ، وأمر لدوابنا بالعلوفة .. ثم سامرنا ساعة واستأذن فى الانصراف ، ليبيت فى سطح منزله ، وكان مبيتنا نحن فى أحسن حجرات المنزل ..

فلما انصرف قلت لأعشى همدان :

- أما رأيت جميل صنع هذا الرجل بنا ؟! .. انه والله سخى ذو مروءة يستحق أن تمدحه بشعرك !!

قال الأعشى

- نعم وكرامة ، ولكنى اشترط أن تصنع لحنا فى هذا الشعر ، تغنيه فنتسلى به حتى ننام ، أو نسهر على سماعه إلى مطلع الفجر ..

ثم تحرك الأعشى فأخذ ينشد شبه مرتجل قصيدة طويلة فى مدح الرجل ، أخذت منها الأبيات الأولى وهى فى الغزل :

يا أيها القلب المطيع الهوى      أنى اعتراك الطرب النازح  
تذكر جُملاً وَمِنْ نَأْيِهَا      طار شعاعا قلبك الطامح  
يا جُمْلُ ما حببى لكم زائل      عنى ولا عن كبدى نازح

فلحنت الأبيات ، وغنيتها وأنا أضرب بقضيب على دواة ، والأعشى ينعر طربا ويستعيدنى ، حتى ظننت أن أهل الحى كلهم قد استيقظوا من نومهم ، فقلت له مستنكرا أو معاتبا :

- أيقظت بصياحك الناس ، ولا أستطيع تسكينك ، ولو سمعنا صاحب الدار لاستخف بنا ، واستقل مروعتنا ، واعتقد أنه أخطأ إذ أنزلنا فى بيته !!

قال لى الأعشى غير مبال بعتابى :

- ومن الذى يسمع أنصابك هذه ولا يصيح طربا ؟! .. فاسكت أنت عن

الغناء ، فإنما صياحي من أثر غنائك فى قلبى !.. كأنك أوقدت فى قلبى نارا !..

فبينما نحن كذلك دخل علينا صاحب المنزل ، فقال :  
- سمعت شعرا ماسمعت أحسن منه ، وغناء لا يقدر على مثله أحد من حذاق المغنين .. فهلا أخبرتماني من أنتما .. أمتع الله بكما ، وزادكما فضلا ومروءة ؟!..

قلت له  
- الشعر لهذا الرجل ، وهو الشاعر المشهور أعشى همدان ، والغناء لى ، وأنا أحمد النصبى الهمدانى !..  
فانكب الرجل على رأس الأعشى فأشبعه تقبيلا ، وقال له وهو يكاد يبكى تأثرا وسرورا :

- ياسيدى .. مدحتنى بشعر تتمنى مثله الملوك ، وماصنعت لك شيئا أستحق به مدحك !..

ثم تحول ناحيتى فأشبع رأسى أنا أيضا تقبيلا ، وقال لى  
- ياسيدى .. والله ماظننت أن زمانى يبلغنى هذا الأمل ، فأسمع غناك فى شعر يمدحتنى به أعشى همدان ..

فقممت فأقعدت الرجل وهدأت من روعه ، وقلت له :  
- والله ماصدق الأعشى قط فى مدح أحد ، صدقه فى مدحك ، لأنه جاء من طبعه ومحبه ، لا من جائزة ينتظرها ..  
قال الرجل :

- كتمتاني أنفسكما ، وأوشكتما أن تفارقاني ولم أعرفكما ولم أعلم خبركما ، فوالله ماتطيب نفسى برحيلكما عنى أبدا !..

فأقمنا عند الرجل شهرا ، ثم حملنا على فرسين ، وقال :  
- خلفا عندى دوايكما ، فإنى أظنكما راجعين إلى الغزو .. فإذا عدتما بالسلامة إن شاء الله ، نزلتما عندى !..

فانصرفنا ، وكان الرجل ذكيا إذ عرف أننا راجعان إلى الحرب التى كنا فيها منذ مدة يسيرة !.. والحجاج بن يوسف الثقفى لا تنتهى حروبه ، فالناس يخرجون عليه فى كل يوم لكثرة مظالمه وشدة بطشه وطفيانه ، ويفضلون الموت على الحياة .. ووالله ماذهب إلى الحرب امتثالا لأمره ، بل رغبة فى جمع كلمة المسلمين ورأب صدعهم !..

### ● اليوم الثالث

ينسى المرء فى الحرب كل مباهج السلام .. فلا يذكر الشعر ولا الغناء ولا الحب ، فإن ذكر شيئا من ذلك ، مر على خاطره مرور الغيمة السوداء ، كأنه يتذكر ماضيا أصبح رجوعه مستحيلا ..

وقد يهجم المقاتل على الأعداء وهو يرتجز ، ولكن الشعر الحقيقى لا يولد بين صليل السيوف !..

وكذلك الغناء !.. فإنى أنسى فى المعركة وقبل المعركة وبعدها أننى مغن وأن لى مذهبا خاصا فى الغناء ، وطنبورا أغنى عليه .. وأنسى أسماء المغنين والمغنيات الذين سمعتهن فى مكة والمدينة ، وامتلات من غنائهم طربا حتى ظننت أن الدنيا هى الغناء ، والناس هم المغنون !..

جلست مع الأعشى عقب اشتباك دموى مع العدو ، وقد حجز الليل بين المتحاربين ، فقلت للأعشى :

- أتذكر يا أعشى قصيدتك فى سليم بن صالح العنبرى ؟!..

- نعم وكيف أنساها ، وقد غنيتنى فى أبياتها الأولى الغزلية ؟!

- إنى تذكرت الآن قولك فى هذه القصيدة :

إنى لمن سالمت سلم ومن عاديت أمسى وله ناطح  
فى الرأس منه وعلى أنفه من نغماتى ميسم لائح  
والخيل تعلم يوم الوغى أنك من جمرتها ناضح

فأنت فى هذه الأبيات تزعم أنك تسالم من يسالم سليم بن صالح ، وتنطح من يعاديه حتى يلوح على أنفه وفى رأسه ميسم من النطح الشديد !.. فماذا تقول لو دعاك الحجاج إلى هجاء سليم بن صالح ونطحه على رأسه وأنفه ؟!..

تفكر الأعشى ساعة مطرقا عابسا كأنه لا يحير جوابا ، ثم لجج قائلا :

- لا أراه يدعونى .. وإنما يحتاج الحجاج إلى سيوفنا لا إلى السننتنا !..  
وماذا بينه وبين سليم بن صالح مما يدعو به إلى طلب هجائه ؟!..

وتضاحك الأعشى قائلا :

- ما أظن أن الحجاج يخطر بباله أن مغنيا عظيما مثلك يحارب فى صفوف جيشه !.. ولو علم أنك تغنى لأعفاك من القتال مع أنه لا يعفى منه أحدا !..

### ● اليوم الرابع

انتهت هذه الموقعة ، ولا ندرى ونحن عائدان إلى ديارنا متى تنشب معركة أخرى ..

قلت للأعشى :

- نمر على ديار سليم بن صالح العنبرى ، كما وعدناه ، وأسألك إذا بلغنا منزله أن تمدحه بقصيدة جديدة ..

فلما شارفنا منزل سليم بن صالح رأيت على سطحه ثعلبا فدهشت ، لأن عهدى بالمنزل أنه معمور محروس ، فكيف طرقه الثعلب وصعد فوقه ؟!..

قلت للأعشى متوجسا شرا :

- إنى أرى عجبا !..

- ماهو ؟!..

- أرى فوق قصر سليم ثعلبا !..

فوجم الأعشى ووقف ، وقال :

- لئن كنت صادقا فما بقى فى القرية أحد !..

- وكيف يقع مثل هذا الحادث العجيب الرهيب ؟!..

- لعل الطاعون أصابهم !..

- فكيف ندخل قرية أصابها الطاعون ؟!..

- إن الطاعون لا يبقى فيها بعد أن قتل أهلها !..

وأمسك بيدى فمضينا صوب القرية وأنا خائف ، ولا أدري أكان هو خائفا مثلى أم كان كعادته مغامرا لا يبالى شيئا ..

مشينا فى طرقات القرية فلم نجد أحدا من أهلها ، إلا شيخا حطمته الأيام والأحزان ، فسألناه عن خبر القرية وأهلها وسليم بن صالح سيد القرية ..

لم يسمع الرجل كلامنا إلا بصعوبة ، ولم يجب عنه إلا بصعوبة ، ولكننا فهمنا القصة ، فإن الحجاج الطاغية قبض على "سليم بن صالح" وطالبه بمال عظيم لا يقدر على جمع نصفه ولا ربعه ، فبيعت كل أملاكه ، وخربت القرية ، وتفرق أهلها ، بعد أن أهلك الحجاج أكثرهم !..

- وابن ذهب سليم بن صالح ؟!

قال الرجل وقد غلبه اليكاء :

- باعه الحجاج عبداً فى سوق الرقيق !..

أذهلنا هذا النبأ ، وصاح الأعشى مستنكراً :

- وهل يحل له هذا البيع ، وسليم بن صالح رجل حر لم يمسه الرق ، ولم

يأسره فى حرب ، وهو مسلم فى دار الاسلام ؟!

قلت للأعشى وقد انكسرت وخامرني الكمد

- وأنى شيء لم يستحله الحجاج ؟!

ومضينا إلى الكوفة ، نقصد منازلنا ومن فيها من الأهل والولد ، ولكننا كنا

مثقلين بالأحزان

لم نكد ندخل الكوفة حتى فوجئنا بسليم بن صالح وقد خرج من بعض بيوت

أشراقها ، ومعه بعض آله الأقربين ، فطردنا اليه تقبل رأسه ونبكي ونسأله عن

قصته ..

قال سليم بن صالح :

- لا بأس علينا الآن أنا ومن بقى من قومي ، فإن صاحب هذا البيت الكريم

من أشراف الكوفة " اشترانى " وأعتقنى لوجه الله !..





يوميات ابن عائشة :

## الوليد والساقى



## ● اليوم الأول :

اسمى محمد ، وأمى اسمها عائشة .. والناس يسموننى "ابن عائشة" .. وقد سألت أمى مرة عن اسم أبى فقالت : كان - رحمه الله - يسمى جعفرا !.. قلت لها : أَوَقَدْ مات ؟!.. قالت نعم .. مات منذ كنت رضيعا لا تعقل شيئا !..

نشأت أمى مملوكة لبعض القرشيين فى المدينة المنورة فلما ولدتنى نشأت مملوكا مثلها .. ثم صرت صبيا ، وصارت هى ماشطة تدخل بيوت السادة وأهل الثراء لتمشط نساءهم وجواريتهم ، فكنت أدخل معها أمسك بذيلها وأنا أكار أقع على الأرض لصفر سننى وضعف بدنى ، فإذا دخلت معها إلى البيوت قالت النسوة : هذا ابن عائشة !.. خذ هذه الحلوى يا ابن عائشة !.. هل تأكل أو تشرب شيئا يا ابن عائشة ؟!.. فقلب هذا الاسم على نسبى ، ولم يعد يذكر أبى أحد ، حتى كان بعض الناس يتغامزون على أمى ، ويتهايمسون : من أى الرجال جاءت بهذا الغلام ؟!.. فلا سامحهم الله ، وسامح الله أبى الذى لم أره ولا أعرفه !..

عشقت فن الغناء صغيرا أخذته عن سيد مطربى المدينة "معيد" وتلميذه "مالك" .. وصار لى فيه شأن كبير حتى ساويتهما فى المكانة عند الخاصة والعامه !.. مع أنى لست بالضارب الجيد على العود ، وأحسن ما فى صناعتى الغنائية ، استهلال الألحان وبدايتها ، فأنا أحسن المطربين استهلالا فى الغناء ، بل أنا - والله - أحسنهم ابتداء وتوسعا وانتهاء ، بعد أستاذى معيد ، لا تتفوق صناعة أحد سواه على صناعتى .. على أننى - والله - أطيب منه صوتا بعد أن كبر وتغيرت نبرات صوته وتقاصرت أنفاسه !..

وأهل المدينة يحبوننى ويغمروننى برعايتهم وحمائتهم .. حدث منذ أيام أن رأى أحد أعيانهم خدشا فى جلد رقبتى فوق حنجرتى ، فسألنى مفضبا : من فعل هذا بك ؟! قلت : فلان !.. فمضى هذا الرجل الوقور العظيم المكانة فنزع ثيابه وجلس بقميص خفيف على باب بيت ذلك الرجل الذى خدش الجلد فوق حنجرتى !.. فلما خرج - وهو من أقربائه - أخذ بتلابيبه وضربه ضرباً شديدا ، والرجل يقول له : مَالَكْ تضربنى ؟!.. أى شىء صنعت ؟!.. وهو يضربه ولا يجيبه عن سؤاله حتى أدمى جلده ، ثم خلاه وأقبل على الناس الذين اجتمعوا يحجزون بينهما فقال : - هذا الأحمق الجاهل خدش حلق ابن عائشة .. أراد أن يكسر مزامير داود عليه

السلام !..

أما "أشعب" الظريف ملك الطفيليين وأبرع من يفهم الغناء ويقلد المغنين ، فإنه يقول دائما لأهل المدينة

- لا تتركوا ابن عائشة حتى تزوجه من أجمل المغنيات صوتا ، حتى يخرج لهما ولد يحمل فى حلقه مزامير داود !..

ويقول لى أشعب :

- أنت والله أظرف مجلسا وأكثر طيبا من أن تجالس هؤلاء الناس ، وإنك لتصلح أن تكون نديم خليفة أو سمير ملك !..

أما "جميلة" أستاذة جميع المغنيات ، فقالت لى :

- .. وأنت يا أبا جعفر .. فمع الخلفاء تصلح أن تكون !..

ولكننى سيىء المعاشرة للناس ، فإذا قال لى أحدهم : غن لنا شيئا !.. صحت فيه : ألمثلنى يقال هذا ؟ !.. وإن غنيت فقال لى : أحسنت !.. قلت : ألمثلنى يقال أحسنت ؟ !..

وإننى لأتبه وأتدل حتى على سيدى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، فإنه سألنى مرة أن أغنيه فامتنت ، فتوعدنى لئن لم أغنه مائة لحن ، ليأمرن بطرحى فى ماء البئر حتى أشرف على الغرق !.. واضطرت يومها أن أغنيه بدل الصوت الواحد ، مائة صوت !..

وقد سرنى يومئذ أن أهل المدينة جميعا اجتمعوا يسمعون هذه الأصوات المائة ، فما تشاغل أحد بشيء عن استماع غنائى ، ولا انصرف أحد إلى قضاء حاجة حتى أتممت الأصوات المائة ، ورفع الناس أصواتهم يقولون لى : أحسنت والله !.. أحسنت والله !.. ثم قاموا يزفوننى إلى منزلى بالمدينة كأننى عروس !..

## ● اليوم الثانى :

قصدت أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فى دمشق .. أدخلنى الحاجب فوجدت عنده حمادا الراوية ومعيدا سيد المغنين وتلميذه مالك بن أبى السمح .. فقال لى الوليد :

- أراك فى مقتبل الشباب وكنت اظنك شيخا لاستفاضة شهرتك !..

ثم قال لى غننى

وهى إذ ذاك عليها منزر

ولها بيت جوار من لعب

فغنيته ، فرمى إلى بثوبين فاخرين .. وقال : غننى :

طاف الخيال فمرحبا

ألفا برؤية زينبا

فغنيته ، فوقف يهتز طربا ، ونعر نكرة سمعها كل من فى القصر وأمر لى بألف دينار ، وغمرنى بالخلع السنية !..

فغضب معبد وقال

- يا أمير المؤمنين .. إننا مقبلون عليك ونحن شيوخ هذه الصناعة ، وإنك تركتنا بمزجر الكلب ، وجعلت همك كله فى غناء هذا الغلام !..

قال الخليفة

- والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحنى فى مثل الطناجير من حرارة غناؤه !..

ثم أمر الخليفة لمعبد ومالك بجوائز عظيمة فاقت جائزتى ، وأكثر لهما من الثياب الموشية وحقق الطيب ، حتى رضيا ، وأنصرفا ، وبقيت أنا فى حضرته .. فقال لى

- أعد ذلك الصوت الذى أثقلب فيه على الطناجير المحمية فى النار !..  
فلم أدر أى الصوتين يريد .. ففطن لذلك فقال لى :  
- أردت صوتك فى شعر أمرىء القيس !..  
فاندفعت أغنى الصوت من أوله :

عهدتنى ناشئا ذاغرة      رجل الجمة ذا بطن اقب  
اتبع الولدان أرخى مئزرى      ابن عشر ذا قريط من ذهب  
وهى إذ ذاك عليها مئزر      ولها بيت جوار من لعب

فأوشك أن يخرج من ثيابه طربا ، ونعر أشد من نعرته فى المرة الأولى ، فجاءت سلامة القس فجلست غير بعيد تسمع غنائى وتهز رأسها طربا ، وهى من هى براعة فى الغناء ، وجمالا فى الصوت ، ومعرفة بأصول الصناعة !..

وما أعجب تقلبات مزاج هذا الخليفة ، فإنه أمر فجأة بإسدال ستار يحجبه عنى ، فظننت أنه غضب من شىء ، وإذا به من وراء الستار يقول لى

- اتحفظ لحن ابن سريج « إنى رأيت صبيحة النفر » !؟

قلت :

- نعم يا أمير المؤمنين ، فإننى سمعته منه ..

فأمرنى فغنيت :

إنى رأيت صبيحة النفر حورا نفين عزيمة الصبر  
مثل الكواكب فى مطالعها بعد العشاء أطفن بالبدر  
وخرجت أبغى الأجر محتسبا فرجعت موفورا من الوزر

فرفع الوليد الستارة وصاح  
- يا غلام اسقنا بالسماء الرابعة !..  
فلم أفهم معنى قوله " السمااء الرابعة " وقلت لعله اسم إناء كبير من أوانهم  
الذهبية التى يطلقون عليها الاسماء العجيبة !..

ثم قال لى متودرا كأنتى أنا السلطان لا هو :  
- أحسنت والله يا أميرى !.. أعد بحق عبد شمس !..  
فقلت فى نفسى أترى كان الشيخ الوقور عبد شمس بن عبد مناف يرتاح  
ويطيب نفسا لو شاهد حفيده هذا وقد طرح أمور الحكم كلها وراء ظهره وتفرغ لما  
هو فيه

ثم أعدت عليه اللحن ، فقال لى  
- أحسنت أيها الأمير !.. أعد بحق أمية بن عبد شمس !..  
فزاد عجبى منه ، وأعدت اللحن فقال  
- أحسنت يا أميرى .. أعد بحياتى !..  
فأعدت .. فوثب يدور فى القصر من الطرب ، ثم هجم على فأكب يقبل رأسى ثم  
وجهى ثم صدرى ثم يدى ، فتراجعت وأنا لا أصدق ما أراه وقد ملأنى الدهول  
والخوف !..

ثم نزع ثيابه فألقاها لى كلها ، وبقي حتى أتوه بمثلها ، ووهب لى ألف دينار  
أخرى ، وحملنى على بغلة ، وقال لى متهدج الصوت  
- أركبها - بأبى أنت - وانصرف ، فقد تركتنى على مثل المقلى من حرارة  
غنائك !..

وجاءوا بالبغلة حتى وطئت البساط فركبتها وهى واقفة على بساطه ثم انصرفت  
وقد أيقنت أنه لا يوجد فى الدنيا كلها أطرب من هذا الرجل ، ولا أكرم منه عند  
الطرب ..

### ● اليوم الثالث :

فى طريقى من دمشق عائدا إلى المدينة بعد ذلك اليوم الذى لا أنساه عند الوليد  
بن يزيد ، مررت بوادى القرى ، ويعجبنى حب أهله للغناء .. ولا عجب فهم بين

المدينة والشام ، وانما تتردد أصداء الألحان بين هذين الموضعين !!  
لقبني فى وادى القرى رجل يشتهى الغناء أكثر مما يشتهى الحياة والمال  
والبنين !!

دنا منى وقال :

- فديتك !! أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟!

فصرخت فيه :

- ويلك !! أكافر أنت أم جاهل أم مجنون ؟! .. ألا تعلم أننى من موالى قريش ،  
وأُمى اسمها عائشة ، وحسبك هذا فلا تكثر من السؤال !!

وأعرضت عن هذا الجاهل الأحق ، فتمسح بى يسأل :

- ماهذا الذى بين يدك من المال والكسوة ؟!

قلت وقد ضقت به أشد الضيق :

- غنيت رجلا كريما فأطربته فأمر لى بهذا المال وهذه الكسوة !!

- جعلنى الله فداك .. فهل تمن على بأن تسمعنى ما أسمعته ذلك الرجل  
الكريم ؟!

- ويلك !! أمثلئى يقال له هذا فى الطريق ؟! .. ثم تجعل نفسك ندأ للعظماء  
فتطلب سماع ما أسمعتهم ؟!

وحركت بغلتي لأنصرف ، فعدا الرجل خلفى حتى لحقنى عند بعض البيوت ،  
فدخلت البيت - ولى فيه صديق - ومكثت طويلا لا أدعو الرجل حتى يضجر  
فينصرف ، فلما أعيانى طول صبره على الانتظار أمرت غلامى بإدخاله ..

قال متوسلا

- ياسيدى أنا رجل من وادى القرى اشتهى هذا الغناء !!  
قلت :

- هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟!

- وماذاك ؟!

- مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك فتطعمهم وتكسوهم  
وتسرههم !!

أطرق الرجل قليلا ثم قال :

- جعلت فداك .. والله إن لى لبنية مافى أذنها - علم الله - حلقة من الصفيح

فضلاً عن الذهب !... وان لى زوجة ما عليها - يشهد الله - قميص !... ولو أعطيتنى جميع ما تملك على حالتى هذه من الفقر ، ثم ضاعفت لى العطاء ، لكان غناؤك أحب إالى وأعجب !.

فتعجبت من الرجل أشد العجب ، ودخلتنى الرحمة به ولم يكن معى عود ، فدعوت بداوة انقر عليها بقضيب وغنيته فطرب طرباً شديداً ، وجعل يحرك جسده ورأسه بعنف شديد حتى أوشك رأسه أن يطير !..

ومازلت أغنيه متطوعاً غير باخل عليه - وأنا الذى آتية حتى على السلطان وأبخل على السادة - حتى هدأ وهمد من فرط الطرب وظننت أنه يهدم حتى يموت !.. ولا أدري كيف بلغ خبر هذا الرجل معى إلى الوليد بن يزيد ، فأحضره مجلسه ، ووصله صلة سنية ، وجعله فى ندمائه ، وأقامه ساقياً يدور على الندامى !

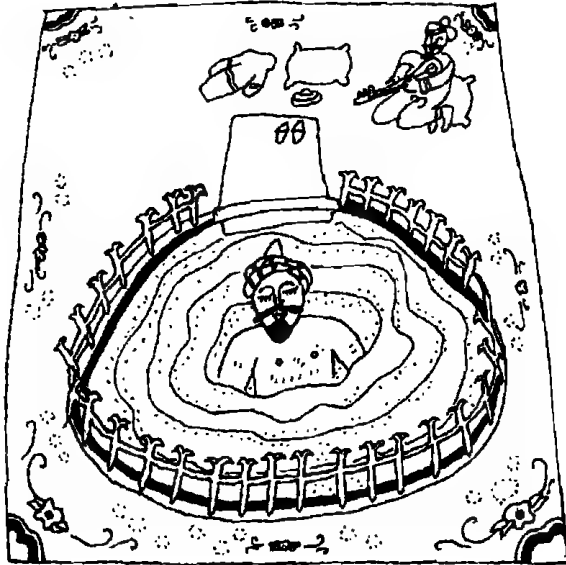
علمت ذلك فقلت فى نفسى : « والله لأغنين فى زيارتى القادمة للوليد ، غناء لم يسمع أحد مثله من قبل ، حتى أرى مايكون من شأنه ونديمه الساقى الطروب حين يستبد بهما الطرب ، فكلاهما أطرب من صاحبه ، ولو كان لهذا الساقى سلطان كسلطان الوليد بن يزيد ما فعل أكثر مما يفعل بل لعله كان يفىء إلى شىء من العقل بعد نشوة الطرب !..





يوميات عطرّد

## سقوط الفساد



## ● اليوم الأول

قال لى أحد أصدقائى : يا أبا هارون .. لماذا أختار لك أبوك اسم « عَطْرُد » ؟ ! .. قلت : هو اسم من الأسماء لا يقدم ولا يؤخر ، وما أنا إلا رجل من الموالى نشأت فى المدينة المنورة ، مولى للأنصار .. لاحرفه لى إلا الغناء ، وإنها لحرفة كاسدة فى هذا الزمان إلا إذا اصطفانى الخليفة أو أحد الأمراء ، ومتى يوجد علينا الدهر بتحقيق هذه الأمنية ؟ !

قال لى

- والله إنك لحسن السميت ، جيد الغناء ، طيب الصوت ، جميل المروءة .. فقيه ، قارئ للقرآن .. فمن يجتمع له مثلك كل هذا ثم لا يجد فى الحياة مجالا ؟ ! .  
فبينما نحن نتحدث فى هذا وفى غيره من الأمور ، دق بابى جماعة من أهل النعمة ، فخرجت إليهم ، فقال أحدهم

إنى قصدت إليك من أهلى .

فى حالة يأتى لها مثلى

قلت له :

- وما حاجتك أصلحك الله ؟ ! ..

قال :

لا طالبا شيئا إليك سوى

« حى الحمول بجانب العزل » .

فقلت :

- انزلوا على بركة الله !

فلما جلسوا ، قلت لصديقى الذى كنت أحدثه :

- إن سادتنا هؤلاء جاءوا ليسمعوا منى لحنى فى شعر امرئ القيس .

حى الحمول بجانب العزل .

إذ لا يوافق شكلها شكلى

قال صاحبى :

- قد تخيروا والله لحننا من أحسن الحانك ، وإنهم ما طلبوا إلا أجود الغناء فى أجود الشعر ..

فلم أزل أغنيهم هذا اللحن ويستعيدونه حتى امتلأوا طربا ، وانصرفوا وقد تركوا لى صرة كبيرة من الدراهم ! ..

### ● اليوم الثانى :

جاءنا فى المدينة خبر وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك واستخلاف الوليد بن يزيد بن عبد الملك ! ..

قال الناس فى المدينة : انتهت خلافة بنى أمية ، فقد كان هشام آخر عقلائهم ، تمرس بالحكم عشرين عاما ، وبسط هيئته على دولة الخلافة من الأندلس إلى الهند ، أما وقد توفاه الله ، وتولى الخلافة الوليد بن يزيد ، فإن شمس بنى أمية قد أذنت بالمغيب ! ..

سألت أحد الثقات من أهل العلم بالمدينة :

- لماذا يرى الناس أن دولة بنى أمية قد أذنت بزوال ؟ ! ...

أجاب

- لأن الوليد بن يزيد سيهدم بجنونه وفساده كل ماتع فى بنائه أسلافه من بنى أمية أو بنى مروان ..

- وكيف ؟ ! ...

سيتلهى بالشراب والنساء والغناء عن أمور الدولة حتى يضع مصالح الناس ويثيرهم عليه ، وإن بنى هاشم ليتحينون هذه الفرصة منذ قتل هشام بن عبد الملك شهيدهم زيد بن زين العابدين وعرضه على الناس مصلوبا على خشبة ! ... وقد كان زيد رجلا صالحا لا يطعن على أبى بكر وعمر كما يفعل كثير من شيعة الطالبين ..

طرق بابى حاكم المدينة بنفسه ! ...

كنت من قبل لا أجرؤ أن أقف فى الطريق لأرى موكبه من بعيد ! ..

قال لى متوددا

- إن امير المؤمنين اعزه الله كتب يأمرنى بأشخاصك إليه فى دمشق !

ثم أخرج الحاكم كتابا مختوما فأقرأنى إياه .. وقال لى والعطف ملء نبراته :

- تجهز للسفر من الغد على بركة الله ! ..

زودنى الرجل بنفقة طيبة ، وأمر أتباعه أن يحملونى على ألين محمل فوق بعير فاره حسن المنظر ، ويسيروا فى خدمتى حتى أبلغ باب الخليفة فى عاصمته ! ..

فى الطريق من المدينة الى وادى القرى الى الشام ... كنت أقول لنفسى : كنا فى أيام هشام نخاف من السجن ، إذ كان عماله يأخذون المغنين فيحبسونهم ويعاقبونهم ، ويسمونهم بالمختئين ، وهانحن هؤلاء نرفع رءوسنا ونقصد دار الخلافة معرزين مكرمين ! ..

### ● اليوم الثالث :

دخلت على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وفى ذهنى سيرة أبيه يزيد بن عبد الملك الذى مات حزنا لموت « حبابة » المغنية الجميلة التى كانت فى حوزته

لقد سمع « حبابة » عندما كانت جارية فى المدينة ، أناس كثيرون ، أدركت بعضهم فسألتهم كيف كان غناؤها ؟ ! ... فقالوا جميعا أنها كانت متوسطة ، لاتعلو ولا تسفل ، وانها كانت لاتساوى شيئا بجانب زميلتها سلامة القس ، ولكن حبابة كانت فائقة الجمال ، فذهبت بعقل يزيد بن عبد الملك ، ومات كمدا عليها حين شرقت بحبة رمان اوحية عنب ، وماتت ! ! ... ولم يستطع أن يتسلى عنها بسلامة التى كانت هى أيضا فى حوزته ، ولا بأية جارية أخرى ! ...

نظرت متوجسا الى حيث يجلس الوليد بن يزيد ، فرأيت شابا حسن المنظر ، قد طرح هموم السلطان وراء ظهره وجلس على حافة بركة ماء صغيرة !

قال لى ولم يتركنى أسلم عليه

- أنت عطر المغنى ؟ ! ... إن سلامة جارية أبى سمعت عن إحسانك فى الغناء فحدثتنى عنك ! ...

قلت وأنا أدعو فى نفسى بالخير لسلامة التى لم أرها قط والتى قاربت الآن سن الخمسين

- إنى خادمك يا أمير المؤمنين ، وأسأل الله ان أبلغ محبتك فيما دعوتنى إليه ! ...

قال الوليد

- وحدثونى عن ظرفك وجودة صناعتك ! ... ولقد كنت مشتاقا إليك يا أبا هارون ! ...

هممت بالكلام ، فقاطعتنى قائلا :

- غننى « حى الحمول بجانب العزل » ..

فغنيت إياه ، وملأ خياشيمى وأنا أغنى نفاح عجيب يجىء من ناحية بركة الماء ! ...

لمحنى الوليد وأنا أغنى ، أشرئب إلى « البركة » استطلع حقيقة مافيا .. فلم يتكلم حتى أتممت غنائى ، فشق ثياب وشى فاخرة كانت عليه ، وألقاها نصفين ، ورمى بنفسه فى البركة الصغيرة ، فنهل منها ماشاء ، حتى كأنى تبينت التقصان فى مائها ، فلما أخرجوه منها كان أشبه بالميت .

وجاء الخدم بغطاء فوضعوه عليه ونام ، وأخذت أنا الحلة المشقوقة وقمت فانصرفت إلى المنزل الذى أنزلنى فيه ، متعجبا مما رأيت ، مستعيذا بالله من الشيطان ! ...

## ● اليوم الرابع :

جاءنى رسول الوليد فى بكرة الصباح فأخذنى إليه ، فدخلت وقد جلس كأمرس على شفير البركة ، فقال لى :

- ياعطرد غننى

أيذهب عمرى هكذا لم أنل بها  
مجالس تشفى قرح قلبى من الوجد  
وقالوا يُداوى .. إن فى الطب راحة .  
فعللت نفسى بالدواء فهل يُجدى ؟ !

فغنيت هذا اللحن ، فصاح طريا ، وشق حلة وشى كانت تلتصع عليه بالذهب التماعا ، أغلى بكثير من الحلة التى شقها أمس ...

ثم ألقى نفسه فى البركة فشرب منها حتى نقصت نقصا واضحا ، وأخرجه الخدم منها ، وألقوا عليه الأغطية فنام تحتها ، فأخذت حلة الوشى الفاخرة وانصرفت ! ...

جلست فى منزلى أفكر فى هذا الذى يحدث أمامى كل يوم ... طال تفكيرى حتى طرق الباب من يستدعيني إلى الوليد فدهشت لأنى تركته منذ ساعة شبه ميت ، فكيف صحا وعاد إلى الدنيا فى ساعة واحدة ؟ ! ...

أدخلونى إليه فى بهو قد أقيت ستوره ، وإذا به يكلمنى من وراء هذه الستور - ياعطرد ! ...

- لبيك يا أمير المؤمنين ! ...

- كأنى بك الآن وقد رجعت إلى المدينة فقممت بى فى مجالسها ومحافلها وقعدت تقول دعانى أمير المؤمنين فدخلت عليه فاقترح أن أغنيه فغنيت وأطربته فشق ثيابه وفعل كذا وكذا ..

وصمت لحظة ثم قال فى صوت كالرعد :

- والله لئن تحركت شفتاك بشيء مما جرى فبلغنى لأضربن عنقك ! ...

وصمت ثانية ثم صاح :

- ياغلام ... أعطه ألف دينار ! ...

ثم قال لى بصوت خفيض :

- ياعطرد .. خذ هذه الدنانير وانصرف إلى المدينة ! ...

قلت متملقا أحاول أن استزيد من عطائه :

- إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تقبيل يده ، ويزودنى نظرة منه ، وأغنيه لحنا جديدا ! ...

قال وقد نفذ صبره

- لاجابة بى ولا بك إلى ذلك ، فانصرف ! ...

خرجت من عنده ، وانا اوصى لسانى ألا ينطق بحرف واحد عما جرى ! ...

### ● اليوم الخامس :

لسرعان ماتنقضى الأيام ! ...

سقطت دولة الوليد بن يزيد ، وقتله بعض أقاربه بعد أن اتهموه بكل الموبقات ! ... ثم سقطت الدولة الأموية ..

وانقضى من دولة العباسيين حتى الآن ، عهد عبدالله السفاح وعهد أبى جعفر المنصور ... وهانحن هؤلاء فى عهد الخليفة محمد المهدي ! ...

دخلت على المهدي فسألنى عن الغناء وعن علمى به ، فجاذبته من ذلك طرفا ، فقال لى : أتغنى النواقيس ؟ !

- نعم يا أمير المؤمنين ! ...

- فلماذا سموها النواقيس ؟ !

- لأن معبدا حين لحنها جعل فيها ضربا بالعود وترجيعا بالحلق كأنهما قرع النواقيس ، فسميت كذلك ! ...

- فغنها إذن وأسمعنا نواقيسك ! ...

فأخذت أغنى :

سلا دار ليلى هل تبين فتنتطق

وانى ترد القول بيداء سملق

فرايت المهدي يتحرك طربا ، وهو يماسك احتفاظا بهيبته ووقاره ، حتى أتممت الأغنية ، فأمر لى بمال وثياب ...

لم يشرب المهدي النبيذ على غنائى ، كما يفعل بعض أهل العراق عندما يسمعون الغناء ، فرايهم أن القليل من نبيذ التمر لا يدخل فى المحرمات ، ويتعاطونه ، متعللين بكلام لأبى حنيفة رحمه الله لا أظنهم فهموه على وجهه ...

أعجبني وقار المهدي كما أعجبني اجتنابه النبيذ ، وتذكرت الوليد بن يزيد فى خلاعته وتضييعه لمصالح الأمة ، فقلت فى نفسى : والله لو خرجت من عند المهدي صفر اليدين بلا جائزة ولا ثياب ، ماسأنى ذلك ... ولقد خرجت من عند الوليد بن يزيد من سنين وفى يدى ألف دينار وأنا أظن أن السماء سترمينى بالحجارة ! ...

وقفت كأنى لا أريد الخروج من عند المهدي فقال لى :

- هل من حاجة ؟ ! ..

- نعم يا أمير المؤمنين ... تأمر عاملك في المدينة أن يرفق بي ، فإنه حبسنى  
مرة وزعم أنى من أصحاب الملاهى الفاسدين ! ...  
فضحك المهدى وأمر بكتابة أمر إلى والى المدينة ألا يأخذنى مرة أخرى فى  
الحبس مع الفاسدين وأصحاب الملاهى وأدعياء الغناء الذين أفسدوا الغناء كما  
أفسدوا سمعة المغنين ! ...





يوميات عمر الوادي :

## المهندس الفني



## ● اليوم الأول

اسمى ... عمر ! ...

أما « الوادئ » - بتشديد الياء - فهو لقبى ... وكل من سكن وادى القرى بين المدينة والشام ، فلقبه « الوادئ » ... وقد كثر المغنون من أهل هذا الوادى ، وأشهرهم بعدى حكم الوادى صاحب الأهازج الجميلة ، وهو تلميذى : أخذ عنى الغناء كما أخذ عنى كثير من الواديين ...

أبى فارسى الأصل ، اسمه داود بن زاذان ، وكان جدى من جملة أرقاء اشتراهم أحد أبناء الخليفة عثمان بن عفان ...

فى بداية شبابى اشتغلت مهندسا ... أبنى القصور الفخمة على الطراز الفارسى لأثرياء الحجاز والشام ، ثم صبوت إلى الغناء حين سمعت ابن سريج والغريص وغيرهما فى مكة ، فأخذت الصنعة وأتقنتها ، وقال الناس إن عمر الوادئ طيب الصوت شجيه ... ولم يسبقنى الى الغناء أحد من أهل وادى القرى ...

اتصلت بالوليد بن يزيد بن عبد الملك منذ كان وليا للعهد يتحرق شوقا إلى موت عمه هشام بن عبد الملك ليتولى الخلافة من بعده ، ويفرغ للقصف والغناء والشعر واللذات ...

كان المغنون يتجنبون الغناء فى مجالس الوليد حتى لا يفضبوا الخليفة هشاما ، إلا أنا فىانى كنت أغنيه ولا أبالى غضب هشام ، فأحبنى الوليد ، وكان إذا طرب لغنائى صاح :

- يا عمر الوادئ ... أنت جامع لذاتى ومحى طربى ! ...

وزادنى إكبارا فمدحنى بهذه الأبيات

إننى فكرت فى عمر

حين قال القول فاختلفا

انه للمستنير به

قمر قد طمَّس السُّرْجَا

ويغنى الشعر ينظمه

سيد القوم الذى فلجا

أكمل الوادئ صنعته

فى لباب الشعر فاندمجا

فقلت له :

- أيها الأمير ... أكرمتني بهذا الشعر ، وانما يمدح الشعراء الأمراء ، ولا يمدح  
الأمراء الشعراء ... فوالله ما أملك من شيء أجزي به الأمير - جزاه الله خيرا - إلا  
أن أغنى في شعره هذا هزجا يطربه ! ...

وصنعت الهزج وغنيته فطرب طربا شديدا ... وقال لى :

- إن غناك يجمع لى اللذات كلها وإن كنت تغنى مرتجلا لاتضرب بعود ولا تعزف  
بمعزفة ، وقد سمعت ابن سريج ومعبدا ومالكا ، فما أنت عندى بأقل منهم فى  
الغناء شأننا ... وإن فيك لفطرة المغنى المطبوع وحسن ذوقه فى الغناء ... إلى  
جمال صوتك ! ...

### ● اليوم الثانى :

خرجت أمس قبيل الغروب أتمشى فى الطريق بين المدينة ومكة على الجادة  
التي يسلكها الحاج ، حتى غربت الشمس وأنا ماش ، فسمعت إنسانا يغنى غناء  
لم أسمع قط أحسن منه ، فى شعر لكثير عزة :

وكننت إذا ماجئت سعدى بأرضها

أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسهـا

إذا ما انقضت أحوثة لو تعيدها

ألا ليت شعرى بعدنا هل تغيرت

عن العهد أم أمست كعهدي عهودها

إذا ذكرتها النفس جنت بذكرها

وريعت وحننت واستخف جليدها

أبيت نجيا للهموم مسهدا

إذا أوقدت نحوى بليل وقودها

فأصبحت ذا نفسين : نفس مريضة

من اليأس ماينفك هم يعودها

ونفس إذا ماكنت وحدى تقطعت

كما انسل من ذات النظام فريدها

فوقفت أسمع مشدوها لروعة الصوت واللحن والشعر ، حتى سقطت على الأرض  
طربا ، ورضنى حجر فى إحدى ساقى رضا مؤلما ... فقلت فى نفسى : والله  
لألتمس الوصول إلى صاحب هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائى ، ولو كان  
الحجر قد كسر ساقى الاثنتين لزحفت إلى الصوت لأرى صاحبه ! ... حتى هبطت  
من المكان المرتفع الذى كنت فيه ، ومضيت أبحث عن الرجل فإذا به راعى غنم  
يهش عليها عائدا بها إلى دار صاحبها الذى يعمل فى خدمته ...

قلت له

- والله ماسمعت أحسن من غنائك ، فهلا أكرمتني بإعادته على مسمعى ؟ !

قال :

- والله لو كان عندي طعام لأطعمتك ، ولكنى أجعل هذا الصوت بديلا للطعام والشراب إن شئت ! ...

وغنائى الصوت حتى حفظته ، فلم أزل كلما خلوت بنفسى تذكرته فغنيتها متطربا متذكرا صاحبه ... وقد أكون ساعته جائعا فأشبع ، أو مستوحشا فيؤنسنى ، ولكنى - مع ذلك - أستصغر شأنى فى غنائى هذا الصوت حين أتذكر ما طربت له من غناء ذلك الرجل ! ...

وحدثت بهذا الخبر أناسا فى المدينة وسألتهم

- أتعرفون هذا الرجل وأين ذهب ؟ ! .

قال بعضهم

- لانهرفه ، وما نظنه إلا عفريتاً من الجن ! ...

### ● اليوم الثالث

تولى الخلافة الوليد بن يزيد فجأنى رسله يطلبوننى إلى قصره فى دمشق ...  
دخلت وسلمت فقال لى :

- يا جامع لذاتى ... أترى هذا الخاتم من الياقوت الأحمر الثمين فى إصبعى ! ... أتحب أن أهبه لك ؟ ! .

قلت :

- نعم والله ياسيدى ! ...

قال :

- غن فى هذه الأبيات ، فإن أطربتني وهبته لك

ألا يسليك عن سلمى

قتير الشيب والحلم

وان الشك ملتبس

فلا وصل ولاصرم

فلا والله رب الناس

مالك عندنا ظلم

## وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرُخْمُ

فتفكرت فى هزج لهذه الأبيات حتى استوى لى ، فغنيته فصاح : أحسنت والله ! ...

واستدنانى حتى وضع يده اليسرى على كتفى فاتكأ عليها والقدح فى يده اليمنى ، وقال لى :

- أعد هذا اللحن بأبى أنت وأمى !

فأعدته عليه فشرب القدح ، ثم شرب أقداحا أخرى حتى تعب وجلس ونزع خاتم الياقوت والحلة الموشيه الفاخرة التى كان يلبسها ، فأعطانى الخاتم والحلة ... ثم مال على جنبه منتشيا ونام ! ...

جلست لا أدرى أنصرف أم أبقى ... حتى دخل « أبوكامل » ... خادم الخليفة ومطربه الخاص ، وهو حسن الغناء ، كثير النوادر والأصاحيك ، فجلس معى ، وقال لى لاتبرح ، فإنه سرعان مايفيق !

فلم يكد الوليد يفتح عينيه ويرانى وأبا كامل حتى قال له - غن .

نام من كان خليا من الم .

وبدأنى بت ليلى لم أنم

فغناه أبوكامل ، فطرب الوليد ، وأمر له بحلة وشى وقلنسوة مطرزة بالذهب ! فملت إليه أسأله :

- يا أبا كامل إن هذه القلنسوة الذهبية ليست من لبسك وإنما هى من لبس الملوك وأولادهم ! ...

قال ضاحكا

- سوف لا أضعها على رأسى إلا من عيد إلى عيد ، فإنى سأجد فيها ربح سيدى أمير المؤمنين ! ...

ثم قال له الوليد

- يا أبا كامل غن :

جنبانى أذاة كل لثيم

إنه ما علمت شر نديم

فغناه فطرب وقام ينشد مدحا فى أبى كامل ، وفى معبد المغنى المدينى العظيم ... قال :

سقيت ابا كامل  
من الأصفر البابلي  
وسقيتها معبدا  
وكل فتى فاضل  
لى المحض من ودهم  
ويغمرهم نائللى  
وما لامنى فيهم  
سوى حاسد جاهل

ونحن كذلك ، استأذن الحاجب للمغنى اسماعيل بن الهريذ ، وهو مغن مجيد ،  
فأذن له الوليد ... ولم يتركه يجلس حتى قال له :

- يا اسماعيل ... غن  
امدح الكأس ومن أعملها  
واهج قوما قتلونا بالعطش  
انما الكأس ربيع باكر  
فاذا ما غاب عنا لم نعش

وأصل هذا اللحن لأبى كامل ... وعنه أخذه ابن الهريذ ، ولا يجيد غناؤه كأبى  
كامل ، ولكنه غناه مجتهدا فى أدائه فطرب الوليد ، وقال له .

- لولا أن أباكامل معنا هنا ، لقلت إنك أحسن من يغنى هذا اللحن ! ...  
ثم ضحك الوليد ، فضحكنا - ثلاثتنا - مطايبة له . فى ضحكه وسروره ، وخرج  
كل منا بجائزة كبيرة ، عدا ماكسانا من الثياب ، فضلا عن قلنسوة الذهب التى  
اقتنصها منه أبو كامل ! ...

#### ● اليوم الرابع

دخلت على الوليد فاذا ستارة حمراء قد مدت واحتجب وراءها ... فسلمت فرد  
من خلف الستارة ، ونظرت فإذا إلى جانبى حماد الراوية ... وسمعت الوليد يقول  
له :

- يا حماد « ثم ثاروا » ...

فرايت حمادا قد اضطرب وهو لا يدرى ماذا يريد الوليد منه أن يروى من  
الشعر ... فسكت حماد ، فصاح الوليد :

- يا حماد ... ويحك « ثم ثاروا » ...

واذا بحماد يندفع فينشد  
ثم ثاروا إلى الصبح فقامت  
قينة فى يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الديك  
صفى سلافها السراووق  
ثم فض الختام عن حاجب الدن  
وقامت لدى اليهودى سوق  
فسبأها منه أشم عزيز  
أريحى غداه عيش رقيق

فيذا جارية قد أخرجت كفا لطيفة من وراء الستارة تحمل قدحا ، والله ما أدرى  
أيهما أجمل : الكف أم القدح ، فأخذ حماد القدح ، ثم مدت كفاها بقدح أخرى  
فتناولتها وأوشكت أن أتناول معها تلك الكف اللطيفة

وحضر أبوكامل فأمر الوليد برفع الستارة ، وغنى أبوكامل :

ادر الكاس يمينا  
لاتدريها ليسار  
اسق هذا ثم هذا  
صاحب العود النضار  
من كميت عتقوها  
منذ دهر فى جرار  
ختموها بالأفاوية  
وكافور ... وقار

ثم وصل هذا الشعر فى غنائه بثلاثة أبيات ماسمعت أشد منها بعدا عما يجمل  
أن يقال أو يغنى فى مثل هذا المجلس ، ثم دخل « أشعب » المضحك المغنى  
المهذار وقد لبس سراويل من جلد قرد وله ذيل ، فرقص وأنشد شعرا وأضحك  
الوليد فأمر له بجائزة ! ...

وخرجت من هذا المجلس مثقلا بالهم والحزن على الوليد الذى أحبيته لكرمه  
وفطنته فى الغناء والشعر .

وكنت والله أرجو له أن يعقل ويعى مافيه خيره وخير الناس ، ولكن مشيئة الله  
نافذة ... ولا أراه يبقى فى سلطانه هذا وقد ضيع مصالح الناس ! ...

وأنشدت لنفسى قول الشاعر الأفوى الأودى :  
تهدى الأمور بأهل الرشد ماصلحت  
وان تولت فبالأشرار تنقاد

وانى لأعلم أن « أشعب » الذى يضحكه ، يعود إلى أهل المدينة فيضحكهم  
عليه ، ويسميه « الوليد بن يزيد الخاسر » ! ...

فمن ينصح الوليد بن يزيد ، ويحذره عاقبة أمره ، ويقول له : « اتق الله ؟ !





يوميات دحمان

## المغنى والقاضى



## ● اليوم الأول :

من مفاخرى - والحمد لله - أن قاضى « المدينة » - أعزه الله - يقبل شهادتى ! ...

إذا دعيت إلى الشهادة فى قضية ينظرها لم يرفض شهادتى ولم يطردنى من ساحة القضاء ، فأنا عنده مقبول الشهادة ، بل أنا من الشهود الصلحاء العدول المعروفين لديه بالورع والتقوى ! ... ويقول أهل المدينة : ما رأينا رجلا صالحا كثير الصلاة والصيام ، مدمنا للحج ، معدل الشهادة مثل دحمان الأشقر ! ... صناعتى - أكرمكم الله - هى الغناء ! ... نصف وقتى أغنى فيه للناس ، ونصفه الآخر أطارح فيه الجوارى الغناء حتى يحذقن ويبيعهن سادتهن بالأموال الجلية ! ... ولى على ذلك أجر ليس بالقليل ولا بالكثير ! ...

قضاة المدينة المنورة لايقبلون شهادة من يحترف الغناء إذا كان غناؤه مصحوبا بسلوك لايعمدونه ! ... وكان معبد - وهو شيخ المغنين فى المدينة - مقبول الشهادة ... ثم عاشر الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالمك فى مبادله بالشام ، حتى بلغت أخباره قضاة المدينة فسقطت عندهم عدالته فى الشهادة ، مع أن معبدا لم يدخل مع ذلك الرجل فى محذور ، لكنه عاشره وغنى له وقبض جوائزه ، فلما عاد إلى المدينة قيل له بصراحة : يامعبد ... لم يبق فى المدينة قاض إلا ويراك الآن شاهد زور ، لمخالطتك الوليد بن يزيد ! ... فكاد معبد يفقد عقله ، وقال : يامعشر الناس ... ترفضون شهادتى لأنى غنيت لذلك الرجل ؟ ! ... فهل تقبلون شهادته هو ؟ ! ...

فالحمد لله الذى جعلنى أفضل حالا من عظيم المغنين « معبد » ... وقد كان والله رجلا صالحا طيبا ... لولا تلك الهنات الهيئات التى أخذوها عليه ، وكان فيها مقلوبا على أمره .

أمس دعيت إلى الشهادة عند قاضى المدينة فى قضية أقامها رجل من أهل الكوفة على رجل من المدينة ، وكان الحق مع المدنى لا مع الكوفى ، ولايشك العراقى فى أنى أشهد بالحق الذى أعرفه فى هذه القضية ...

فلما وقف الخصمان بين يدى القاضى ، وترافعا إليه بالدعوى ، قمت فشهدت بالحق فيما علمت من أمر الرجلين فى دعواهما ، فوثب الكوفى - وهو يعلم أنى أشهد بالحق - فقال للقاضى :

- اصلحك الله أيها القاضى ... أتعرف من هذا ؟ ! ... إنه دحمان المغنى ! ...

قال القاضى :

- أعرفه فما تقول عنه ؟ !

- إنه يغنى ويعلم الجوارى الغناء ! ..

قال القاضى للرجل

- يغفر الله لنا ولك ! ... وأينا لايتغنى ؟ ! ...

وتفكر القاضى لحظة ثم قال للرجل :

- قد علمت أنك لم تطعن فى شهادة دحمان لغنائته ، بل لكونك ظالما خصمك ،  
موقنا بأن دحمان لايمالك ولايقف لك عندى شاهد زور ، فأخرج أيها الرجل عن حق  
خصمك وقم بتأديته الساعة إليه كاملا غير منقوص ! ...

فكنت - والحمد لله - سببا فى سقوط دعوى ذلك الظالم ، وعودة الحق إلى  
صاحبه ! ...

### ● اليوم الثانى

الغناء لايفتنى ومن أعول من أهلى الكثيرين ، وليس لى رحلات إلى دمشق  
كرحلات معبد وغيره من كبار المغنين إلا فى الندرة ، ومافزت من أحد هناك بشيء  
أغنانى ..

لهذا اهتممت بحرفتى التى نشأت فيها ... فأنا رجل أملك خمسة عشر جملا  
أكرىها إلى المواضع والبلاد التى يقصدها الناس ، وأدخل فى التجارة على قدر  
طاقتى ، بائعا مشتريا متكسبا ، أتسبب وأطلب الرزق ، فيرزقنى الله من حيث لا  
أحتسب ، وأحمد الله على تمكنه أىامى من فعل الخير والتحلى بالمروءة فى ثرائى  
وافتنقارى ! ...

أمس كنت أمر بقافلتى الصغيرة على بلد ، فإذا جارية خرجت من بيت ، فقلت  
لها : أبيعك سادتك لى ؟ ! ...

قالت

- أنا مملوكة لسيدة من قريش ! ...

ثم دخلت البيت فقالت لسيدتها : هذا انسان يشترينى ياسيدتى ! ..

قالت السيدة :

- أئذنى له ...

فلما دخلت عندها قالت لى بكبرياء :

- يا هذا ... أنت رجل تكرى الجمال فمن أين لك ثمن جارية كهذه وهى مغنية  
بارعة وقد سامنى فيها منذ أيام رجل من قريش ، حتى ابستقر ثمنها على مائة  
وخمسين دينارا فلم أقبل ورددته ، وهو وأنا من قريش ، لا من الموالى أمثالك !

قلت لها

- ياسيدتى أنا أبلغ بثمانها مائتى دينار ! ...

فقبلت وأخذت منى المال وانصرفت أنا والجارية ، فى طريقى إلى الشام ،  
فبينما كنا نستريح يوما فى الظل ، أخذت ألقى عليها لحنا لى حتى حفظته ، وطلع  
علينا راكب فقال : أتأذنون لى أن أنزل ساعة تحت ظلكم هذا ؟ !  
فأنزلناه وأطعمناه وأسقيناه وغنيناها أنا والجارية حتى تملكه أشد الطرب ، فقال  
لى :

- أتبيعنى هذه الجارية ؟ !

قلت له كالعابث :

- ثمنها عشرة آلاف دينار ! ...

فأعطانى المال وأنا مشدوه يكاد الجنون يستلب عقلى ، فإنى ربحت تسعة آلاف  
وثمانمائة دينار فى هذه الجارية ولم أتعب فى تعليمها ولا نالنى منها غرم فى  
شئ ! ...

فلما انقضى زمن أقبل رسل من عند الخليفة الوليد بن يزيد فقالوا

- أجب أمير المؤمنين ! ...

فقلت فى نفسى

- إنا لله وإنا إليه راجعون ! .... لن يقبل قاضى المدينة شهادتى فى محكمته  
بعد اليوم ! ...

وعجبت أن يذكر الخليفة اسمى ويطلبنى وأنا لم أغنه من قبل !

فلما مثلت بين يديه ، رأيت عنده جاريتى التى بعثها بعشرة آلاف دينار ، فعلمت  
أنه صاحبها وأنها قد حدثته عنى ! ...

قال لى

- كنت أظن أنى لم أسمع غناك حتى أخبرتنى الجارية أنك أنت الذى بعتنى  
إياها وغنيتنى فى ظل تلك الشجرة فى ذلك اليوم ! ...

أقمت عنده أياما قصارا ، غنيت فيه ، ثم شغلته الحوادث الجسام التى أودت  
بحياته ومملكته فعدت مسرعا إلى المدينة ، أحلف للناس أنى ماشاركته فاحشة  
قط ... فصدقونى والحمد لله ! ...

### ● اليوم الثالث

عشت حتى رأيت نهاية دولة الوليد بن يزيد ودولة الأمويين كلها من بعده كانت  
رذائله وحماقاته إرهابا بزوالها ! ...

عشت بداية خلافة بنى العباس ، لم أغن للخليفة الأول منهم « عبدالله السفاح »  
ولا للخليفة الثانى « أبى جعفر المنصور » ... وكلاهما كان مشغولا بتدعيم الدولة  
فى نشأتها .

ثم مضت على ذلك خمس وعشرون سنة حتى شاب مغارقى وإحيتى فصيغتها  
بالحناء ، وانطويت على مهنتى القديمة ارتزق من الإبل ، ذاهبة جائية من المدينة  
وإلى المدينة ... وقال الناس : قد نسى دحمان الغناء ! ... وغرهم سكوتى ، ووالله  
لو نسيته اسمى مانسيت الغناء ، فإنه ليجرى مع دمي فى عروقي ! ...

مات الخليفة أبوجعفر المنصور ، وكان مشهورا بالبخل الشديد ، فاستدعانى  
ابنه الخليفة الجديد محمد المهدى ، فقلت فى نفسى : ان من أعظم البلاء أن أجد  
هذا الخليفة الجديد على أخلاق أبيه الذى كان لايعطى أحدا درهما إلا بعد تدقيق  
شديد ... وقد غناه أو حدا به مرة أحد المغنين فأعطاه درهما واحدا ثم استرده  
منه ! ...

حاولت أن أتخلف عن دعوة الخليفة ، فقلت لرجال الذين جاءوا يستدعوننى  
إنى تركت الغناء من زمن وشغلتنى التجارة وهذه البعران التى أكرهها وأرتزق  
منها ...

قالوا

- لابد من الإجابة ! ...

فلما دخلت على المهدى ... قال لى :

- أنت تلميذ معبد صاحب الألحان الرنانة التى يسمونها النواقيس ؟ ! ...

- نعم يا أمير المؤمنين ...

- فقد قيل لنا إنك من أحذق تلاميذه الباقين الآن فغنا من أحسن غنائك !

فتفكرت لحظة لطول انقطاعى عن الغناء ثم ضربت بالعود واستجمعت نبرات  
حنجرتى وغنيته فى شعر الأحوص :

سرى ذا الهم يل طرقا

فبت مسهدا قلقا

كذاك الحبيب مما

يحدث التسهيد والأرقا

قطوف المشى إذ تمشى

ترى فى مشيها خرقا

وتثقلها عجيزتها

إذا ولت لتنطلقا

فاستخفه الطرب حتى قال لى :

- سلنى ماشئت ! ...

قلت وأنا بين الطمع والخوف :

- ضيعتان بالمدينة يقال لهما « ريان » و« غالب » ! .

فأمر المهدي بإقطاعى إياهما وكتب توقيعا بذلك ، فلما خرجت الرقعة بالتوقيع إلى الوزير ، هاله الأمر ، فدخل فقال للخليفة :

- يا أمير المؤمنين ... إن هاتين الضيعتين لم يملكهما قط إلا خليفة ... وقد حاول بعض أبناء خلفاء بنى أمية أن يملكوهما فلم يستطيعوا ، فكيف تعطيهما جائزة لمغن ؟ ! ...

قال المهدي متفكرا

- قد أمرت له بهما ولا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى ، فصالحوه عنهما بما يرضيه من المال ! ...

فصالحنى الوزير عن الضيعتين بخمسين ألف دينار ، وخرجت من الصفة مغبونا ، فإن الضيعة الواحدة منهما تساوى مائة ألف ! ...

### ● اليوم الرابع

عشت طويلا ! ... عاصرت سبعة خلفاء من بنى أمية وها أنذا فى آخر عهد المهدي الخليفة الثالث من بنى العباس ...

ضعف صوتى ، فمن يسمعى الآن لايعرف كم كان جميلا صوتى وقويا فى شبابى ، وإلى سنوات قلائل مضت ! ...

سمعى أمس ابراهيم الموصلى المغنى الشاب المشهور ، فسئل عن رأيه فيما سمع من غنائى فأجاب

- لو كان دحمان عيدا ما اشتريته على غنائه بأربعمائة درهم ! ...

فحزنت لهذا الراى حزنا شديدا ، لأنه رأى صحيح ، لم يتحامل فيه الموصلى على غنائى ولا على نبرات صوتى التى ذهبت الأيام بأجمل وأقوى مافيهما ... ولكن ابنى « الزبير » ورث جمال صوتى القديم وأظنه سيكون صاحب شأن فى هذه الصناعة ، وكذلك ابنى الآخر « عبدالله » . وقد علمت أن الموصلى يفضل « الزبير » على أخيه « عبدالله » تفضيلا شديدا ، ويقول :

- الزبير بن دحمان ، أفضل فى الغناء وحلاوة النبرات من أبيه وأخيه ! ...

ذكرت شبابى وحياتى فى الحجاز ، فتشوقت إلى تهامة وإلى البادية ، مع ثرائى وطيب ثوائى فى بغداد ، فرفعت صوتى أغنى فى شعر لحسان بن ثابت يذكر فيه إحدى حبايبه فى شبابه :

أسكن البدو ما أقمت بببدو

فإذا ما حضرت طاب الحضور

أى عيش الـذه لست فيه  
أو ترى نعمة به وسـرور

فإذا ولدى الزبير وأخوه عبدالله يقفان على رأسى يسمعان الصوت ويأخذانه  
عننى .

فلما شعرت بهما قطعت الغناء ، وقلت لهما :

- انما أتسلى بمراجعة الماضى ! ... وقد حدثنى من سمع هذا اللحن من  
صاحبه ابن مسجح شيخ الغناء المتقن الأول ، أن الطير كانت تقف على شجرة  
قريبة منه إذا غناه ، لاتزقزق ولا تتحرك ، فإذا فرغ من غنائه عادت تتحرك وتزقزق  
وقد استطارها الحبور ! ...





يوميات الزبير بن دحمان :

## الفناء في الصحراء



## ● اليوم الأول :

لما تلقينا الأمر من والى « المدينة » - أنا وأخى - بالسفر إلى بغداد ، تذكرت أبى - رحمه الله - وقلت فى نفسى : لولا أن أبى كان مشهورا بالغناء عند الخلفاء والكبراء فى بغداد ، لما أرسلوا يطلبوننى أنا وأخى لنملا مكانه عندهم ، وقد علموا أننا نغنى ونضرب بالعود ونروى الغناء الذى كان يرويه أبى عن أستاذه الكبير « معبد » ! ...

كان أبى يلقب « دحمان » ... واسمه عبدالرحمن بن عمرو ، وأصلنا من الموالى ، وسكنانا فى « المدينة » ... وأبى - مع شهرته بالغناء - كان رجلا صالحا كثير الصلاة ، مقبول الشهادة عند القضاة ، مدمنا للحج ، وكثيرا ما كان يقول مارأيت باطلا أشبه بحق من الغناء ! ...

قال لى أخى ونحن فى طريقنا إلى بغداد

- يازبير ... أترانا نفوز بطائل من الخليفة والكبراء ، وعندهم إبراهيم الموصلى وابن جامع ويحيى المكى ، فضلا عن إبراهيم بن المهدي وهو أخو الخليفة ، وصوته أجمل الأصوات ؟ ! ...

قلت لأخى

- يا عبيد الله ... إن أبانا - رحمه الله - كان يجد مكانا عند الخليفة المهدي ، قبل أن يتولى الخلافة ابنه موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد ، وقد أخبرنى الثقات أن الرشيد بصير بجيد الغناء ... وعندنا من الغناء الجيد ما يعجب الخليفة إن شاء الله !

وقفنا على باب قصر الخليفة فى بغداد فقبل لنا :

- من أنتما ؟ ! ...

قلت

- هذا عبيد الله بن دحمان ، وأنا أخوه الزبير بن دحمان ، ابنا دحمان الأشقر المغنى الذى عرفتموه قديما ! ...

رحبوا بنا وأدخلونا من فورهم إلى القصر ، واستأذنوا لنا ، فوقفنا فى حضرة الرشيد ، ومجلس الغناء متعقد هناك ، وفيه ابن جامع وإبراهيم الموصلى وابنه اسحاق وإبراهيم بن المهدي وآخرون

فلما أمرنا الرشيد بالجلوس ، كان مجلسنا بجنب إبراهيم الموصلى وابنه ،

فسمعت اسحاق يهمس لأبيه :

- يا أبت ، إن الزبير أفضل من أخيه فى الغناء !

- وكيف تحكم بهذا وأنت لم تسمع شيئاً منهما بعد ؟ !

- عرفت هذا بالظن والتخيل والفراسة ! ...

- ننظر فى فراستك يا اسحاق ! ...

ثم غنى أخى عبيد الله ، وغنيت بعده ، فسمعت اسحاق يقول لأبيه

- قد بان الآن فضل الزبير على أخيه وصحت فراستى ! ...

كان المغنون فى تلك الأيام حزبين : حزب إبراهيم الموصلى ، وحزب ابن جامع وإبراهيم بن المهدي ، فقال أخى إلى حزب ابن جامع وابن المهدي ، وملت أنا إلى حزب إبراهيم الموصلى لما رأيته من إعجابه بى ، وتقريظه لى ، ولما ثبت لى من فضله فى صناعة الغناء على جميع أهلها !

وكان ميل أخى إلى جنبه ابن جامع وابن المهدي ، ميلا شديدا فكرهه الموصلى وابنه اسحاق وأنكرا فضله فى الصناعة ، وحكما - بغير حق - أنه متخلف عنى ، حتى قال اسحاق بن إبراهيم الموصلى

- لو كان عبيد الله بن دحمان مملوكا يباع ويشترى ما طابت نفسى على أن أشتريه بأكثر من عشرين دينارا ... أما أخوه الزبير ، فلو كان مملوكا لأشتريته بعشرين ألف دينار ! ...

### ● اليوم الثانى :

لم أكد أحضر الليلة الأولى فى مجلس الرشيد ، حتى تجهز فى الصباح للخروج بالجيش إلى « الرى » فى بلاد فارس لمحاربة بندگان هرمز ، فاقمنا فى منظره لإبراهيم الموصلى على الطريق ، نظيفة الفرش ، طيبة الهواء واسعة ، فلما انقضت مدة الحرب ، وعاد الرشيد ظافرا ، قال الشعراء فى ذلك أشعارا كثيرة ، تخيرت منها هذا الشعر لأبى العتاهية ولحنه وغنيت فى أول مجلس للغناء فى القصر بعد عودة الرشيد

الا إن حزب الله ليس بمعجز

وأنصاره فى منعة المتحز

أبى الله أن يعصى لهارون أمره

وذلت له طوعا يد المتعز

أطاعت لهارون العداة لدى الوغى

وكبر للاسلام بندگان هرمز

فاستحسن الرشيد اللحن ، وأمر لى بألف دينار ... وغنى بعدى المغنون وأجازهم ، ثم تغنيت صوتا ثانيا :

وأحور كالغصن يشفى السقام  
ويحكى الغزال إذا مارنا  
شربت المدام على وجهه  
وعاطيته الكأس حتى انثنى  
وقلت مديحا أرجى به  
من الأجر حظا ونيل الغنى  
وأعنى بذاك الامام الذى  
به الله أعطى العباد المنى

فما فرغت من الصوت حتى أمر لى بألف دينار ثانية ... واستطرفنى وصرت  
خفيفا على قلبه ! ...  
فلما انتهت السهرة استبقانى الرشيد واستبقى إبراهيم الموصلى ، فغنيناه عدة  
الحن ، فطرب وامتلا سرورا ، ثم قال للموصلى وكأنه يتفكه  
- يا إبراهيم ... ما تقول فى الزبير بن دحمان ، وفى أخيه ، وفى أبيه ؟ ! ...  
قال الموصلى :

- أما الزبير فمن أحسن من عرفت عقلا ودينا ونبلا وأدبا وسكونا ووقارا ، وكان  
أبوه قبله كذلك ... ولكن أباه ما كان يساوى على الغناء أربعمائة درهم ، وكذلك أبته  
عبيد الله ، أما الزبير فقد أجازاه أمير المؤمنين فى ليلتنا هذه بألفى دينار ، وهو  
مستحق للجائزة ! ...

هممت أن أتكلم زيادا عن أبى وأخى ، فضحك الرشيد وقال :  
- يا زبير ... إن إبراهيم صديقك ، وهو غير جاد فيما يقوله عن أبيك وأخيك ! ...

### ● اليوم الثالث :

أغنتنى جوائز الرشيد فى مدة يسيرة من الأيام ، فأقمت ببغداد ، وأرسلت إلى  
حرمى وأولادى فجاءوا من المدينة وأقاموا بالدار الواسعة الجميلة التى اشتريتها ،  
وصرت دائم الحضور لمجالس الغناء فى القصر ، واشتد احترام المغنين لى ،  
لاينادوننى إلا بكينيتى .. حتى إبراهيم الموصلى وابنه يقولان لى : يا أبا العوام ،  
ولا يقولان : يا زبير ...

نحن الآن فى مدينة « الرقة » بالشام ، بصحبة أمير المؤمنين ، وهو يحب هذه  
المدينة ويستطيب هواءها ، ويخرج الى ظهرها للصيد ، ويقضى أيامه فيها هائنا  
سعيدا فيطول به وبنا المقام هناك حتى يهتاجنا الشوق إلى بغداد والعراق ..

طالت أيامنا بالرقّة ، فتشوقت إلى بغداد ، وذكرت ذلك لاسحاق الموصلي ،  
فانبعث شوقه الى بغداد وطيبها وأهله بها وإخوانه وأولاده ، وعرض له الهم والفكر  
حتى بكى وأبكاني ، ونظم هذه الأبيات ، يخاطبني في مطلعها بكنيتي  
أسعد بدمعك يا أبا العوام

صبا صريع هوى ونضو سقام  
لم يبد مافي الصدر إلا أنه  
حيا العراق وأهله بسلام  
ودعاه داع للهوى فأجابه  
شوقا إليه وقاده بزمام

وصنع اسحاق في أبياته هذه لحنا ، وغناه في مجلس الرشيد ، فقال له :  
- تشوقت والله يا اسحاق ، وشوقت ، وبلغت ما أردت ! ...

وأمر له بثلاثين ألف درهم ! ...

وأمر لي بعشرين ألفا ! ...

ثم أمر بالرحيل إلى بغداد ! ....

وأرحنا في الطريق ...

فخرجنا إلى صحراء الرقة - أنا واسحاق - وليس معنا أحد ، فتمشينا وتحدثنا  
واكلنا ما حملناه معنا من طعام ، ثم جلسنا فغنى اسحاق لحن أبيه في شعر أبي  
العتامية :

أشاقك من أرض العراق طول  
تحمل منها جيرة وحمول ؟  
وكيف الذ العيش بعد معاشر  
بهم كنت عند النائبات أصول

فقلت له :

- أنت الأستاذ وابن الأستاذ السيد ، وقد أخذت عن أبيك هذا اللحن كما أخذته  
أنت ، ولكني أغنيه أحسن ، فقال :

- والله اني لا أحب أن يكون ذلك كذلك ! ...

فغضبت وقلت :

- فأنا والله أحسن غناء منك ! ...

وتلاحينا طويلا حتى كدنا نتشايك بالأيدي ، فقال لي اسحاق

- أترضى في الحكم بأول من يطلع علينا في هذا الطريق من الناس ؟ !

فطلع علينا رجل حبشى الخلقة يحمل فأسا ، وإذا هو أجير ممن يفلحون الحقول ، فحدثناه بالقصة ، واندفعت فغنيت اللحن ، فطرب الحبشى وحرك رأسه ، وأظهر فهما وتذوقا عجيبا للغناء ، وتكلم فإذا هو من أفصح الناس ثم غنى اسحاق اللحن ، فصار الحبشى يتأمله وهو يغنى وتتسع عيناه دهشة حتى صاح فى وجه اسحاق

- أى شيطان أنت ؟ ! ...

فما أذكر أن اسحاق الموصلى ضحك مثل ضحكه يومئذ ، فضحكت أيضا ، ولكن ضحك اللامبالاة والتسليم لا ضحك الظفر والاعجاب بالنفس ! ثم قلت لاسحاق :

- جعلنى الله فداك ... أين أنا منك ، وأنت أنت ... وإنما أنا وأمتالى أخذون هذه الصناعة من أبيك ومنك ! ...

قال لى

- فما عندك لهذا الرجل الطروب الصحيح التمييز فى الغناء ؟ !

أفرغت ماعندى من دراهم وأفرغ اسحاق ماعنده فى حجر الرجل ... فنهض فانتثر ماقى حجره من المال ودخل فى الرمال ، ولم يلتفت إلى درهم ، ومضى يحمل فأسه ليفلح الأرض التى يزرعها ! ...

### ● اليوم الرابع

غضب الرشيد على زوجته زبيدة ، وغضبت هى منه ، لأمر من الأمور التى تعرض للسادة والسيدات فى القصور العالية ، فأرق الرشيد ليلته وأمر ففرشوا له سريرا فى شرفة بالقصر فوق نهر دجلة ، فقعده ينظر فى النهر يتلأل بالأضواء المنبعثة من القصور القائمة على شاطئيه ، وقد زاد فيه الماء زيادة عجيبة

وكننت فى تلك الليلة مدعوا للغناء فى قصر لبعض الكبراء قريب من قصر الرشيد ، فرفعت صوتى فى سكون الليل أغنى فى شعر العباس بن الأحنف :

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى

وفاضت له من مقلتى غروبى

وملاذك الا حين خبرت أنه

يمر بواد أنت منه قريب

يكون أجاجا مأؤه فإذا انتهى

إليكُم تلقى طيبكم فيطيب

فقال الرشيد لمن حوله

- هذا غناء الزبير بن دحمان ، وهذه نبرات صوته لا يخطئها سمعى ، فابعثوا

إليه ! ...

فلما وقفت بين يديه سألتني عن قائل الشعر ، فقلت : هو العباس بن الأحنف ،  
فأحضره واستنشد هذه القصيدة وغيرها ، فجعل العباس ينشد وأنا أغنى ،  
والرشيد يستعيدنا حتى طلع الصبح ، فأجازنا بمال عظيم ، وقام فدخل إلى زبيدة ،  
فرضى عنها ورضيت عنه ! ... وعرفت زبيدة أنني والعباس بن الأحنف كنا سبب  
رضا الرشيد عنها ، فأرسلت إلى كل منا ألف دينار ! ...

صحبنى العباس بن الأحنف هذا اليوم وقال لى

- والله لا أدعك حتى تغنى لى فى شعر الأخوص لحنا كان يغنيه أبوك ، وسمعته  
من بعض المغنين :

وإنى لآتى البيت ما إن أحبه

وأكثر هجر البيت وهو حبيب

وإغضى على أشياء منكم تسوءنى

وإدعى إلى ماسركم فاجيب

وأحبس عنك النفس والنفس صبة

بقربك والممشى إليك قريب

فغنيته اللحن على وجهه الصحيح ، وجودت فى أدائه ، فصاح العباس طربا ،  
ولطم خديه ، وبكى ، فسألته عما حرك فيه هذا الغناء من الوجد والشجن ، فقال  
- أنا والله هذا المحب الذى يحبس نفسه عمن أحبه !  
فبقيت عنده حتى سكنت نفسه ، وسليته بحكايات ، وغنيته أهزاجا خفيفة ...  
وعرفت منذئذ أن العباس بن الأحنف هو أعشق الناس ، وأشد الناس اكتواء بلهيب  
الحب والهجران ! ...





يوميات ابن جامع :

## مطرب من قریش



## ● اليوم الاول :

صحوت قبل الفجر بساعة ... توضأت وخرجت من بيتي مسرعا إلى أقرب مسجد ، وما أكثر المساجد في بغداد ... جلست في ركن من المسجد أتلو لنفسى القرآن الكريم بصوت هامس حتى تحين الصلاة .. قمت إلى الصلاة وقد قرأت قرأنا كثيرا .

تلك عادتي كل يوم ، إلا يوم الجمعة ، فإنني لا أبرح المسجد بعد الفجر ولا بعد الشروق ولا في الضحى ، بل أجلس في مكانى من الفجر إلى الظهر أتلو القرآن لنفسى حتى أختمه كله ، فإذا أدبت صلاة الجمعة انصرفت قريير العين بما قرأت وبما صليت ..

أعود إلى بيتي فأنام إلى صلاة العصر ، فإذا قضيتها ، قمت أستجمع همتي ، وأجمع أدواتي والاتي لعملى كل ليلة في قصر الخليفة هارون الرشيد ، أوفى قصر أحد عظماء الدولة ...

صوتي - والحمد لله على نعمائه - أجمل الأصوات ، وأحلاها جميعا ، يشبهون حللوه بعسل النحل ... لا ينافسني مطرب آخر في جمال الصوت وحلاوته ، أما براعة التلحين فينافسني فيها إبراهيم الموصلي وابنه اسحاق ... كلاهما بارع في الصنعة ، ولا أعرف أحدا يقاربهما في العلم بالغناء ..

إن إبراهيم الموصلي هو صديقي وأخى في الفن ، وليس صوته بمكتمل الجمال ، وإن عيوب حنجرته لكثيرة ، ولكنه يداريها بجودة لحنه ، وحسن أدائه ، واكتمال معرفته بصناعة الغناء ، أما أنا فإن صوتي هو سلاحى الأول في معركتى التى أخوضها كل ليلة ضد المغتئين فى سهرات الرشيد وغيرها من سهرات صفوة بنى هاشم وأرباب السيوف والأقلام فى بغداد من عرب وعجم ! ..

اسمى اسماعيل بن جامع ... لست بفارسى ولا نبطى ولا رومى ، وهذا ما يثير حسد أهل صناعتى الذين ينحدرون جميعا من أصول عجمية .

لم يكن أبى حائكا ولا حجاما ولا بيطارا ولا خرافا ولا صاحب حرفة من هذه الحرف التى يرتزق بها سوقة الأعاجم والموالى الذين تغص بهم بغداد ، فهم طبقها الدنيا ، وهم الخدم والأرقاء والشطار وقاطعو الطرقات ليلا ونهارا ..

أنا ولا فخر عربى قرشى الأب والأم .. مات أبى وأنا رضيع فلم أره ولا أعرف عنه شيئا ، فلما كبرت قليلا تزوجت أمى برجل من اليمن وهى يومئذ أرملة جميلة

صغيرة ، أما زوجها الذى مازلت أتذكره ، فكان كهلا دميما ، من حشوة الناس ، فلم  
تصبر على الحياة معه فى بلده ، وتشوقت إلى أهلها فى مكة ، فذهبت إلى أمير  
اليمن حينذاك تطلب الطلاق من هذا الزوج الذى نكبتها به الأقدار ، فقال لها حاجب  
الأمير : تعالى غدا تجدى الأمير جالسا للمظالم فأعرضى عليه قصتك ! ...  
عادت أمى إلى بيتها وأنا فى أثرها ممسك بذيلها ، وألقت على زوجها الراقد فى  
البيت نظرة ، ثم قالت له :

- موعدنا غدا فى مجلس الأمير لتطلقنى .

قال زوجها معاندا

- بل تقيمين فى بيتى ولا أطلقك أبدا .. لن تبرحى صنعاء ولن ترى مكة مادمت  
حيا ..

فلما جلس الأمير « معن بن زائدة » أمير اليمن لينظر فى المظالم ، رفعت إليه  
أمى قصتها وقالت له

- إن عمى فى مكة قد زوجنى هذا الرجل وليس بكفاء لى ، فإنى من قريش رهط  
النبي صلى الله عليه وسلم .. ففرق أيها الأمير أصلحك الله بينى وبين هذا  
الزوج !

قال الأمير لزوجها :

- أيها الرجل ... خل سبيلها ... فلست لها بكفاء ! ...

طلقها الرجل ، وأمر لها الأمير الكريم بمائتى دينار ، نفقة تتجهز بها إلى مكة ...

### ● اليوم الثانى :

المغنون الآن - وأنا الآن أكثرهم قبولا عند الخليفة وعند الوجهاء والكبراء -  
يستخفون بنسبى وحسبى ، ويقول لى السفهاء منهم :

- ما أنت إلا من شحاذى بنى سهم ، ولاينفعك أن يكون بنو سهم من صميم  
قريش ... ولئن صرت الآن غنيا تملك ألوف الألوف من الدراهم والدنانير ، إنك لعار  
على قريش ، لأنك إنما اكتسبت الثراء بالغناء وضرب العود ، فلا فرق بينك وبين  
المغنين والضاربين والزمارين من الموالى ! ..

فأقول لهم :

- وهل مس العار إبراهيم بن المهدي وقد اشتهر بالغناء وهو ابن خليفة وحفيد  
خليفة ... وأخو خليفتنا هارون الرشيد ؟ ! ...

فيقولون :

- وهل هو إلا ابن جارية سوداء كانت تسمى « شكلة » اشتهاها الخليفة محمد  
المهدي فولدت منه إبراهيم هذا ، فجاءت به نصفه من قريش ونصفه من

الزنج ! ...

إن حسد المغنين بعضهم لبعض لا ينتهى ، وقد تعلمت ألا أبالى مايقولون ! ...  
ولقد صرت غنيا بفضل الغناء وضرب العود كما يقول أولئك السفهاء ، ولكنى لم  
انس ماتعلمته فى مكة - قبل سكناى بغداد - من الفقه والحديث واللغة والشعر ...  
ولم أهجر مادرجت عليه من العبادات ، برغم ما أنغمست فيه من صناعة الغناء وما  
أخذت به من عادات جديدة فى بغداد ، بعضها من أسوأ العادات ! ...

### ● اليوم الثالث :

خرجت فى بكرة الصباح أتجول فى طرقات بغداد ، وأفكر فى كلب أشتريه ،  
أضمه إلى مجموعة كلابى النادرة ...

فى مكة لم أكن أتصور أنى أشتري الكلاب وأقتنيها يوما من الأيام ! ...  
أما الآن ، وأنا مغنى بغداد الأشهر ، فالكلاب الفارحة النادرة هوايتى ... ولها  
عندى اعزاز شديد ! ..

الناس يعيبيوننى بهذا ... ويعيبيوننى أيضا بلعب القمار ، ويقولون لى مشفقين أو  
هازئين ! ...

- لقد أنفقت فى الكلاب والقمار أكثر مما أنفقت بنو سهم كلها فى الطعام  
والشراب ! ..

فى بعض الطريق ، وثياب الخز والوشى تلتمع فى الضحى على جسدى ،  
سمعت فقيها كبيرا يتحدث عنى إلى جلسائه ويتحدثون عنى إليه ...

توقفت ناحية أسمعهم كأننى أنتظر شيئا ، فسمعت الفقيه يقول للقوم الجلوس :  
- بلغنى أن هذا القرشى قد أصاب ثروة كبيرة من أموال الخلفاء والكبراء ،  
فبأى شىء أصابها ؟ !

قالوا :

- بالغناء ! ....

قال :

- فمن منكم يذكر بعض مايغنى فيه من الشعر ؟ !

قال أحدهم :

- إنه يغنى

وأصحب بالليل أهل الطواف

وأرفع من مئزرى المسبل

قال الفقيه :

- هذا كلام حسن ! ... هيه ... ثم ماذا ؟ ! ...

قال الرجل : ويغنى أيضا :  
وأسجد بالليل حتى الصباح  
واتلو من المحكم المنزل

قال الفقيه :

- وهذا أحسن ! ... هيه ! ...

قال الرجل

عسى فارح الكرب عن يوسف  
يسخر لى ربه المحمل

فأشاح الفقيه بوجهه مستنكرا وقال :

- أما هذا البيت الثالث ... فلا ! ...

تعجبت لهؤلاء القوم ، فلولا كثرة ما يأخذه القمار وحب الكلاب منى ، لأذهلت  
ضخامة ثروتى هذا الفقيه والجالسين معه ! ... وإنه ليسأل من أين جاءت  
الثروة ، كأنه لا يعيش فى بغداد ولا يعرف شيئا عما يجرى فيها ، وكيف يعيش سادة  
بغداد لياليهم ، وكم من ألوف الجوارى والغلمان فى قصورهم ، وكم فى هذه  
القصور من بذخ يفوق الخيال ! ...

يتهامسون على فى غيظ : ألا يستحي هذا أن يغنى وهو رجل من قريش ؟ ! ...  
ثم لا يتهامسون عن أبناء الخلفاء الذين يغنون ويفعلون ما يشاءون

حتى الخليفة هارون الرشيد يريد أن ينتقصنى فيقول لى :

- أى بنى الانسان قومك يا اسماعيل ؟ !

فأكاد أموت غيظا ، فهو يعرف أنى من قريش أما وأبا ، وأنه هو من قريش أبا  
فقط ... وأمه الخيزران المجلوبة من سوق الرقيق ! ...

فأقول له :

- إن كنت تجهل نسبى فاسأل عنه إبراهيم الموصلى هذا الذى بجانبى ! ...

فيغضب الخليفة ويقول :

- قبحك الله شيخا من قريش ... كيف أسأل عن نسبك هذا الرجل وهو من

العجم ؟ ! ...

### ● اليوم الرابع :

قاضى القضاة أبويوسف وقف معى اليوم على باب الوزير يحيى بن خالد  
البرمكى ، وحدثنى وحدثته ! ... اليس هذا عجيبا ؟ ! ...

إن أبا يوسف صاحب الامام أبى حنيفة ، رجل دين مشهور بالورع والأمانة ،

ولكن أمره عجيب ، فهو يتجاهل أو يدعى الجهل بأن هارون الرشيد يجلس للمغنين  
كما يجلس للعلماء والفقراء ... والأدباء والشعراء ...

- هل يعلم القاضى أبو يوسف أو يجهل دقائق حياة أمير المؤمنين ؟ ! ...  
سؤال صريح ، لو أجاب عنه بصراحة ، لقلت : هذا القاضى هو صاحب أبى  
حنيفة حقا ... مع أن أبا حنيفة رفض أن يتولى القضاء لأبى جعفر المنصور جد  
الرشيد ... وضربه المنصور لارغامه على القبول ، فلم يقبل ... ومات جريحا  
سجينا ! ...

وأبويوسف - وهو التقى الورع - يجوس خلال قصور الخليفة ويعلم أنها تحوى  
اللقى جارية ، عدا الفلمان والخصيان وصنوف الخدم من كل لون وشكل ...  
ولكن صناعة الغناء هى وحدها حرام عنده بين جميع « الصناعات » التى تدخل  
هذه القصور ...

وقفت على باب الوزير يحيى بن خالد البرمكى ريثما يأذن لى وللناس بالدخول ،  
فجاءنى القاضى أبويوسف فقال لى ولم يكن يعرفنى :  
- أمتع الله بك أيها الشيخ ... توسمت فيك الحجازية والقرشية ! ...

فقلت فى نفسى : « قد اتخذ القاضى والله فى سمتى وحلاوة هيئتى وعمامتى  
السوداء على قلنسوتى الطويلة ، وما أخذ السجود الكثير من جبهتى ... فظننى من  
فقهائى الحجاز » !

ثم قلت للقاضى وأنا أقمص وقار الفقيه :

- أصبت ... أنا حجازى قرشى ...

قال القاضى مبتهجا متلففا

- فمن أى قرشى أنت ؟ !

- من بنى سهم !

- فأى الحرمين الشريفين منزلك ؟

- مكة ...

- ومن لقيت من فقهاءها ؟

- سل عمن أردت وعما شئت ...

ففاتحنى قاضى القضاة فى الفقه والحديث ، فوجد عندى ما يحب فأعجب بى  
وارتاح إلى الوقوف بجانبى كأنه يستظل بحجازيتى وقرشيتى ، وهو الفقيه ذو  
الأصل العجمى ...

ونظر الناس إلينا فسمعت بعضهم يقول همسا : « أرايتم القاضى قد أقبل  
يتحدث إلى المغنى ؟ ! » ..

فلما اذن لنا بالدخول إلى الوزير ، افترق عنى وسمعت رجلا من أصحابه يقول له

- أتعرف هذا الذى واقفته وحادثته ؟ ! ..

قال القاضى :

- نعم ... رجل من قريش ... من أهل مكة ، من الفقهاء ! ...

قال الرجل :

- أصلح الله مولانا القاضى ... إنه ابن جامع المغنى ، وقد أنكر الناس ذلك من فعلك ! ...

قال القاضى أسفا نادما :

- إنا لله ! ...

وظفق يستغفر الله كأنه قارف أعظم الذنوب ! ...

### ● اليوم الخامس :

التقيت والقاضى مرة أخرى على باب الوزير البرمكى ، فلما بصرتى انحرف عنى ، فرفعت صوتى قائلا والناس يسمعون :

- يا أبا يوسف ... مالك تنحرف عنى ؟ ! ... أى شىء أنكرت ؟ ! ... أتراهم قالوا لك إني ابن جامع المغنى فكرهت أن تقف إلى جانبي ؟ ! ... إني أسألك عن شىء ثم أصنع ماشئت ...

ثم قلت له :

- يا أبا يوسف ... لو أن أعرابيا جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة لسان :

يادار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطل عليها سالف الأبد

أكنت ترى بذلك بأسا ، أو تحكم بأنه أنشدك كلاما حراما لا يصح إنشاده ؟ ! ...

قال أبو يوسف :

- لا ... فقد سمع رسول الله الشعر من الشعراء وغيرهم .

قلت :

- فإن قلت أنا هكذا ! ... ثم اندفعت أغنى هذا البيت بأجمل صوت حتى رأيت الناس يتميلون طربا إلا القاضى ، فقلت له :

- يا أبا يوسف ... أنت صاحب الفتيا ... وأنا مازدت هذا البيت على أن حسنته

بلحن جميل ، فوصل إلى القلوب .

قال لى أبو يوسف ضارعا يستعفينى من الكلام :

- عافاك الله ... أعفنا من ذلك ! ...

وفى سهرة الرشيد قصصت عليه القصة فضحك كثيرا ، وغنيته ومعه زوجته زبيدة التى قلما تجلس معه للسمع ، فأمرت لى زبيدة بأربعمئة ألف درهم ، فقال لها الرشيد :

- غلبتنا يابنت أبى الفضل ، وسبقتنا إلى بر صيفنا وجليسنا ...

ثم جعل لها الرشيد مكان كل درهم أمرت لى به ، ديناراً من الذهب ! ...

وفى تلك اللحظة خطر فى بالى مولانا قاضى القضاة ! ...



## ذكریات البرامكة



## ● اليوم الأول :

دعاني القائد الكبير على بن هشام وهو صديق لى يحبني ويحب فن الغناء .. الى الصبوح فى قصره مع عدد من كبار المغنين والندماء .. فعاقنتى عن البكور اليه عائق قاطع ، فلم أستطع أن أوافيه الا ظهرا ، وكان ينبغي أن أكون فى مجلسه قبل طلوع الشمس ، فقال لى :

- أين كنت حتى هذه الساعة ياأبا محمد ؟  
قلت :

- عاقنتى أمر لم أجد من القيام به بدا ..  
فوثب عليه الأعسر - وهو تلميذ أبى وتلميذى ولكنه شديد الحسد لى - فقال  
لعلى بن هشام وكأنه يداعبنى :  
- أيها الأمير .. إن اسحاق الموصلى الذى يعتذر اليك بالعوائق ، ولايجيء اليك الا ظهرا ، كان فى الماضى سريع التلبية لدعوات البرامكة ، ولو دعوه فى منتصف الليل ! ..

قلت لعلويه

- كذبت يا أعسر .. وما أردت مداعبتى ، ولكنك تريد التحريض والدسياسة ! ..  
فأراد عليه أن يشغب ويصيح ، فأسكته الأمير ابن هشام وأمره بالجلوس ،  
ودعا لى بطعام وشراب ، ثم أشار الى عليه فغنى  
إلهى منحت الود منى بخيلة

وأنت على تغيير ذاك قدير  
شفاء الهوى بث الهوى واشتكاؤه  
وإن امرا أخفى الهوى لصبور

فأخطأ عليه فى بعض أقسام اللحن ، فقلت له بعد أن فرغ منه :  
- أخطأت يا عليه .. ويك !

فما رد على قولى ، ووضع عوده وشرب شيئا ، ثم تناول العود فغنى  
ولقد أسمو الى غرف فى طريق موحش جده  
حوله الأحراس تحرسه ولديه جاثما أسده

فأخطأ فى غناء هذا اللحن أيضا ، فقلت له :  
- أخطأت يا أعسر ثانية .. ويك !  
فوضع العود من يده وأقبل بوجهه ناحيتى محنقا :

- يا اسحاق !.. دعاك الأمير - أعزه الله - لتبكر اليه ، فجنّته ظهرا ، وغنيت  
لحنين يشتهيها الأمير - أعزه الله - فخطأتني فيهما ، وأنت تزعم أنك لاتغنى  
الا بين يدى خليفة أو ولى عهد .. وقد كنت أراك تسرع الى البرامكة قديما  
فتغنى منذ الصباح الى الليل !  
قلت لعلويه :

- إني والله ما أردت إنتقاصا منك ولا أقول لغيرك ماقلته لك تقويما  
لصناعتك فى الغناء وما أردت بذلك ازدراءك ، ولكنى أردت تهذيبك لأنك  
منسوب الصواب والخطأ الى أبى الذى علمك الصناعة ، فإن كرهت منى ذلك  
تركته وقلت لك كلما سمعتك تغنى أحسنت وأجملت ! ..

ثم أقبلت على الجلوس فقلت :  
- أما البرامكة فقد ذهبوا ، ولكنى لا أحدهم حقهم ، فوالله لقد وجدنى  
الوزير يحيى بن خالد البرمكى يوما لا انشط للغناء ولللمنادمة ، فقال لى :  
أراك مهموما ، كأنك مفتقر الى شىء .. ثم صاح :  
- يا غلام .. دواة ورقعة وقلما ..

فوقع لى بمائتى الف درهم ! .. وكان فى مجلسه أولاده الأربعة جعفر  
والفضل وموسى ومحمد ، فوقع لى جعفر بمائة وخمسين الف درهم ، ووقع  
لى الفضل بمثلها ، ووقع لى موسى ومحمد بمائة الف ، مائة الف ! ..  
فخرجت فى ساعة واحدة من عندهم بسبعمائة الف درهم ، ووالله ماسألتهم  
أن يعطونى شيئا ، ولاغنيبتهم لحنا ولافعلت شيئا الا الجلوس بين أيديهم  
صامتا فى تلك الساعة .. ولا والله ما كان هذا بأكبر شىء فعلوه لى .. فهل  
يلومنى منصف على شكر هؤلاء وقد ذهبوا ولم تبق الا ذكراهم ؟!  
فبكى على بن هشام وكل من حضر ، ومن بينهم علويه ، وقالوا  
- لايرى الناس والله مثل البرامكة ابدا ...

وقام علويه فقبل رأسى وقال لى :  
- أنت أستاذنا وابن أستاذنا ، وبنا الى تقويمك حاجة فى كل وقت !  
ثم جاءونى بعود ، فغنيت اللحنين اللذين أخطأ علويه فى غنائهما ،  
وصححتهما له وبينتهما على وجههما حتى فهم علويه خطأه ، فقام يرقص  
ويصيح :

- والله لو غنى ابليس هذين اللحنين لعجز عن مثل اتقائك هذا  
يا اسحاق ! .. يا أستاذى وابن أستاذى  
فضحك على بن هشام وقال :  
- صدقت والله يا علويه ! .. هكذا يقول من يعقل لاكما كنت تقول وتشغب  
من قبل على أستاذك اسحاق !

## ● اليوم الثانى :

فى مجلس أمير المؤمنين المعتصم ، غنيت لحنا جديدا قطرب طربا

شديدا ، ثم تأملنى لحظة وقال لى  
- ياأبا محمد .. لقد ضحك الشيب فى عارضيك !  
قلت وقد فاجئنى الحزن على ذهاب شبابى  
- نعم ياسيدى .. فإن سبعين سنة ليست بالزمن القصير ، وقد تخطيتها  
أسأل الله أن يمد فى عمر أمير المؤمنين !  
ثم بكيت حتى اشتفيت ، وبكى المعتصم لبكائى ، وكان رقيقا على جبروته  
وكثرة حروبه !  
ووجدتنى أمسك بالعود وأغنى

تولى شبابى الا قليلا  
وحل المشيب قصيرا جميلا  
كفى حزنا بفراق الصبا  
وأن أصبح الشيب منه بديلا  
ساندب عهدا مضى للصبا  
وأبكى الشباب بكاء طويلا  
فطرب المعتصم ، وظهر التأثير الشديد على وجهه ، وقال لى  
- والله لو قدرت على رد شبابك بشطر ملكى لفعلت !  
فلم يكن لكلامه عندى من جواب الا تقبيل البساط بين يديه ! ..

### ● اليوم الثالث

اجتمعنا عند الواثق - لى عهد المعتصم الآن - أنا ومخارق وعلويه  
وغيرنا ، فأراد الواثق أن يؤلب مخارقا وعلويه ويغريهما بى ، ليتسلى  
ويضحك ! .. ففعل ذلك حتى تهاترنا وتبادلنا قوارص الكلم ، ثم قال لى  
الواثق .

- ماتقول ياسحاق فى مخارق ؟  
قلت :  
- هو مناد طيب الصوت ، ولكنه يخرج بالألحان عن أصولها فتكثر  
أخطاؤه ..  
- فما تقول فى علويه .. أهو أفضل أم مخارق ؟  
قلت :

- أيها الأمير قيل لأحد العرب : أى حمارك شر ؟  
فأجاب : هذا .. ثم هذا ! .. فعليه هو خير الحمامين فى الغناء .. وهو  
على كل حال شئىء - أردت تصغيره - وخير منهما أبو حشيشة الطنبورى !  
فوثب علويه مغضبا وقال للواثق :  
- نسائى طوالق ، وچوارى حرائر ، لئن لم تستحلفه أن يصدق عما أسأله  
عنه ، لأتوبن عن الغناء ما عشت

فقال الواثق لعلويه

- لاتعربد يا علويه .. نحن نفعل ماسألت  
ثم حلفتني الواثق أن أصدق عما يسألتني عنه علويه ، فحلفت ، فسألتني  
علويه

- من أحسن الناس اليوم صنعة فى التلحين بعدك ؟!

- أنت يا علويه .

- فمن أطيب الناس صوتا بعد مخارق ؟

- أنت !

- فمن أبرعهم ضربا على العود بعد زلزل قديما وبعد ثقيف الآن ؟

- أنت !

فصاح علويه وكأنه أنتصر

- هذا قولك ، فانا الثانى فى كل مجال من صناعة الغناء ، وأنا ثلاثة فى

واحد ، وكل منكم واحد فقط لايتعدى مجاله فى الصناعة ، فمن يكون فى

الدنيا مثلى من نظرائى فى صناعتي ؟!

ثم التفت علويه ناحيتي وقال معربدا

- وما أنت وصوتك هذا الذى ضعف حتى صار لاتسمعه الأذن

انخفاضا ؟!

فأنتهره الواثق وقال له

- دع ذاعنك ، فلولا ما علمك اسحاق وأبو اسحاق من هذه الصناعة أنت

وغيرك ما كان فى بغداد أحد من المغنين

وغاظنى علويه ، فأخذت عودا فنقلت أوتاره من مواضعها حتى صارت

مشوشة لاتصلح للضرب ، ثم قلت : ليغن من شاء منكم وأنا أضرب له على

هذا العود الذى شويشت أوتاره ، فأدهشهم ذلك ، وغنى مخارق ، وضربت

له ، فلم يظهر فى الضرب اثر لتشويش الأوتار ، ولافقد الايقاع شيئا ،

ولا اختل من اللحن أدنى شيء .. فعظم عجب الواثق من فعلى ، وقام على

رجليه فقال :

- هذا والله ما لايفعله الا السحرة ! .. ومارأيت مثله قط ، ولاظننت أن مثله

يكون ابدا ..

فوثبت فرقصت طربا حتى تعبت ، فضحك الواثق وقال لى

- أنت والله أرقص من كبيش وعبد السلام ، وهما أرقص الناس فى بغداد

الآن كما يقال !

ثم قال الواثق :

- لا يكمل أحد فى صناعته كمثّل كمال اسحاق ..

ثم التفت الى الجلوس ، وبينهم مخارق وعلويه فوصفنى وقرظنى

وامتدحنى وقال

- والله ما ذكرت من اسحاق شيئا يقارب وصفه ، فهو واحد فى دهره علما

وفقها وأدبا ووقارا ووفاء وجودة رأى وصحة مودة .. لا يمل جليسه مجلسه

إن حدثك الهالك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غناك أطربك .. والغناء فرع من

دوحته ، وأما أمثال مخارق وعلويه فالغناء هو كل شيء عندهم ، وهم بغير  
الغناء لا يكونون شيئا !  
فرايت عندئذ مخارقا وعلويه ينكمشان وقد انكسرا وانهزما وأوشك أن  
يقتل الحسد علويه خاصة !

#### ● اليوم الرابع :

تولى الواثق الخلافة بعد أبيه المعتصم ..  
الواثق يلحن ويغنى ويعتبر نفسه تلميذا الى فى هذه الصناعة ، وهو لطيف  
غير مغرور بجاهه وسلطانه العظيم ، وإذا صنع لحنا عرضه على ، لأصلحه له  
إذا كان فيه خطأ إلا أن ألحانه والله لاتقل جودة عن الحان مشاهير  
المغنين ، بل لعلها خير من الحانهم لأنه يصنعها هواية وتطريا ، لاصناعة  
وتكسبا ..

انحدرت مع الواثق وجمع من حاشيته الى مدينة « النجف »  
قلت له : ياأمير المؤمنين .. قد قلت فى النجف قصيدة ، فقال : هاتها ،  
فأنشدته

ياراكب العيس لاتعجل بنا وقف  
نحى دارا لسعدى ثم فتصرف

ثم أتيت على قولى  
لم ينزل الناس فى سهل ولاجبل  
أصفى هواء ولا أعذى من النجف  
حفت ببر وبحر من جوانبها  
فالبر فى طرف والبحر فى طرف  
ومايزال نسيم من يمانية  
يأتيك منها برياً روضة انف

فقال لى الواثق صدقت ياسحاق .. هى كذلك ! .. ثم مضيت أنشدته  
حتى أتيت على قولى فى مدحه

لايحسب الجود يقنى ماله أبدا  
ولايرى بذل مايحوى من السرف

ومضيت فى القصيدة حتى أتممتها فطرب ، وأمر لى بمائة ألف درهم ..  
ثم انحدرنا الى « الصالحية » فمكثنا أياما فاشتقت الى أهلى فى بغداد ،  
فبكيت ، فبان التأثر فى وجهه ، واذن لى بالتصريف الى بغداد وأمر لى  
بمائة ألف درهم .. فعدت من رحلتى هذه بمائتى الف درهم ! .. وماوصلنى  
أحد من الخلفاء قط بما يصلنى به الواثق فى كل حين ، على أن أباه  
المعتصم وعمه المأمون وجده الرشيد كانت الأموال تجرى بين أيديهم  
كالأنهار ، وأما هو فقد غيض بحر المال فى عهده الا قليلا ! ..

يوميات دنانير البرمكية :

## غفيرة زبيدة



## ● اليوم الأول :

تعود بى ذاكرتى الى السنين الخالية .. أيام كنت جارية مغنية فى قصر الوزير يحيى بن خالد البرمكى ، وزير الخليفة هارون الرشيد  
كان الرشيد مشغولاً بفنائى ، لا يرى لى شبيهة بين الجوارى المغنيات البارعات اللاتى يملك منهن العشرات ، وما منهن الا من تميزت بصوت حسن ، أو أداء متقن ، أو جمعت بين حسن الصوت واتقان الأداء الا اننى أملك من جمال الصوت وصناعة الغناء والضرب على العود ، والعلم بالشعر وفنون التلحين ، مالا تعلمه الجوارى .

أرأنى أتحدث عن هذا الماضى كأننى أعيش فيه والحق انى أعيش فيه بأحلامى ، خلال يقظتى ومنامى ، ولكنه انقضى منذ عهد أراه بعيداً وهو قريب ، وأنا الآن امرأة تعيسة أدبرت أيامها السعيدة ولم تبق لها من تلك الأيام الا مرارة الذكرى !  
وها آنذا أقلب طرفى فى « يومياتى » القديمة ، عائدة اليها بأحلامى ، وإن صارت الآن مجرد كلمات قديمة على أوراق صفراء عبثت بها الأرضة وابتلعت منها كلمة من هنا وكلمة من هناك .. وإنما ابتلعت فى هذه الكلمات قطعاً حية منى .  
وآه من تلك اليوميات التى أكل الزمن كلماتها كما أكل كلمات حياتى ! ..

## اليوم الثانى

### اقرأ الآن حياتى من أولها ..

كنت جارية ليحيى البرمكى .. لم ير جارية مغنية أحسن منى وجهها ولا أظرف ولا أكمل أدبا

سمعتنى يحيى ثم اشترانى ، فقال لى - يادنانير .. إن لك صوتاً بارعاً جداً ، وطبعاً فى الغناء لم أر له مثيلاً ، على كثرة من سمعت من المغنيات المدربات الحاذقات .. ولكن تنقصك الدربة على أيدي فحول هذه الصناعة ، فإنيك متى أخذت عنهم أسرارها ، وتخرجت على أيديهم ، صرت واحدة زمانك فى الغناء ..

ثم دعا الوزير الى قصره كبار الملحنين والمغنين ليطارحونى الألحان ، فأخذت عن فليح بن ابى العوراء وهو أكبرهم سناً ، ثم عن اسماعيل بن جامع وهو أحسنهم صوتاً ، ثم عن ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق ، وهما أعظم أهل الأرض علماً بصناعة الغناء ..



قال لى ابراهيم الموصلى يوما

- والله ماأرى فى غنائك نقصا يحتاج الى زيادة ، ولافى طبعك الا السلاسة والقوة ، كأنك زهرة عطرة نابئة بقوة فى أصل بذرتها ، لابرعاية بستانى يتعهدا ويسقيها ، فكيف كانت نشأتك فى هذا الفن يابنيتى ؟!

قلت

- كنت لرجل من أهل المدينة وأنا صبية صغيرة ، فخرجنى وأدبنى ، وأسمعنى غناء مطربى المدينة ، وما أكثرهم ، فأستجاب طبعى للغناء ، ورويت مأسمعتة ، فلما رأى سيدى ذلك منى ، علم أننى صرت غالية الثمن ، فعرضنى على الوزير يحيى البرمكى فاشترانى فهذه والله نشأتى وقصتى !

قال لى الموصلى

- فىنى جئت اليوم أسمع لحنك الجديد

- وما هو ؟!

- هو الذى حدثنى عنه الوزير أعزه الله ، وقال لى إنك به معجبة ، وترين أنه لحن فائق لامطعن فيه ..

أدهشنى أن يهتم الوزير بالحنانى حتى ليحدث عنها ابراهيم الموصلى ويدعوه الى سماعها منى ! ..

واقبل الوزير فقال للموصلى

- يا ابراهيم أسمعت اللحن من دنانير ؟!

قال الموصلى

- إنها تجس عودها لتبدأ ، ولكنك - أعزك الله - معجب بهذا اللحن الجديد ، وإعجابك به شهادة له لاحتاج معها الى شهادتى ، فإنك والله ثاقب الفطنة ، صحيح التمييز فى هذا الفن ، ولم أرك مثيلا فى ذلك الا أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله وأعز نصره

أهتز الوزير يحيى لثناء الموصلى عليه وقال :

- يا أبا اسحاق لا أقول لك : أعجبنى هذا اللحن من دنانير ، ثم لايعجبك وأنت عندى رئيس صناعتك ، تعرف منها مالا أعرف ، بل مالايعرف الحذاق من أهلها .. وأنت تقف من دقائقها ولطائفها وأسرارها على ماخصصت به من بين الناس جميعا وإنما يتم سرورى بلحن دنانير اذا صادف منك استجابة وتصويبا .

ثم غنيت لحنى هذا وتحفظت فى أدائه على أحسن وجه ، حتى كدت أفتتن بغناء نفسى ، وغرنى مابلغته فى صناعة الألحان ! .. وكأننى كنت أضع مع أنفاسى دقات قلبى ، تدور بدمى فى هذين البيتين

نفسى أكنت عليك مدعيا

أم حين أرفع بينهم حُنتِ

أن كنت مولعة بذكرهم

فعلى فراقهم ألا مُتُّ ؟!

حتى فرغت من اللحن ، فكانما اكتملت لى فيه جهة كانت ناقصة فى وجدانى ،  
فضلا عن فنى ..

ورأيت الوزير والموصلى قد استخفهما الطرب ، حتى صاح الوزير والموصلى  
معا .

- أعيديه ! ..

فأعدته .. ولم يزالا يستعيدان حتى قلت : قد جن الرجلان بما يسمعان منى !  
فلما هدا الوزير والملحن الكبير ، قال الوزير له :

- كيف رأيت صناعة هذا اللحن يا أبا أسحاق ؟!

قال الموصلى ولم تزايله بعد هزة طربه :

- انى طلبت أيها الوزير - أعزك الله - موضعا فى اللحن أصلحه وأغيره لتأخذه  
عنى دنانير ، فلا والله ما قدرت على ذلك ، وقد أعادته علينا ، فإذا هو كالذهب  
المصفى ، ليس فيه الا رونقه يزداد لمعانا ..

ثم خاطبنى الموصلى قائلا :

احسنت والله يابنية وأصبت ، فأنت الآن سيدة المغنيات الضاربات الملحنات ،  
وإنك لتحسنين الاختيار ، وتجيدين الصنعة .. والله ما يحسن كثير من حذاق  
المغنين مثل هذه الصنعة وأنت تتعلمين على أيديهم !

فضحك الوزير يحيى وقال للموصلى

- تأبى إلا أن تغمز ابن جامع ونظراءه من المغنين الذين تأخذ عنهم دنانير ،  
ولاتنسى نقارك معهم ابدا !

قال الموصلى

- لا والله ، لقد أعادت اللحن مرات ، وأنا أريد أعانها لأفتح لنفسي مدخلا الى  
تعديل أو تصحيح فيه ، فلا والله ما وجدت الى ذلك سبيلا !

قال الوزير

- قد والله سررتنى ، وسأسرك ! ..

ثم وجه الوزير الى الموصلى بمال عظيم ! ..

### ● اليوم الثالث :

جاء الرشيد الى قصرنا خلصة ، لأن زوجته زبيدة تغار عليه منى ، وتشكوه الى  
كبراء بنى هاشم ، تقول لهم

- أمير المؤمنين ينتقل الى قصر وزيره لسماع جارية مغنية ؟ ؟  
الا تنصحوه ؟!

فلما أُلح عليه كيار عمومته بالعتاب ، وقالوا له : فى قصرِكَ من المغنيات اللاتي هن ملك يمينك فلانة وفلانة .. وعشَرات أخريات ، فما يحملُك على الخروج الى بيت الوزير لسماع تلك الجارية ؟!

قال لهم

- ليس لى فى هذه الجارية من أرب فى نفسها ، ولكن مَأربى فى غنائها ، فاسمعوها ان شئتم ، فإن لها من جمال الصوت وكمال الصنعة ما ليس لغيرها ، وقد شهد لها ابراهيم الموصلى الذى لا يشهد لأحد من مغن أو مغنية ، ولو عرضوه على السيف ، إلا أن يراه مجيدا

وقد سمعنى هؤلاء العاذلون ، فعذروا الرشيد ، وعادوا الى زوجته زبيدة فأشاروا عليها إلا تلح فى غيرتها حتى قبلت منهم ذلك ، وقالت

- والله ماهى الغيرة ، والاففى القصر ماتعلمون من عدد الجوارى اللاتي يملكنهن ، ولكنى خشيت عليه من استدراج البرامكة اياه إلى بيوتهم ! ..

وارادت زبيدة أن تنفى تهمة الغيرة عن نفسها فأهدت الى الرشيد عشر جوار جديديات ، منهن : ماردة ، ومراجل ، وفاردة ! .. وقد ولدن له أولاده المعتصم ، والمأمون ، وصالحا .. وهم ينافسون ابن زبيدة محمدا الأمين ، فى التطلع الى الخلافة ..

#### ● اليوم الرابع

صحوت اليوم من نومي وأنا جائعة أشد الجوع ، فدعوت بالطعام فى بكرة الصباح ، فدهش الخدم ، فليست شرهة ، وأكلت من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى فما شبع ، والخدم يتعجبون ويتغامزون حتى جاء الوزير ، فقلت له انى اكل ولا أشبع ، فأدهشه الأمر ، وقام فاستدعى الطبيب ابن بختيشوع ، فلما فحص عن علتى ، انتحى بالوزير ناحية ، وسمعته يقول له متوجعا لما أصابنى من سعار الجوع

- قد أصابتها العلة الكلبية ! ..

فدعر الوزير وسأله :

- وما العلة الكلبية ؟ ! ..

- تأكل ولا تشبع ولا تصبر عن الأكل ساعة واحدة ! ..

- وما علاجها ؟ !

- اختلف الأطباء فيه ، ولكنى سأشرع فى علاجها متحرزا من الخطأ .. والله

المستعان ! ..

فرايت الوزير كأنه يوشك ان يبكى حزنا ، وأنصرف الطبيب للبحث عن دواء !

## ● اليوم الخامس

تناقصت حدة الجوع الذى أشعر به ، ولعل ذلك من أثر دواء الطبيب الذى اتعاطاه كل يوم مرات ، قبل الأكل وبعده  
ولعل ذلك من أثر الصدقات الكبيرة التى يتصدق بها الوزير ، فقد أظننا شهر رمضان المبارك ، ولم استطع صومه ، فأخذ الوزير يتصدق عنى فى كل يوم من أيام الشهر المبارك بألف دينار ، وفى الصدقة بركة لاشك فيها !  
زارنى الرشيد حين سمع بعلى ، قرأيته مكتئبا من أجلى ، وأخرج من صندوق صغير يحمله بعض خدمه ، عقدا من الجوهر قيمته ثلاثون ألف دينار ، فأعطانيه ، وهو يبتسم لى مشجعا !  
أنقضى شهر رمضان ، فشعرت كأننى شفيت من العلة الكلبيّة تماما . فأخذت أنفض الغبار عن عودى ، فقد شاقنى الغناء كثيرا  
ولكنى لم أجد من الوزير اقبالا ، ورأيتة اليوم مجتمعا وابنيه جعفرا والفضل .  
يتهامسون ، وقد ركبهم الهم والكرب فعجبت لذلك ، فلما انصرف جعفر والفضل قلت للوزير يحيى

- ياسيدى .. أى شيء أهمكم وطراً على أحوالكم ؟!

لم يجب الوزير ..

والتفتنا فإذا بمسرور خادم الرشيد يدخل القصر ويدعو يحيى لمقابلة الرشيد مع ابنه جعفر والفضل  
انتظرت عودته ساعات طوالا ، حتى سمعت ضجة حول القصر ، وإذا بعسكر الرشيد يدخلون ويصادرون كل مافى القصر ، حتى العقد الذى وهبه لى الرشيد وقال العسكر : إن أمير المؤمنين قد نكب البرامكة جميعا وقتل جعفر بن يحيى وحبس أباه وأخاه !

## ● اليوم السادس :

دعانى الرشيد الى الغناء فى قصره ، فلما جلست بين يديه قلت له  
- ياأمير المؤمنين .. إنى أليت الا أغنى بعد سيدى ابدا !  
غضب الرشيد وأمر بصفعى ، فصفعنى الخدم ، وأقامونى على رجلى ، وأعطونى العود ، فأخذته وأنا أبكى أحر بكاء وغنيت مع ذلك متحفظة فى غنائى ، قائمة بأصول الصناعة :

يادار سلمى بنازح السُّند

بين الثنايا ومسقط اللبد

## لمارأيتُ الديارَ قد دُرِسَتْ

أيقنت أن النعيم لم يَعدِ

رق لى الرشيد وأمر باطلاقى !  
انصرفت الى البيت الذى أسكن فيه ، فجاء ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد ،  
وهو من أجمل الناس صوتا ، فقال لى مواسيا يتحزن لمصابى  
- قد والله أبكىتنى بما غنيت ، ولكن اضطرابك من الحزن لم يذهب بشيء من جمال  
صوتك وصناعتك ، فقد رأيتك تَحْتَلِينُ اللحن برفق ، وتقهرينه بحذق ! .. فله أنت ..  
ما أكرمك وأنبلك !

وأراد أن يعطينى بعض المال فأبيت ، وانصرف والدمع فى عينيه !  
زارنى المطرب « عقيد » وهو من موالى الأمير صالح بن الرشيد ، ويحبنى من  
قديم ، وكان ينتظر أن أتحري من الرق ليتزوجنى ، فلما تحررت بعد نكبة البرامكة ،  
جاء يخطبنى ، فرددته برفق ، وأقمت على الوفاء لمولائى ! ..  
وتعود بى ذاكرتى الآن الى السنين الخالية .. أيام يحيى وجعفر ، والرشيد ،  
وغيره زوجته زبيدة .. ومطارحات الموصلى الألعان ! ..



يوميات دنانير الكناسية :

## جارية الرجل الصالح



## ● اليوم الأول

سيدي الذي اشتراكي اسمه محمد بن كناسة .. رجل عربي النسب ، كوفي المولد والمنشأ .. صالح السيرة ، ذو مروءة وأدب وعلم ، وله شعر جيد ، ولكنه لا يقصد بشعره ذوى السلطان والثراء ليمدحهم كما يفعل غيره من أهل الأدب والعلم ! .. سمعت مرة أحد أصدقائه يقول له

- عجبت لك يا أبا يحيى فى قعودك عن باب السلطان ، ورفضك انتجاع الكبراء والعظماء بأدبك وعلمك وشعرك ، كما يفعل كل من له فضلة أدب أو علم أو شعر فى هذه الدولة العباسية التى راجت فيها سوق أناس هم دونك علما وأدبا ، وإنك لمن رواة الحديث الشريف ، وقد أخذت عن الثقات من المحدثين ، ورأيت الأعمش الفقيه الكبير ، وهشام بن عروة بن الزبير ، وسفيان الثوري ، وهم فى العلم جبال شامخة ! ..

فقال له محمد بن كناسة

- أصون عرضى عن الوقوف على أبواب السلطان ، ولا أطلب الرفعة بإغماض العينين ، ولا أجرح وجهى بالمطامع ! .. ثم ارتجل :

معاشى دوين القوت والعرض وافر  
وَبَطْنِيْ عن جدوى اللئام خَمِيصُ  
سألقي المنايا لم أخالط دنية

ولم تسر بى فى المخزيات قُلُوص

فلما خرج صاحبه هذا ، دخل شيخ الملحنين والمغنين اسحاق الموصلى ، فهش له سيدي ، وقال له :

- تغنيك جاريتنا أم تغنينا أنت متفضلا يا أبا محمد !؟ ..

قال اسحاق :

- لولا وجع فى حلقى من أثر البرد لغنيتك متشرقا بالغناء بين يديك ! .

فناداني سيدي

- يادنانير .. هذا أبو محمد اسحاق الموصلى أعزه الله .. هاتى عودك فأسمعينا مما تحفظين من ألحانه ! ..

فلما غنيتهما طربا .. وقال له اسحاق :



- ياأبا يحيى .. أراك تنقبض عن الناس ولا تمازحهم ولا تكثر من التحدث إليهم ،  
ولكنك تخصصنى بالاقبال والمودة والمداعبة واللفظ والتواضع ، فجزاك الله عنى  
خييراً ، ونفعنى بعلمك وأدبك وجعلنى فداك ! ..

فصمت محمد بن كناسة قليلاً ثم أجابه ببيتين ارتجلهما فرأيت اسحاق الموصلى  
يتمائيل طرباً للبيتين ، ومارأيته والله يطرب لغناء أحد طربه لهذين البيتين .  
ثم قال سيدى لاسحاق الموصلى

- ياأب محمد .. إن فى علمك وأدبك وعفافك وظرفك ما يجعلنا نرسل أنفسنا على  
سجيتنا معك ، فى حين تنقبض عن كثيرين من الناس ، وإن كان الفضل لك علينا  
فى كل حال ! ..

### ● اليوم الثانى :

سمعت بعضهم يقول لسيدى ابن كناسة :

- أنت امرؤ صالح ، يقصدك العلماء ، فما حظك من جاريتك دنانير المغنية هذه  
التي يسمعها عندك أصحابك ممن ترضى أخلاقهم وتتق بحسن ذوقهم فى  
السماع ؟ ! ..

قال له سيدى

- قد أجبته بنفسك عن سؤالك ! .. فإنما أسمع غناها ويسمعوته معى ، على  
غير فاحشة ، وهى ملك يمينى ، اشتريتها بمالى ، ولى فيها غنى عن سماع غيرها  
فى بيوت الناس ، وهى بارعة فى صناعة الغناء ، وحسبك أن اسحاق الموصلى قد  
شهد بذلك ! .. ولها إلى ذلك أدب وذكاء وعفاف ..

ثمة سريخفيه هذا الشيخ الطيب عن أصحابه ، فهو لا يجب زوجته التى بنى بها  
منذ ثلاثين سنة ، فتقل عليه مكانها فى بيته ، لسوء عشرتها ، وحدة لسانها ، ثم  
جعلت لنفسها ركناً فى البيت ، وجعل لنفسه ركناً آخر .. وما أظنه اشتراى لغنائى  
فحسب ، بل لأكون أنيسة له أيضاً فى هذا البيت الموحش ..

صحبته أمس فى زيارة بعض أقاربه فمررنا فى طريق بغداد برجل مصلوب على  
جذع شجرة ، يقول الناس إنه من المفسدين فى الأرض .. فنظر إليه ابن كناسة  
لحظة ، وحوقل ، ولم يتذكر وهو يرى هذا المنظر المرعب إلا زوجته التى تركها فى  
البيت ولم يقل لها وهو خارج بى إلى أين نحن ذاهبان ! .. فقال مرتجلاً وقد أنزل  
عينيه عن الرجل المصلوب وأغمضهما كأنه يستجمع صورة تلك المرأة :

ايا جذع مصلوب أتى دون صلبه

ثلاثون حولاً كاملاً .. هل تبادلاً ؟

فما أنت بالحمل الذى قد حملته

بأضجر منى بالذى أنا حامل !

فحزنت والله من أجل الشيخ ، لأنه يرى أن الرجل المصلوب أخف وزنا على الجذع الذى يحمله ، من وزن امراته هو التى حملها على قلبه مكرها ثلاثين سنة !  
مع ذلك فالشيخ من أبر الناس بعياله ، وقد رأيته منذ أيام يحمل إليهم بيديه بطن شاة من عند الجزار ، فقلت له هات أحمله عنك ! .. قال

لاينقص الكامل من كماله

ماجر من نفع إلى عياله

### ● اليوم الثالث :

يعجبني فى سيدى ابن كناسة ، فوق علمه وتقواه وطربه لغنائى ، أنه يثق بفهمى وعلمى وسرعة فطنتى ..

كنت أمس أجلس خلف ستارة فى بيته ، وهو جالس إلى أصدقاء له من الأدباء والعلماء .. فذكرنى أحدهم فأتنى على غنائى وضربى بالعود ، وهو لايعلم أننى جالسة وراء الستارة ..

فقال ابن كناسة لأصحابه :

- إن الغناء هو أقل فضائلها على براعتها فيه .. ولو شئتم لاختبرت لكم فهمها وعلمها الساعة ..

ثم أخذ قلما وكتب رقعة ، ونادى خادمة فأمرها بإيصالها لى ، فقرأت فيها « يادنانير .. إنك أمةٌ ضعيفة لكعاء فإذا جاءك كتابى هذا فعجلى بجوابى .. والسلام » ! ..

فلما تأملت كلامه علمت أنه لايريد أن يقول شيئاً ، وأنه إنما يختبر فطنتى فى الوقوف على معانى الكلام وإدراك مراميه .. وكلامه هذا لامعنى له ولامرمى ! .. فكتبت إليه : « ياسيدى ساعنى تهجينك إياى .. وإن من أعيالعى ، الجواب عما لاجواب له ! .. والسلام » ! ..

فلما بلغته رقعتى قراها على صحبه وقال لهم :

- أرايتم كيف فطنت الجارية إلى أننى إنما كتبت إليها ثرثرة لامعنى لها ؟ !  
قال القوم :

- والله .. إن دنانير جاريتك هذه لأعظم قدرا من دنانير جارية البرامكة ! ..  
قال سيدى :

- صدقتم والله .. فإننى سمعت غناء دنانير البرمكية مرة ، فوالله ما أراها تعدل فى الغناء دنانير جاريتى .. أما الأدب والذكاء والكمال فليس لجاريتنا فيها مثيل فما رأينا ولا سمعنا أفضل منها ! ..

#### ● اليوم الرابع :

زوارنا اليوم كثيرون .. جاءنا واحد من العلماء النبهاء فذاكره سيدى فى شىء من الأدب والعلم ، حتى قال له الرجل :

- ياأبا يحيى .. والله إنى لأستحسن أبياتك التى أولها : « ومن عجب الدنيا » .. وأريد أن أكتبها فلاتضيع منى فهلا أنشدتنيها ؟ .. فأنشده سيدى هذه الأبيات

ومن عجب الدنيا تُبْقِيكَ لِلْبَلَى

وانك فيها للبقاء مُرِيدُ

وإى بنى الأيام إلا وعنده

من الدهر ذنب طارف وتليد

ومن يأمن الأيام .. أما انبياعها

فَحَطَّرُوا مَا فَجَّعَهَا فَعْتِيد

إذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى

فإن فطام النفس عنه شديد

فلما كتب الرجل الأبيات وانصرف ، قلت لسيدى

- ماهو « الانبياع » ؟ .. وماهو « الخطر » ؟ .. بسكون الطاء - فى البيت الثالث من هذه الأبيات ؟!

أجاب

- الانبياع هو الوثوب بعد السكون ! .. تكون الدنيا ساكنة هادئة فينخدع بها المرء حتى تثب عليه وثبا فتقتله أو تسلبه عافيته أو تهتك ستره .. وأما الخطر ، فهو ضرب البعير الهاثج بذيله يمينا وشمالا .. أردت تشبيه الدنيا حين تهيج على صاحبها بهذا البعير حين يهيج على صاحبه ! ..

ثم قال لى :

- يادنانير ! إياى تخدعين ؟! .. أترين أنى لا أدري معرفتك بهذا الكلام كله ؟! .. وإنما أردت أن تسلينى وترفهى عنى ، وتعرفينى أنك معجبة بشعرى ! ..

قلت له :

- والله ياسيدى إنك لمن أشعر الناس ، وإنى سمعت اسحاق الموصلى يوما يقول لك وقد سمع بيتين من شعرك فاهتز لهما إعجابا :

- ياأبا يحيى .. وددت أنه نقص من عمرى سنتان وأنى كنت سبقتك إلى هذين البيتين ! ..

فأطرق ابن كناسة لحظة ثم سألنى  
- قد نسيت ذلك ، فما هما البيتان ؟!

قلت

- بيتاك ياسيدى اللذان تقول فى أول شطر منهما : « فى انقباض وحشمة .. » !

فايتسم ابن كناسة سرورا وقال :

- لله درك يادنانير .. قد أذكرتنى من نسيان ، وشوقتنى والله إلى اسحاق الموصلى ! ..

واندفعت ، حين ذكر اسم الموصلى ، فغنيته البيتتين :

فى انقباض وحشمة فإذا

صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسى على سجيته

وقلت ماقلت غير محتشم

فطرب لغنائى طربا ماعهدته من قبل ، ثم بكى وقال

- قد كبرت سنى ، وضعفت عن مواصلة إخوانى بالزيارة ، ولولا ذلك لقمتم الساعة فركبت إلى الموصلى .. ثم أنشد

ضعفت عن الاخوان حتى جفوتهم

على غير زهد فى الوفاء ولا الود

ولكن إيامى تَحَرُّمُنْ مُنْتِى

فما أبلغ الحاجات إلا على جهد

وسمعنا طرقا على الباب فإذا بصديق لابن كناسة جاء يزوره فرحب به ، وأخذا يتجاذبان الحديث ..

صديقه هذا رجل كثير المزاح ، لكنه تقى عفيف ، يدخل إلينا فيسمع غنائى ، ويلمح لى بهواه فلا أجيبه بشيء .. ولكنه اليوم أكثر من التلميح فى سياق مزاحه ، فغنيت :

يا فؤادى فازدجر عنه ويا

عبث الحب به فاقعد وقم

صائد تآمنه غزلانه

مثلما تآمن غزلان الحرم

ففهم الرجل ما أعنى ، وفهم ابن كناسة كذلك ، ومازالا يطربان على غنائى ولايشربان كما اعتاد جميع الناس أن يفعلوا حتى قام الرجل يستأذن فى الانصراف ..

لم يكد الرجل ينصرف حتى أقبل صديق آخر من أصدقاء ابن كناسة يتعاطى العلم ، وكان يكتب الحديث ويتفقه ويتلمذ على « ابن كناسة » ويظهر فى حضرته أدبا ونسكا .. ثم اطلع منه ابن كناسة على باطن ردىء يخالف ظاهره الحسن ، فلم يعد يطبق مجالسته لتناقض ظاهره وباطنه ، وتكذيب أعماله لأقواله .. فلما جلسا لم يفاتحه ابن كناسة فى شعر ولا أدب ولاحديث ولافقه ، واكتفى بإنشاده هذه الأبيات

ما من روى أدبا فلم يعمل به  
ويكف عن دفع الهوى .. بأديب  
حتى يكون بما تعلمُ عاملا  
من صالح فيكون غير معيب  
ولقلما يغنى إصابة قائل  
أفعاله أفعال غير مصيب

ففهم الرجل ما يعنيه ابن كناسة ، وقام يعتذر إليه ويحلف أنه قد تاب وأناب .. ثم انصرف ! ..

### ● اليوم الخامس :

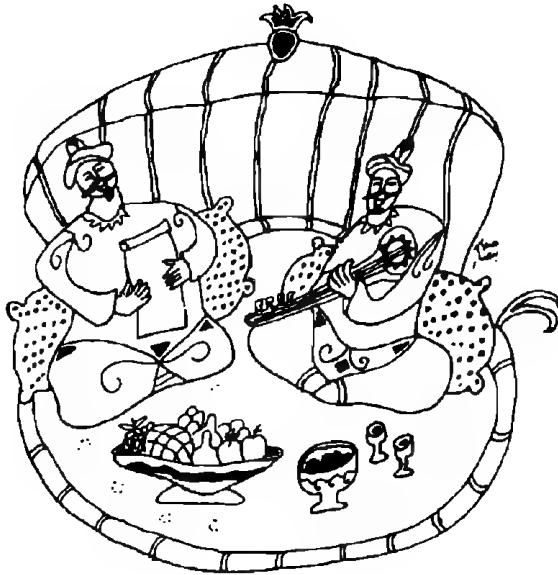
« هذا اليوم لم تكتبه دنانير ، وإنما كتبه سيدها محمد بن كناسة .. قال » :  
- ماتت جارىتى دنانير المغنية الأدبية العفيفة التى كانت أنس حياتى ! ..  
يرحمها الله ! .. ويعجل بى بعدها إلى رحمته ! ..  
أفحمنى موتها وجاء الناس يعزوننى ، إلا امرأتى فإنى أحسست حركتها فى البيت ، كأنها امتلأت مرحا ونشاطا .. فقلت أرشى دنانير :

الحمد لله لأشريك له  
بالبيت ماكان منك لم يكن  
إن يكن القول قلُّ فيك فما  
أفحمنى غير شدة الخزن !



## يوميات مُخَارِق

### هدية الموصل إلى البرامكة



## ● اليوم الأول :

نشأتى كانت متواضعة فقيرة ، لا أمل فى تغييرها وكيف يتسنى تغييرها وأبى جزار فقير ، من أفقر الجزارين بالكوفة ، لم يكن يملك محل جزارته ، ولا الذبائح التى فيه ، لأنه هو نفسه كان عبدا مملوكا ، اجتلبه سيده من سوق الرقيق وكلفه أن يذبح الخراف والثيران والجمال ويبيعها لأهل الكوفة ! ..

ومن لحظة ميلادى صرت مملوكا مثل أبى للرجل صاحب المال والجاه الذى يمت بالنسب إلى حاكم الكوفة ! ..

كبرت قليلا فصرت أساعد أبى المسكين فى عمله ، حتى بلغت بضع عشرة سنة من عمرى ، فاكتشفت كما اكتشف الناس أن لى صوتا فائق الجمال .. كان أبى يأمرنى أن أنادى على مايبيعه من اللحوم ، فأرفع صوتى وأنادى وأترنم وأتصرف فى المناداة حتى اعتاد الناس أن يجتمعوا كل يوم عند دكان اللحوم ليسمعوا صوتى ! بعضهم يشتري اللحم محبة فى سماعى ! .. وبعضهم يسمع ولا يشتري ! ..

علم سيدى بجمال صوتى فأخذنى إلى مغنية بارعة فى الكوفة وطلب إليها أن تعلمنى الغناء وضرب العود ، فلما سمعت المرأة صوتى هالها جماله فاشتريتني من سيدى ، وثابتت على تعليمى حتى أخذت عنها كل ماتعرفه من صناعة الغناء وضرب العود ، ولم يكن كثيرا

ذات يوم ألبستنى المرأة ثيابا جديدة وسافرت بى إلى بغداد ، فعرضتني على نخاس يبيع المغنين والمغنيات .. قال لها : اذهبي به إلى ابراهيم الموصلى ، فإن كان له صوت جميل حقا فسيشتريه منك ! ..

سمعنى ابراهيم الموصلى ، ثم قال للمرأة :

- كم درهما تأملين من بيع هذا الغلام !؟ ..

قالت مغالية فى الثمن :

- عشرة آلاف درهم !

قال الموصلى ضاحكا :

- قد أخذته بها ، وهو خير منها ! ..

ندمت المرأة ، واستعطفت الموصلى أن يعفيها من البيع بهذا الثمن « البخس » وقالت فى إصرار :

- لا أبيعها إلا بعشرين ألف درهم ! ..



قال الموصلى ساخرا

- قد أخذته بها وهو خير منها !

صرخت المرأة :

- أقتلى .. أقالك الله من كل عثرة خذه بثلاثين ألف درهم لا أمتنع بعدها من بيعه لك ! ..

غاطها الموصلى قائلا بلا مبالاة :

- قد اشتريته بثلاثين ألف درهم ، وهو خير منها !

ارتسم الغيظ فى وجه المرأة ولكنها صفقت على يد ابراهيم وبايعة ، وأعطاه ثلاثين ألفا ، ثم زادها ثلاثة آلاف درهم وقال لها : هذه تكون لهدية تهدينها ، أو كسوة تكتسبونها ، ولاتتلعين المال ! .

فرحت المرأة بهذه الآلاف الثلاثة أكثر من فرحتها بالثلاثين ألفا .. وعرفت أنها منذئذ أن ابراهيم الموصلى إنسان طيب كريم ..

### ● اليوم الثانى :

تعلمت كثيرا من أمور الفن وأمور الدنيا منذ صرت مملوكا لابراهيم الموصلى وعرفت أن ماتعلمته عند سيدتى الكوفية من الغناء ، لايزيد على قطرة من بحر هذه الصناعة الكبرى .. ووجدت الموصلى بحرا فى هذه الصناعة لاساحل له ، فاغترفت منه ماشئت من لؤلؤ لامتثل له عند أحد غيره من عظماء هذه الصناعة ..

أخذنى سيدى إلى الوزير الفضل بن يحيى البرمكى فسمعنى ثم سأل سيدى أن يبيعنى إياه ، فقال سيدى بصدق وكبرياء :

- أبيع به ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، وقد اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم ! ..

امتنع الفضل بن يحيى من شرائى بهذا المبلغ ، كآته استكثره ، فغضب الموصلى وقال له :

- فانا أهبه لك أيها الوزير ولا أقبل أقل من ثمنه ! ..

قال الوزير من فوره :

- قد قبلته ! ..

هكذا صرت غلاما للوزير ، وغازبنى أنه ساوم فى ثمنى ولم يعرف قيمتى ، مع أن الموصلى قال له وهو يحاوره :

- أيها الوزير .. هذا الغلام لم يكن لأحد فى الدنيا صوت كصوته ، ولا يكون أبدا

## ● اليوم الثالث

فى سهرة الرشيد ، كانت اخبارى قد وصلت .. قال الرشيد لابراهيم الموصلى

- يا ابراهيم .. ماغلام بلغنى أنك وهبته للفضل ؟!

قال الموصلى :

- غلام يا أمير المؤمنين ، لم تملك العرب ولا العجم مثله صوتا ، ولا يكون مثله أبدا

سأله الرشيد

- كم يساوى ؟!

أجاب الموصلى فى حماسة وانفعال

- يساوى خراج مصر وضياعها ! ..

دهش الرشيد وقال للموصلى :

- ويك ! .. أتدرى ماتقول ؟! .. مبلغ هذا المال جسيم جدا ! ..

فثبت الموصلى فى موقفه ، ولم يهدىء من حماسه ، وقال :

- ومايكون هذا المال فى صوت لم يملك أحد مثله قط ؟!

أخذنى الرشيد من الفضل بن يحيى ، ووقفت لأول مرة أغنى بين يديه ، كما يغنى  
الغلمان المبتدئون ، أما المطربون الكبار فيغنون جالسين ..

سمع غنائى فطرب حتى كاد يطير فرحا ، وقال لى :

- يا مخارق .. إجلس مع أصحابك ، فقد تجاوزت مرتبة من يغنى واقفا ! ..

ووصلنى بثلاثة آلاف دينار ، وهى صلة يطمع فى مثلها كبار المطربين الذين  
يغنون بين يديه منذ عشر سنوات أو أكثر !

## ● اليوم الرابع :

غنيت الرشيد :

ياربع سلمى لقد هيجت لى طربا

زدت الفؤاد على علاته وصبا

ربيع تبدل ممن كان يسكنه

عفر الظباء وظلمانا به عَصَبَا

فبكى الرشيد ، وقال لى

- أحسنت يامخارق ، فسلنى حاجتك ! ..  
فانطلقت أقول كأنى أخشى فوات الفرصة :  
- حاجتى أن تعتقنى يا أمير المؤمنين أعتك الله من النار ! ..  
- أنت حر لوجه الله ! .. فأعد الصوت ..  
فأعدته فبكى وشرب رطلا ثم قال :  
- أحسنت يامخارق فسلنى حاجتك ! ..  
قلت  
- ضيعة أنتفع بغلتها .. ومنزل وفرش وخدم ! ..  
فأمر لى بكل ذلك ! .. ثم استدعى قائد جيشه هرثمة بن أعين ، فدخل إليه وهو  
يجر سيفه الثقيل ، فقال له الرشيد :  
- ياهرثمة .. أتتذكر مخارقا الخارجى الذى قتلناه بناحية الموصل ؟! .. ماكانت  
كنيته ؟!  
قال هرثمة كأنه يقرأ من كتاب :  
- كنيته « أبو المهنأ » ..  
قال له الرشيد :  
- انصرف ! ..  
انصرف هرثمة ، لكونه من رجال الحرب ، فهو ممنوع من حضور مجالس الغناء  
فى حضرة الخليفة .. وقال لى الرشيد :  
- قد كنيتهك أبا المهنأ لاحسانك ، وأمرت لك بمائة ألف درهم ! ..

### ● اليوم الخامس :

طرق باب بيتى الشاعر أبو العتاهية الذى نسك وزهد فى الدنيا كما يزعم ، مع أن  
بيته مشحون بالأموال التى كسبها من العطايا ولم ينفق منها إلا دراهم معدودة ! ..  
قال لى أبو العتاهية وهو يتربع جالسا :  
- يا أحسن من غنى فى هذا الاتليم ! .. يا حكيم أرض بابل ! ..  
أصيب فى أذنى شيئا من غنائك يفرح به قلبى ، وتنعم به نفسى ! ..  
غنيته فجعل يبكى بحرقة ، ويكاد يمشى على وجهه طربا .. ثم قال لى :  
- يادواء المجانين ، لقد رق صوتك حتى كدت أحسوه ، فلو كان غناؤك شرابا لكان

ماء الحياة ! ..

لم يكد أبو العتاهية ينصرف حتى خطر لى أنه سيموت وأنى لن أراه بعد هذه الساعة ، فصرت إلى داره فوجدته قد خلع ملابسه وجلس عاريا فى أثناء اسطوانى من الفخار يظهر صدره من أعلاه ، ويظهر من أسفله ساقاه إلى ركبتيه ، وسائر جسده عار داخل الاسطوانة ..

أذهلنى منظره ، ثم انفجرت ضاحكا من هذا الرجل الملتاث ، وقلت له :

- ويحك يا أبا العتاهية ! .. ماهذا الذى صنعتته بنفسك ؟!

بكى وقال :

- هذا والله مقدار حاجة الحى من الدنيا ، ولكن حاجة من عاش لاتنقضى ! ..

قلت

- أفتستغنى بهذا عن كل لباس على جسمك ؟! .. فإن الله لم يأمر بذلك ، وإنك لتعلم أن المتقين يلبسون الحرير فى الجنة ، فليس العرى من الدين فى الدنيا ولا فى الآخرة ! ..

خجل أبو العتاهية وسألنى أن أنتظره حتى يرتدى ملابسه فى إحدى الحجرات .. فلما ارتداها جلسنا وأمر بطعام وشراب فطعمت قليلا ، وشربت أقل من القليل ، وتولى هو ابتلاع « المائدة » كلها طعاما وشرابا .. ثم قال لى :

**سيعرض عن ذكرى وتفسى مودتى**

**ويحدث بعدى للخليل خليل**

**إذا ما انقضت عنى من الدهر مدنى**

**فإن غناء الباكيات قليل**

غنيتة فى شعره هذا فبكى حتى اخضلت لحيته ، وقال لى :

- إذا حانت مدنى ودعاك أهلى إلى رؤيتى فلاتتأخر عنى ، واصيب فى أذنى هذين البيتين قبل أن أسلم الروح ! ..

تأثرت من حال هذا الرجل الذى صار فى شيخوخته خليطا من الضعف والعتة وحب الدنيا وكراهية الناس والرغبة فى الموت والخوف منه ! ..

## ● اليوم السادس :

عشت حتى الآن سبعين عاما ومازال صوتى أجمل صوت سمعه الناس من عصر الرشيد إلى عصر حفيده المتوكل على الله .. وأنا صحيح معافى ، لكنى أشعر بأن دنياى قد انتهت ! .. لقد تغيرت دنياى ودنيا الناس من عهد الرشيد إلى عهد

المتوكل .. أكثر من خمسين عاما ، غنيت فيها لسته خلفاء ولمئات الأمراء والوزراء والكتاب وغيرهم ! .. وعشت كما يعيش أغنياء بغداد ، بعد أن بدأت حياتي في الكوفة أنادى على اللحوم في دكان جزارة سيدى وسيد والذى الذى باعنى ، فانتقلت منه إلى السيدة التى باعتنى .. إلى الموصلى .. إلى الوزير البرمكى .. إلى الخليفة الرشيد .. إلى أن صرت المطرب الأول فى بغداد ، وكسبت ما لو أردت أن أشتري به مائة ألف دكان للجزارة لفعلت ! ..

أنا لا أحب اللحم ، وبالأمس قال لى ضارب رمل إننى سأموت قريبا مسموما من أكل قنبيطية باردة ! .. وحذرنى الرجل من أكل كل طعام بارد ! .. الحياة نفسها صارت باردة كالشتاء ، فلتجىء النهاية كما تشاء .. حارة ، أو باردة ! ..



يوميات عُليّة

## بين الفناء والتسليّة



## ● اليوم الاول

● مازلت أذكر والدتي - رحمها الله - كانت من أحسن النساء وجها ، ولا مثيل لها في جودة الغناء .. حدثتني كثيرا عن جارية زميلة لها تسمى «بصبص» .. كانتا معا في «المدينة» .. ثم بيعت والدتي إلى والدي المهدي - رحمه الله - وبقيت «بصبص» في المدينة تغني لأهلها ..

كانت والدتي تسمى «مكنونة المروانية» .. وليست من آل مروان بن الحكم ، وقد غلبت بجمالها وغنائها على أبي - رحمه الله - حتى كانت زوجته الخيزران والدة هارون الرشيد وموسى الهادي تقول : ما ملك المهدي جارية أغلظ على قلبي من مكنونة المروانية ! ..

من والدتي تعلمت الغناء ، وكانت زميلتها «شكلة» جارية أبي ووالدة أخى ابراهيم ابن المهدي ، تألفها وتتودد «إليها» .. ومن والدتي تعلم ابراهيم بن المهدي أول ما تعلمه من الغناء ، فكنت أنا وهو نتعلم منها معا .. وقال كل من سمعنا من أهلنا ومن المغنين المحترفين : ما سمعنا قط أخوين أحسن غناء من عُلَيَّة وأخيها ابراهيم ..

والناس يظلمون الآن أخى ابراهيم بعد أن كبر واشتهر بالغناء ، ويظنون الغناء تبذلا منه ، وليس كذلك ، وإنما أكتمل بالغناء ، وقد شهد له اسحاق الموصلى الذى لا يشهد بشيء حسن لأحد من الناس إلا نادرا ، فقال : «ما ولد العباس بن عبدالمطلب بعد عبدالله بن العباس ، رجلا كابراهيم بن المهدي» .. ذلك أن ابراهيم رجل عاقل ذكى متدين شاعر راوية للشعر وأيام العرب ، خطيب فصيح حسن العارضة .. لم ينتقص الغناء من فضله بل تم فضله به ، مع تصرف فى الفقه وسائر العلوم الشريفة والآداب العالية ! ..

وهو يصنع الألحان وينسبها إلى جاريته «ريق» و«شارية» ترفعا عن الدخول فى مضمار الملحنين .. وإذا قيل له فى ذلك شيء ، قال : إنما أصنع الألحان تطربا لا تكسبا .. وأغنى لنفسى لا للناس ! ..

فهذا هو شأن أخى ابراهيم فى الغناء ، وإن أكثر القول فيه عائيه من الخاصة والعامة

ولا أطيل الدفاع عن أخى ، فما هو عندى بمتهم ولا عند من يعرفه من أهل العلم وكبراء الدولة ، فضلا عن أخيه أمير المؤمنين الرشيد ..

أما أنا ، فوالله إنى لحسنة الدين ، لا أغنى ولا أقرب شرابا إلا إذا كنت معترلة الصلاة لعذر شرعى ، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، ولا الذ



بشيء غير قول الشعر أحيانا ، إلا أن يدعوني أخى الخليفة إلى شيء من الغناء فلا أقدر على مخالفته .. وإنى لأقول لنفسى وللناس : ما حرم الله شيئا إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضا .. فبأى شيء يحتج عاصيه والمنتكح لحرماته !؟ ..

وإنما يرمينى بعض الناس بالتم لم يقرأونه فى بعض شعري من العيب ، والله ما فى شعري إلا مجرد الكلام ، وإنى لأقول فيه مالا أفعل ، ولا غفر الله لى فاحشة ارتكبتها إن كنت ارتكبت فاحشة قط ! ..

ومن هذا العيب الذى هو كلام لا غير ، ما نظمته فى خادم اسمه «طل» .. من خدم أخى هارون الرشيد ، فحلف الرشيد ألا أكلم خادمه ولا أسمىه باسمه أبدا ، فضمنت له ذلك . فبينما أنا أقرأ سورة البقرة يوما بلغت إلى قوله عز وجل «فإن لم يصبها وابل فطل» .. وإذا بأمير المؤمنين قد جاء إلى مجلسى ، وقد سبق لى أن ضمننت له ألا أذكر اسم خادمه «طل» أبدا .. فقرأت وهو يسمع «فإن لم يصبها وابل ..» .. ثم قطعت ، وقلت : «فالذى نهانا عنه أمير المؤمنين» ..

فتنبه الرشيد إلى ذلك وقبل رأسى ، وعرف أنه قد اشتد فى التضيق على حتى فى ذكر الأسماء ، وقال لى لا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه ! .. ولما نظمت هذه الأبيات :

أيما سرورة البستان طال تشوقى  
فهل لى إلى ظل لديك سبيل  
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه  
وليس لمن يهوى إليه دخول  
عسى الله أن نرتاح من كربة لنا  
فيلقى اغتباطا خلة وخليل

زعم بعض من سمع هذا الشعر أنه غزل نظمته فى «طل» وصحفت اسمه فى أول بيت .. ففاظننى قولهم ، فلحنت الشعر وغنيته ! .. ولى خادم اسمه «رشأ» .. فلما نظمت الأبيات التى أولها :

وجد الفتواد يزينا  
وجدا شديدا متعبا

قال أولئك الناس : على بنت المهدي تنظم الشعر فى خادمها «رشأ» .. وتكنى عنه بزيتب ! ..

● اليوم الثانى :

سمعت أن أسحاق الموصلى عمل لحنا جميلا فى هذين البيتين

سقىا لأرض إذا ما نمت نبهني  
بعد الهدوء بها قرع النواقيس  
كان سوسنها في كل شارقة  
على الميادين أذنان الطواويس

دعوت اسحاق ، وسمعت منه اللحن فأعجبني كل الإعجاب ، فقلت له  
- يا اسحاق .. أنت أعددت هذا اللحن للخليفة ، ولكنه قد يسمعه فلا يأمر لك  
بشيء ، ولا يقع غناؤك منه بحث توخيت ، فيذهب سعيك باطلا ! .. وهذه عشرون ألف  
درهم وعشرون ثوبا ، تأخذها مني وتعطيني هذا اللحن فإني قد حفظته منك  
الساعة !

قال اسحاق متخابثا  
- فلعن اللحن لم يستقم لك ، فأسمعيني إياه ، فإن كان فيه شيء لم يستقم لك بعد  
بصرتك به ! ..

إندفعت فغنيته اللحن وقلت له :  
- كيف تراه يا اسحاق ؟!  
- أراه أحسن ما يكون الغناء ! .. والله ما صافح سمعي غناء أجمل منه قط ! ..  
فأحضرت له عشرين ألف درهم وعشرين ثوبا أخرى ، وقلت له بحزم :  
- يا اسحاق .. هذه أربعون ألفا .. هي ثمن لحنك هذا ، وأنا الآن داخلة إلى أخى  
أمير المؤمنين الرشيد لأغنيه هذا اللحن وأدعيه لنفسى وأنه من صنعتى .. والله لئن  
نطقت أن لك فيه صنعة لأقتلك ! ..

فأخذ اسحاق جائزته وانصرف واجما ، كأنه محزون على اللحن ، وإنه لضنين  
بالحنانه ، وكان خليفا أن يكسب بلحنه هذا مائة ألف درهم وأكثر لو غناه للرشيد ! ..

● اليوم الثالث :

أهدى بعض حكام الأقاليم إلى أخى الرشيد جارية فى غاية الجمال والكمال ،  
فانقطع لها يوما ، ودعا كل جارية إلى مجلسه واصطبح ، فكان جميع من حضره من  
جواريه المغنيات والخادومات فى الطعام والشراب ، زهاء ألفى جارية فى أحسن رى  
من كل نوع من أنواع الثياب والجواهر ، فكان أحسن منظر تراه العيون ! ..  
ولم يدع إلى هذا المجلس زوجته زبيدة والدة ولى عهده محمد الأمين ، فغلظ ذلك  
عليها ، وحزنت ولم تجد من تشكو إليه سوى ، فأرسلت لى رقعة تشرح فيها أمرها ،  
فكتبت إليها : « لا يهولك هذا ، قوالله لأردنه إليك ، وقد عزمت أن أصنع شعرا  
وأصوغ فيه لحنا وأطرحه على جوارى ، فلا تبقى جارية من جواريك إلا بعثت بها إلى  
دارى ، والبسيهن جميعا ألوان الثياب ليأخذن هذا اللحن مع جوارى » ..  
فعلت زبيدة ما أمرتها به كله ، حتى جاء وقت صلاة العصر ، فلم يكد الرشيد

يفرغ من أدائها ، حتى خرجت إليه من حجرتي ، وخرجت زبيدة مع جواربها من حجراتهن ، فاجتمع في حضرة الرشيد منهن زهاء ألفي جارية عليهن غرائب الثياب ، وغنين في لحن واحد هزجا صنعته لهذا اللقاء خاصة :

منفصل عني وما      قلبى عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لمن      نويت بعدى أن تصل

فطرب الرشيد ، وقام على رجليه حتى استقبل زبيدة ، واستقبلني وهو على غاية السرور ، وقال لنا

- لم أر كالיום قط ! ..

ثم التفت إلى خادمه مسرور فقال له

- يا مسرور لا تبقي من المال درهما إلا نثرته على الجوارى ! ..

فكان مبلغ ما نثره عليهن ستة آلاف ألف درهم ! .. وما سمع أحد بمثل ذلك اليوم قط ! ..

#### ● اليوم الرابع :

جاءت عندي الجارية المغنية الحاذقة «عريب» .. وهى مازالت صغيرة السن ، ولكنى أراها مطبوعة على التلحين ، جميلة الصوت .. وإن لها لثأنا عظيما فى المستقبل بين الجوارى المغنيات المبدعات فى الصناعة ..

قالت لى عريب :

- يا سيدتى كم لحنا لك حتى الآن ؟ ! ..

قلت :

- ستون لحنا .. وأظن أنى لن أخرج من هذه الدنيا حتى أجاوز سبعين لحنا

دعت لى عريب بطول العمر ، وقالت لى

- يا سيدتى إنى حفظت من ابراهيم الموصلى لحنا من الحانك .. أفتحبين أن

أغنيه ، حتى أكون قد أخذته عنك لا عن الموصلى ؟ ! ..

ضحكت لظرف عريب وأعجبني ذكاؤها فأمرتها بغناء اللحن ، فغنت :

يا مورى الرند قد أعيت قوادحه

أقبس إذا شئت من قلبى بمقباس

ما أقبح الناس فى عينى وأسمجهم

إذا نظرت فلم أبصرك فى الناس

فسمعت من عريب أجمل صوت فى أحسن أداء ، وطربت أشد الطرب ، وبدا اللحن لى جديدا كأننى لم أصنعه ولا عرفته قط ..

فبينما نحن كذلك ، جاء أخواى : ابراهيم ويعقوب .. فأما ابراهيم بن المهدي فهو صاحب أجمل الأصوات الرجالية فى عصرنا ، لا أستثنى مخارقا ولا ابن جامع ولا

غيرهما من أصحاب الأصوات الجميلة التى سمعتها .. وأما يعقوب بن المهدي فهو  
أحذق الناس بالزمر ..

بدأت فغنيت لحنا لى ، وأخى يعقوب يزمر على غنائى بنغمة عجيبة  
تحبب فإن الحب داعية الحب

وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

فلما فرغت من غنائى ، غنى أخى إبراهيم فى صناعته وزمر عليه يعقوب :

يا واحد الحب مالى منك إذ كلفت

نفس بحبك إلا الهم والخزُّ

لم ينسنيك سرور لا ولا حزن

وكيف لا ! .. كيف ينسى وجهك الحسن

ولا خلا منك قلب لى ولا جسد

كلى بكلك مشغول ومرتهن

نور تُولد من شمس ومن قمر

حتى تكامل منه الروح والجسد

ثم غنيت وإبراهيم معا ، وزمر علينا يعقوب ، فوقعت الجارية عريب على الأرض  
طربا ، فلم نبال بها وظنناها تقيق بعد لحظة فما أفاقت ، فقطعنا غناها وجسناها  
فإذا هى قد غشى عليها ! ..

جاء طبيب مسرعا ، فلم يزل يداويها حتى أفاقت ، فلما استردت وعيها وجلست  
واستراحت ، قلت لها مشفقة :

- يا عريب مآدهاك يا بنيتى !؟ ..

قالت لى ودموعها على خديها :

- يا سيدتى .. والله ما سمعت مثل الذى سمعته منكم اليوم قط .. وإننى لأعلم  
يقينا أننى لن أسمع مثله أبدا ولو عشت أسمع الغناء ألف سنة ! ..

### ● اليوم الخامس

زارنى جعفر بن يحيى البرمكى ، فتجارينا فى الحديث ، وأنا خلف ستارة ، فقال  
لى : إنى محدثك بقصة أرجو أن تكتمها ثم قال :

- منذ عام وبعض عام ، أخذ أمير المؤمنين بيدى حتى انتهى بى إلى حجرة مغلقة  
فتحت له ورجع من كان معنا من الخدم ، ثم صرنا إلى حجرة مغلقة ففتحها بيده  
ودخلت معه وأغلقها من داخل بيده ، ثم صرنا إلى رواق ففتحته وفى صدره مجلس  
مغلق فقع على باب المجلس فنقر الباب نقرات فسمعنا حسا ، ثم أعاد النقر فسمعنا  
صوت عود ، ثم أعاد النقر ثالثة فسمعنا صوتا لا مثيل له فى حسن الغناء مع جودة  
ضرب العود ، فقال أمير المؤمنين : غنى صوتى ! .. فغننت من كانت وراء الستار

ومخنت شهد الزفاف وقبله  
غنى الجوارى حاسرا ومنقبا  
لبس الدلال وقام ينقر دفه  
نقرا أقر به العيون وأطربا  
إن النساء رأيته فعشقته  
فشكون شدة ما بهن فأكذبا  
فطرب الرشيد ، وطربت أنا طربا هممت معه أن أنطح برأسى الحائط لولا توقيرى  
لأمير المؤمنين !  
ثم غنت

طال تكذيبى وتصديقى  
لم أجد عهدا لمخلوق  
إن ناسا فى الهوى غدروا  
أحدثوا نقض الموائيق  
لا ترانى بعدهم أبدا  
أشتكى عشقا لمعشوق  
فقلت أريد أن أرقص طربا ، لولا الاحتشام .. وقام الرشيد واخذنى ، وقال لى : امضى  
بنا فإنى أخاف أن يبدو منك ما هو أكثر من هذا  
قلت لجعفر البرمكى :  
- ومن كانت صاحبة هذا الغناء ؟!  
قال  
- لا أدرى ! ..

ولكنه فى الحقيقة يدري أنه يحدثنى عن غناء سمعه منى فى تلك الساعة من  
ساعات صفو الرشيد ، ويبالغ فى وصف طربه إرضاء لى ، والتماسا لحسن ظنى ! ..  
والرشيد لم يقل له إننى صاحبة ذلك الغناء ، فهل كان جعفر يحتاج إلى كلام فى  
ذلك اللقاء ليعرف صوتى من وراء حجاب ؟!  
ما أشد دهاء جعفر البرمكى .. وياله من ظريف أديب أريب ! .. ولكن أخى الرشيد  
ظريف أديب أريب داهية أكثر منه وأعجب .. وأطرب ! ..



## المفنى الراوية



## ● اليوم الاول :

أول ما طرق سمعى حين ولدت ، رنين العود .. فقد كان أبى من أكابر المغنين المتفوقين فى الغناء وضرب العود ! .. وكان بيته لا يخلو من رنين العود ليلا ولا نهارا

أبى هو يحيى بن مرزوق المكى ، كان شيخ المغنين والضاربين ورواة الغناء فى عصره نشأ بمكة ثم استوطن بغداد ، فكان أكبر المغنين فيها سنا ، وأعرفهم بالغناء وأوسعهم رواية لصناعة فحول المغنين القدماء الذين أدرك بعضهم فى مكة والمدينة أو أدرك تلاميذهم ورواتهم ..

فكان ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وغيرهما من اعظم المغنين والملحنين فى عصر الرشيد ، يلجأون إلى أبى ليطارحهم ما يجهلونه من الحان القدماء ، فلا يعطيهم شيئا إلا بثمن باهظ ، لأنه يعلم أنهم بما يعطيهم يكسبون أضعاف أضعاف ما يغرمنه من المال ...

وكان أبى حريصا واسع الحيلة ، يصنع ألحانا وينسبها للقدماء ، وليست لهم فتجوز هذه الحيلة على من لا يعرفون أسرار صناعة الغناء ويتناقلون تلك الألحان ، فوقع التخبط والتخليط فى رواية الألحان ، حتى تتبع اسحاق الموصلى - وهو أعلم الناس بالغناء قديمه وجديده - ما اخترعه والدى ونسبه للقدماء ، فبين للناس زيفه ، وحذرهم منه ، ووقف بالمرصاد لوالدى فى هذا المجال ، حتى كف عن وضع الألحان ونسبها إلى القدماء .

وقد رأيت أبى وهو لا يخشى أحدا من المغنين والملحنين إلا اسحاق الموصلى .. فإذا حضرا معا مجلس غناء ، لم يغن أبى الا الصحيح من الألحان ، ولم ينسب لحنا لغير صاحبه ..

وقال لى أبى يوما :

- يا بنى .. إن كنت كذبت أحيانا على بعض الناس ، فخلطت ألحان القدماء بألحان من صنعتى ، فإنما فعلت ذلك حتى لا يأكلنى المغنون والملحنون ويهدموا مكنتى ويستأثروا بجوائز الخلفاء والكبراء ، وما تطيب نفسى أن أعطى هؤلاء المغنين شيئا بلا ثمن !

قلت :

- يا أبى .. طارحنى إذن ألحان القدماء على وجهها الصحيح ، وطارحنى ألحانك ، لأحفظها وأدونها فى كتاب يكون أصلا من الأصول المعمول بها فى صناعة الغناء ، وأكون أنا المكى الصغير وأنت المكى الكبير فى هذه الصناعة ..

فحفظت من أبى ما لا أحصيه من ألحان القدماء والمعاصرين ومن ألحانه ،



وجعلتها في كتاب يتداوله الناس الآن ، ولا يكف الوراقون في أسواق بغداد عن نسخه وبيعه .

وتوثقت الصداقة بيني وبين اسحاق الموصلي ، فقال لي يوما :  
- يا أبا جعفر .. إنك والله من المحسنين المبرزين في صناعتنا ، وروايك كثيرة صحيحة ، وحسبك فخرا أنك أصلحت ما كان والدك - رحمه الله - قد أفسده بما وضعه من ألحان نسبها الى الأقدمين ، فأنت المكي الصغير ولكنك لا تقل قدرا عن المكي الكبير ..  
قلت له

- نعم .. قد فعلت ، ولكن صناعة والدي التي نسبها للأقدمين ليست دون صناعتهم  
قال

- لو تأملت لها لم تجدها كذلك ! .. وهبها كانت مثل صناعتهم في جودتها ، فإن ذلك لا يشفع له ولا لغيره من الوضاعين في هذه الصناعة .. وقد رأيت ما صنع الوضاعون في الشعر .. وحتى في الحديث النبوي الشريف ! ... وهل تقوم الرواية أو يوثق بها إلا بنفي الوضاعين عنها ، مهما خفى على الناس أمرهم ؟ ! ..

### ● اليوم الثاني :

كنت أغني الليلة في دار الحسن بن وهب ، من كبار رجال الدولة ، فدخل علينا اسحاق الموصلي ، فقال صاحب الدار :

- يا أبا محمد اشتقنا إليك ، وقد نسبنا الليلة فأين كنت ؟ !  
فاعتذر اليه اسحاق بأنه كان في قصر أمير المؤمنين ولم يفرغ إلا الساعة من نوبته في الغناء والمنادمة ، فخشع الحسن بن وهب حين ذكر اسحاق اسم الخليفة ، وبألف في الترحيب بإسحاق ثم جلسنا واستأنفنا ما كنا فيه من المسامرة والغناء ..

فلما غنيتهم لحنا ، طرب اسحاق والحسن بن وهب ، ومال الحسن على أذن اسحاق فسمعته يقول له :

- يا أبا محمد .. كم يساوي أحمد بن يحيى المكي هذا لو كان مملوكا في سوق الرقيق ؟ !

قال اسحاق

- يساوي عشرين ألف دينار ! ..

ثم أمرني الحسن بن وهب فغنيت هذا اللحن من الحان « معبد » سيد القدماء من مطربي « المدينة » وملحنها :  
لولا الحياء وأن الستر من خلقى

إذن قعدت اليك الدهر لم أقم

فطرب الحسن وإسحاق طربا شديدا .. ومال الحسن على أذن اسحاق يسأله

- كم يساوى وقد سمعت منه هذا الصوت ، لو كان مغنيا مملوكا يباع فى السوق ؟ ..

- يساوى أربعين ألف دينار ! ..

ثم غنيت صوتا ثالثا ، وكرر الحسن سؤاله هذا ، فقال اسحاق : هو بهذا الصوت يساوى ثمانين ألف دينار !

ولم يزال كذلك سائر الليلة حتى بلغ ثمنى مائتى ألف دينار ، وهما يتضاحكان ، وأنا أظهار بأتى لا أسمع مايتها مسان به .. حتى قمت للانصراف فقلت للحسن بن وهب

- ما هذا الذى أسمعكما تقولانه ، ولست أدرى معناه !

قال ضاحكا

- نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري !

### ● اليوم الثالث :

سهرنا عند الخليفة .. غنى ابراهيم بن المهدي ومخارق وعلويه ، وكان اسحاق الموصلى حاضرا فلم يغن ، وقتما يغنى اسحاق ، ولكنه إذا حضر مجلس الغناء اجتهد المغنون فى الأداء وجاهوا بأفضل ما عندهم ، وأكبر ما يتمنونه عندئذ أن يرضى عنهم ، فإذا قال لأحدهم أحسنت لم تسعه الدنيا سرورا وزهوا بهذه الشهادة من اسحاق الموصلى ، وقد يؤثرها على جائزة الخليفة ؟ .. غنيت :

أبعد الله من يلوم محبا ولحى الله من يحب فيأبى  
رب إلفين أضمرنا الحب دهرنا فعفا الله عنهما حين تابا

فعارضنى ابراهيم بن المهدي وخطأنى فيما غنيت ، فاستشهدت باسحاق الموصلى ، وقلت له :

- أترأه صحيحا أم خطأ يا أبا محمد ؟ !

- بل أراه صحيحا ..

واتبعه علويه ومخارق وغيرهما فقالوا :

- صدق يا أمير المؤمنين اسحاق ..

فالتفت إلى ابراهيم بن المهدي فقلت

- أنا أغنى ثلاثين لحنا قديما ، لاتعرف منها لحنا واحدا ..

ثم اندفعت فغنيت عشرة ألحان كلها من الغناء القديم من صنعة الملحنين والمغنين المكيين الحذاق الخاملى الذكر الذين حفظت غنائهم عن أبى ، فاستحسن الخليفة ما غنيت ، وأمر لى بألفى دينار ، وأمر ألا يراجعنى أحد من المغنين ولا يعارضنى أحد

تفترت وحدى فى هذه السهرة بالجائزة ، ولم يغن فيها أحد غيرى ، ولا نال جائزة ..

وسأل الخليفة اسحاق الموصلى :

– ما تقول يا اسحاق فى المغنى الذى يسمونه « وجه القرعة » ..

– قال اسحاق :

– مغن صالح الغناء لبق الأداء !

– فما تقول فى أحمد بن يحيى المكي

– يخ بخ .. ذاك المحسن المجمل الضارب المغنى القائم بمجلسه ، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره ! ... وقد رأيت يا أمير المؤمنين كيف انقطع المغنون بين يديه !

### ● اليوم الرابع :

توفى الخليفة الواثق منذ أسابيع ، ودخلت الليلة على الخليفة المتوكل ، فقال لى لا تغننى « عش عمر نوح » ! ..

فانكسرت وجلست محزوناً ، ذلك أثنى فى آخر ليلة بمجلس الواثق كنت قد غنيته :

فعش عمر نوح فى سرور وغبطة وفى خفض عيش ليس فى طوله إثم  
تساعدك الأقدار فيه وتنتثنى اليك وترعى فضلك العرب والعجم

فلم يعيش الواثق إلا يوماً واحداً بعد سماعه هذا الصوت ، وكذلك كانت قصة الخليفة محمد الأمين مع أبى حين غناه هذين البيتين ، فإنه لم يعيش بعد سماعهما إلا مدة ثم خلع وقتل ودالت دولته ! ..

غنى المغنون فى حضرة المتوكل .. فكان منهم أبو حشيشة ويزرور الكبير وعثعث .. فقلت فى نفسى : أين هؤلاء – على جمال أصواتهم – من فحول المغنين الذين سمعناهم من عصر الرشيد الى الأمين فالأمون فالمعتصم فالواثق ؟ .. فوالله ما فى هؤلاء المطربين الذين نراهم الآن من يساوى قلامة ظفر مخارق أو ابن جامع أو ابراهيم الموصلى .. أما ألحانهم ، فإنها إذا قيست إلى ألحان اسحاق الموصلى الشامخة الرائعة ، لم تكن إلا كغناء القرادين ! ..  
جاء دورى فى الغناء ، فغنيت لحناً لى فى شعر عمر بن أبى ربيعة :

عندما أبصرننى اثبتننى دون قيد الميل يعدو بى الأغر  
قالت الكبرى اتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر  
قالت الصغرى وقد تيمتها : قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ؟ !

فطرب المتوكل طرباً شديداً ، وعرف فرق ما بينى صناعتى فى الغناء وصناعة

مطربى هذا الزمن الأخير ، وأمر لى المتوكل بجائزة أكبر من جوائزهم  
ثم سألنى المتوكل عن اسحاق الموصلى ، فأخبرته أنه قد ضعف وكف بصره  
بعد أن جاوز الثمانين من عمره ، فتوجع له المتوكل ، وقال : لئن ذهب اسحاق من  
الدنيا ، ليذهبن صدر عظيم من بهاء الملك ! ..  
ثم قال لى :  
- إن رأيته قادرا على الانتقال من بغداد إلينا فى « سر من رأى » .. فادعه  
إلينا ..

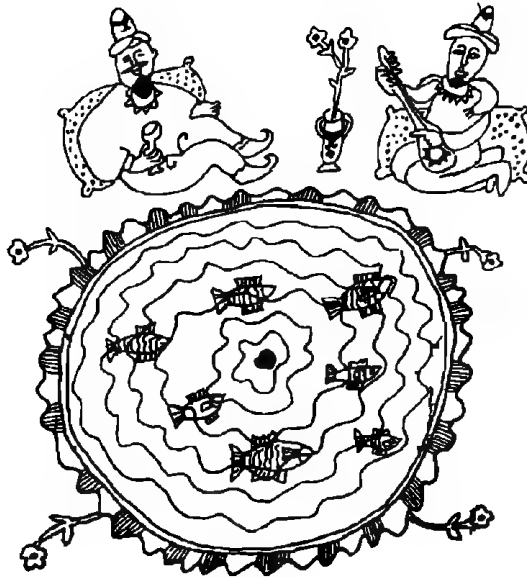
### ● اليوم الخامس

عدت فى حراقة صغيرة الى بغداد ، وقد صارت الحراقات تملأ سطح دجلة ليلا  
ونهارا ذاهبة إلى « سر من رأى » وجائية منها إلى بغداد  
قصدت إلى دار اسحاق الموصلى ، فوجدته قعيدا هناك لا يزوره أحد ، وكان بيته  
فى الماضى مزار الناس كبارا وصغارا ، خاصة وسوقة ..  
قال لى اسحاق وقد نقلت اليه رغبة الخليفة  
- إني يا أبا جعفر كما ترانى ! .. وإن السفر على حراقة فى الماء يتعبنى ، وأما  
السفر برا على بقل أو جمل فيكاد يقتلنى ! .. وقد ذهبت أيامى يا أبا جعفر ، ورأيت  
من الدنيا ما لم يره أحد .. ولكنى لا أعصى للخليفة أمرا .. وأنا على الأهبة لتلبية  
رغبته ، فأى شيء يعجبه من الغناء ؟ ! ..  
- الغناء الخفيف والأهزاج !  
- كذلك ظننت ، فإن الغناء المتقن ينحدر ويضعف شأنه ، وحسبك أن أكثر من  
يرويهِ الآن ، الجوارى أمثال عريب وشارية ! ..  
صحبت اسحاق الموصلى فى حراقتة ، قاصدين « سر من رأى » ورأيت  
الموصلى يتسمع صوت الماء فى دجلة ، ثم يقول لى  
- وودت يا أبا جعفر لو استطعت أن أرى ماء دجلة ! ..  
لم أخرجوا .. وصمت اسحاق ولم أنبس بحرف .. حتى انقضت ساعة ، فقال  
لى اسحاق :  
- هات العود .. اختبر يدى فيه ، وأختبر صوتى ، أو ما بقى من صوتى ! ..  
وفى مجلس المتوكل فى قصره بسر من رأى ، جلس اسحاق على وسادة وأمسك  
بعوده وغنى هزجا راقصا بديع الصنعة ، وضرب بالعود ضربا لا يلحق به أحد من  
الضاربين ، حتى رأيت الخليفة يتحرك فى فراشه طربا ، والتفت حولى فإذا الغلمان  
الخدم - وهم واقفون فى أدبهم المعهود - قد نسوا أنفسهم فأخذوا يتميلون يمنا  
ويسرة مع ألحان الهزج وضربات العود ! ..  
وكان هذا آخر ما سمعت من اسحاق ، وآخر غناء حقيقى سمعته بعد أن دالت  
دولة الغناء ! ..

يوميات علّوية :

---

## الضرب باليد اليسرى



## ● اليوم الاول :

أنا على بن عبدالله بن سيف ! ..  
جدي - الذي لم أره - كان موطنه وراء بلاد العجم ، او فوق بلاد العجم شمالا ،  
في ناحية « الصفد » بين بخارى وسمرقند ..  
جاء جدي من موطنه ضمن الأسرى الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفان عند  
فتح بلاد بخارى وسمرقند ، في عهد بني أمية الذين كثرت الفتوح في عهدهم ..  
عاش جدي إلى أواخر دولة بني أمية ، وعاش أبي حتى أدرك عهد بني العباس ،  
ولا أذكر كيف انتقلت أسرتي من دمشق إلى بغداد فقد كنت حينذاك في عالم  
الغيب ! ..

يسمونني « علويّه » .. وهو اسم فارسي ، كأنهم لا يرضون باسمي العربي  
« على » أو يستكثرونه على رجل مثلي من الموالى ..  
وكنيتي « أبو الحسن » .. وكذلك كان يكنى الامام على بن أبي طالب رضى الله  
عنه ، غير أنني لست شيعيا ، وإنما أنا رجل من أهل السنة كغالبية سكان بغداد ،  
وجميع المسلمين أهلي وعشيرتي ! ..  
إن سألت عنى الناس ، قالوا لك : علويه ، مطرب حاذق ، ملحن متقن ، أديب  
شاعر ، ضارب بالعود ينذر مثيله ! ..

وأنا - على تفوقى فى ضرب العود - أعسر ، استعمل يدي اليسرى ، وعودى  
مقلوب الأوتار ، البم أسفل الأوتار كلها ، تليه الأوتار الثلاثة الأخرى : المثلث  
والمثنى والوزير ..

أمسك عودى باليمنى ، وأضرب باليسرى ، والعود مقلوب فى حجرى ، ولكن  
انقلابه هذا هو عندى الاستواء الصحيح ! ..  
ولما جلست أول مرة بين يدي استاذى إبراهيم الموصلى ليطارحنى الألحان  
ويثقفنى فى الصناعة ، فوجيء بأنى أعسر ، استخدم يسراى ، فحاول أن يعلمنى  
ضرب العود بيمينى فلم يستطع ، فقال لى ضاحكا :  
- يا علويه الأعسر .. أنت أحسن ضربا بيدك اليسرى من كثيرين يضربون  
باليمنى ! ..

صار لقبى « الأعسر » منذئذ .. واهتم بى إبراهيم الموصلى وعلمنى وطارحنى  
الغناء القديم حتى برعت فقال لى :  
- أنت أجمل المطربين صوتا بعد مخارق ، وأحسن الضاربين بعد زلزل ،  
وسأحدث عنك الرشيد ، فإنه يحتاج فى مجلسه إلى مثلك من المطربين الضاربين  
البارعين ..

ولما التحقت بمجلس الغناء في قصر الرشيد ، أيقنت أن الحظ ابتسم لي ، فإن  
مئات المغنين المحترفين من الأرقاء والأحرار ، لهم أصوات حسنة وصنعة طيبة ،  
ولكنهم لا يحلمون بالوصول الى مجلس الرشيد .. والفضل في وصولي أنا ومخارق  
والزبير بن دحمان وغيرنا ، يرجع إلى ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق اللذين  
يرعيان المواهب الحقيقية .. فضلا عن تعلم علي أيديهما من جوارى وغللمان  
الكبراء والسراة والعظماء ، فإن عدد تلاميذهم هؤلاء مئات كثيرة في بغداد وسائر  
مدائن الإسلام ..

### ● اليوم الثاني :

الفضل بن الربيع صار وزيرا للخليفة الأمين الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه  
الرشيد ، وهو أيضا حاجب الخليفة ، وقد اهتمنى ذلك وملانى غما وكمدا ، فإن ابن  
الربيع هذا كثير الطعن على غنائى وإن كان دائما يقصد الطعن في اخلاقى  
واعمالى ، أما غنائى فإن ابن الربيع يعلم اننى من اعظم المغنين ! ..  
غنيت في مجلس الخليفة محمد الأمين لحنا جديدا لى فى شعر عمر بن أبى  
ربيعة

ليت هذا أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما تجد

فقال لى الفضل بن الربيع متصنعا الغضب :

- ومن هند هذه التى تستنجزها ماتعد ؟ ! ..

قلت متوجسا شرا :

- لا أعرفها ، فالشعر كما تعلم ياسيدي لعمر بن أبى ربيعة !

قال مكشرا عن أنيابه

- فى هذا تعريض ! .. كأنك تستبطن المأمون فى الخروج على أمر المؤمنين  
ومحاربته ، وقد كنت قديما من حاشية المأمون ..

قلت وأنا بين اليأس والرجاء وقد أذهلتنى هذه التهمة التى رمانى بها :

- والله ما كنت عنده إلا مغنيا كسائر المغنين ! ..

ونظرت فرايت الأمين مغضبا كالحا ، ثم صاح فى غلمانه :

- خذوا هذا فاضربوه خمسين سوطا واقدفوا به خارج القصر ! ..

### ● اليوم الثالث :

عدت إلى بيتى مثخنا من ضرب السياط ، فعالجنى أهلى بالمراهم وغيرها ،  
واعتكفت أفكر فى أمرى ! ..

الفضل بن الربيع يريد اقصاصى عن مجلس الخليفة ، وفى ذلك بوارى ، فإن  
خاصة أهل بغداد إنما يطلبوننى لمكانى فى مجلس الخليفة مع اكابر المغنين ..  
فإذا علموا أنه غضب على واقصاصى ، تجافونى وأغلقوا أبوابهم دونى .. وهذا هو  
الموت الذى يريده لى الفضل بن الربيع ، وإن فى هذا الرجل لرغبة عارمة فى ايداء

الناس ، وقدima أهلكت دسائسه البرامكة وهم سادة الناس ، فأين أذهب أنا مما يدبر لى هذا الرجل من الأذى ؟! ..

فكرت فى « كوثر » .. غلام الأمين ، الذى يؤثره على جميع غلمانة ، ولايرد له طلبا .. وكل الناس يقولون .. كوثر .. كوثر .. كوثر ! ..

تعرفت إلى كوثر فى مجلس الخليفة ، وخصصته بنوادر وحكايات وأصاحيك أقصها عليه فيضحك لها ضحك الأطفال ، وعرف كوثر خفة روحى وطيب مجالستى وملاحة نوادرى ، فكان إذا رانى أقبل فجلس معى ! ..

قلت فى نفسى « لم يبق من حيلة أعود بها إلى مجلس الأمين ، وأقهر بها الوزير ابن الربيع إلا التوسل بكوثر ، فنهضت فطلبت عودى ، وركبت إلى القصر ، فدرت حوله حتى جئت إلى باب اعرف أن الغلمان يدخلون منه ويخرجون كثيرا ، فسألت بعضهم عن كوثر ، فقالوا انه الساعة يخرج للنزهة ! .. فترقبته حتى بصرت به خارجا وبصر بى ، فنادانى ، فطرت اليه ! ..

فلما دنوت منه ، ضحك حتى استغرب ، وقال لى :

- لو كنت حاضرا ذلك المجلس لما تركتهم يضربونك يا أبا الحسن ! .. وقد أبلغنى الغلمان نبأ ذلك المجلس ! ..

قلت له متوسلا :

- فما أصنع الآن ياسيدى ؟! ..

- لاتصنع شيئا .. ولكن تعال بعد ثلاث ليال إلى القصر فستجد الخليفة قد رضى عنك ، وتغنى كعادتك إذا جاء دورك فى الغناء ، وستلقى خيرا إن شاء الله ! ..

وقد كان ، فرددت إلى الخدمة فى القصر ، وأمر لى الأمين بخمسة آلاف دينار ، وعدت الى موضعى من رضاه ! ..

### ● اليوم الرابع :

تولى المأمون الخلافة بعد حربه مع أخيه الأمين ، فلما قدم من خراسان الى بغداد ، ذهبت الى مجلسه مدلا بما كان من جفاء الأمين لى ، وضربه اياى خمسين سوطا .. ولكن المأمون كان يعلم أنى رميت نفسى على « كوثر » ليترضى لى الأمين ، وأنه ترضاه لى ، فاسقطنى ذلك من عين المأمون لأنه كان يستنكر نفوذ كوثر وأمثاله فى قصر أخيه ..

أذهلنى ما صار اليه امرى ! ..

كنت أتصور أنى سأكون المغنى الأول فى مجلس المأمون ، لأننى المغنى الوحيد الذى اتهمه الفضل بن الربيع بممالة هذا الخليفة الجديد حين لم يكن إلا مجرد أمير على خراسان ! ..

فكرت .. ماذا أصنع ؟! ..

لا استطيع أن أرمى نفسى والقى بكرامتى عند قدمى كوثر ليصلنى بالمأمون .. فلا كوثر عنده ، وقد قتل كوثر مع الأمين فى الحرب ! ..



فبينما أنا أفكر ، طرق بابي طرعا شديدا ، وإذا بعض جند الخلافة ، يقولون  
أجب أمير المؤمنين ! ..  
كدت أطير فرحا ، ودخلت مجلس المأمون وأنا أرقص من أقصى الايوان وأصفق  
واغنى

عذيرى من الانسان لا إن جفوته  
صفا لى ولا إن صرت طوع يديه  
وانى لمشتاق إلى ظل صاحب  
بروق ويصفو إن كدرت عليه  
فسمع المأمون ومن فى مجلسه من المغنين لحنا بديعا ظريفا ، وقال لى  
المأمون

- ادن ياغلويه واعد هذا اللحن ..  
فرددته عليه سبع مرات ، وهو لايشبع منه ، ثم قال لى :  
- ياغلويه .. وأين هذا الصاحب الذى يصفو إن كدرت عليه .. خذ الف الف  
دينار واعطنى هذا الصاحب ! ..  
عدت إلى مكاني عند المأمون !  
بل صرت شفيعا عنده لاسحاق الموصلى ، فإن المأمون حين جلس لسماع  
الفناء بعد قدومه إلى بغداد بمدة ، أقبل عليه كبار المغنين جميعا ، ماعدا اسحاق  
الموصلى ، فقال المأمون لجلسائه مستنكرا  
- ما يترك هذا الرجل الخيلاء والته أبدا ..  
وتجافاه ، وأمر الا يستدعى الى مجلسه  
فقممت واسترضيت المأمون وقلت :  
- اسحاق عبدك وابن عبدك ، وهو لايعلم أن أمير المؤمنين قد أمر باعادة مجالس  
الفناء بعد قطعها ، فأرسل اليه يا أمير المؤمنين ، فانه يجيء سعيًا على الرأس لا  
على القدمين ! ..  
وعاد اسحاق إلى مجلس المأمون ، وتصدره ، وصرنا كلنا « أقل من التراب »  
بالقياس اليه ! ..  
● اليوم الخامس :

اجتمعت فى سهرة عند بعض سرة البغداديين مع اسحاق الموصلى ..  
غنيت :

ألا يا حامي قصر دوران هجتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا  
وابكيتمانى وسط صحبى ولم أكن أبالى دموع العين لو كنت خاليا  
فطرب الناس طربا شديدا .. ولم يدهشنى ذلك ، فإن هذا من أجمل الحانى وقد  
ادبته باتقان وتحفظ لوجود اسحاق الموصلى فى المجلس ..  
فوجئت باسحاق يصيح وقد تملكه الاعجاب بما غنيت :  
- أحسنت والله يا أبا الحسن .. أحسنت والله كل الاحسان ! ..

فقممت من مكاني فقبلت رأس اسحاق وعينيّه ، وجلست بين يديه ، وسررت بقوله  
سرورا شديدا ، ثم قلت له « أنت سيدى وابن سيدى ، واستاذى وابن استاذى ،

ولى اليك حاجة » !

قال اسحاق :

- قل فوالله انى ابلغ فيها ماتحب ان شاء الله ..  
قلت

- ايما افضل عندك أنا أو مخارق ؟! .. فإننى احب أن أسمع منك فى هذا  
المعنى قولاً يؤثر ، ويحكى عنك من حضر مجلسنا هذا ، فتشرفنى به .. وقد سألتك  
بحقى عليك ، وبتربية ابيك لى ، وبكل حق تعظمه ، إلا حكمت ! ..  
قال :

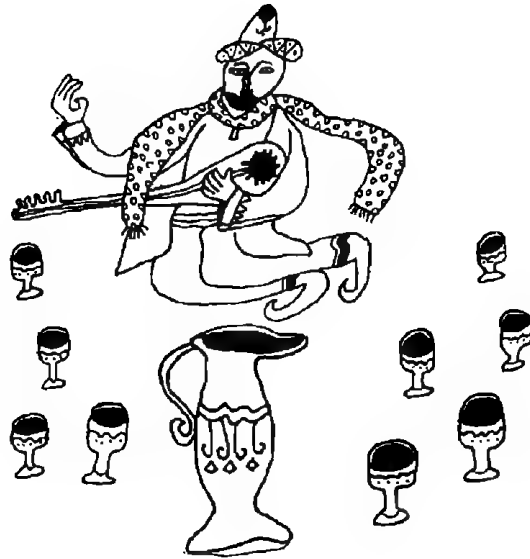
- ويحك ! .. والله لو كنت استجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب من هذا  
الأمر ، ولكنى لا استجيز إلا الحق ولا أقول غيره .. وهاك ما عندى : فلو خُيرت أنا  
من يطارح جوارى وغامانى ، أو يغنينى لما اخترت غيرك ، لأنك أعلم بالصناعة  
والرواية ، ولكن مخارقاً يفلبك عند الخلفاء والأمراء بطيب صوته وغزارة ألحانه ! ..  
فلم أفز من اسحاق بشهادة كاملة يحكيها الناس وتكون حجة لى عندهم على  
مخارق ، فأتقدم عليه ! ..

واسحاق - مع ذلك - ليس بمحب ولا معجب بمخارق إلا ما يخرج من نبرات  
حنجرته ، ولكنه يأبى إلا أن يشهد بما يراه حقاً ..  
وقد غضبت من كلامه وقمت فقلت له :  
- أف من رضاك ومن غضبك ! ..

يوميات علوية

---

## الشاعر الخنجرى



## ● اليوم الأول :

اعود فأسجل يوميات أخرى من حياتي ..  
ضقت ذرعا بابن أختي عبد الله بن محمد الخنجي الذي يتولى القضاء في محلة  
بالجانب الغربي من بغداد  
إن ابن أختي هذا ، أنا ربيته وعلمته وأنفقت عليه حتى صار كاتباً شاعراً فقيها ،  
وسعيت له حتى نال وظيفة القاضي ، ولكنه بعد أن صار قاضياً عفى وتنكر لي  
وأصبح تياها صلفاً ، ولو لم يكن من حق لي عنده إلا حق الخنولة ، لكان خليقاً أن  
يكون باراً بي ، ولكنه نسي ذلك كله ، فأقسمت لأكيدن له كيذا  
علمت انه حين يحكم بين المتخاصمين يجلس الى اسطوانة من أساطين  
المسجد فيستند اليها بجميع جسده ولا يتحرك ، فإذا تقدم اليه الخصمان ليسمعا  
الحكم أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى ينطق بالحكم ويفصل بينهما  
ثم يعود لحاله من الاستناد بجميع جسده الى اسطوانته ! ..  
فأعزت إلى بعض الخبثاء ، فعمد الى رقعة من الرقاع التي تكتب فيها الدعاوى  
فألصقها في موضع ذنبه القاضي التي يغطي بها رأسه ، وأكثر من الغراء في  
موضع اللصق حتى تمكن منها ، فلما تقدم اليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده  
كعادته انكشف رأسه وبقيت الذنب في موضعها مصلوبة ملتصقة بالأسطوانة ،  
فقام الخنجي مغضباً ، وعلم أنها حيلة وقعت عليه ، فغطى رأسه بطيلسانه  
وانصرف وترك ذنبه في مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها ..  
تعالم الناس الخبر فضحكوا ، وضع الجانب الغربي من بغداد بالنكات على  
الخنجي المتكبر التياها ، وقال احد الشعراء ساخراً :

إن الخنجي من فتايه	اثقل باد لنا بطلعته
ما إن لذي نخوة مناسبة	بين أخاوينه وقصعته
يصالح الخصم من يخاصه	مخافة من الجور في قضيته
لو لم تدبقه كف قانصه	طار تياهاً على رعيته

شهرت الأبيات وطارت في بغداد ، فعملت فيها لحنا سوقياً أعطيت  
للرقاصين والقرادين والمختئين فطافوا المدينة يغنونه حتى أخرجوا  
الخنجي وفضحوه ، فاستعفى من القضاء ببغداد ، وولاه السلطان القضاء

فى حمص بالشام ..

قلت فى نفسى : والله لأكيدن له شرا من هذا كله ، فعملت لحنا فى شعر  
له علمت انه لن يقع من الخليفة المأمون موقعا حسنا

برئت من الاسلام إن كان ذا الذى      أتاك به الواشون عنى كما قالوا  
ولكنهم لما راوك غريفة      بهجرى تواصلوا بالنميمة واحتالوا  
فقد صرت أذنا للوشاة سميعاً      ينالون من عرضى وإن شئت مانالوا

فلما سمع المأمون غنائى فى هذه الأبيات سألنى

- من يقول هذا الشعر؟!

قلت بخيـث

- قاضى حمص !

فسكت المأمون ، وأمرنى بالانصراف ولم يأمر لى بجائزة !

## ● اليوم الثانى

حضرت مجلس المأمون ، فإذا القاضى الخلجى هناك .. سألت بعض الخدم فعلمت أن  
الخليفة حين سمعنى أغنى شعره أمر باحضاره على خيل البريد ، فأحضر  
قال المأمون للخلجى :  
- أنشدنى قولك فى الغزل :

برئت من الاسلام ان كان ذا الذى      أتاك به الواشون عنى كما قالوا

فقام الرجل على رجليه ضارعا يقول

- يا أمير المؤمنين .. هذه أبيات قلتها منذ أربعين سنة وأنا صبى ! .. والذى أكرمك  
بالخلافة ، وورثك ميراث النبوة ما قلت شعرا منذ أكثر من عشرين سنة إلا فى زهد أو عتاب  
صديق ! ..

قال له المأمون :

- إجلس ! ..

فجلس الرجل وكأنه ينتظر الموت ، فنأوله المأمون قدح نبيذ التمر ، فقال : لا والله يا  
أمير المؤمنين ما أعرف شيئا من هذا ! ..

فقال له المأمون

- أما والله لو شربت شيئا من هذا لضربت عنقك ، وإنى لأظن أنك صادق فى قولك كله ،  
فأنت لاتشرب نبيذا ولا تتغزل فى النساء ، ولكن لايتولى لى القضاء رجل بدأ فى قوله

بالبراءة من الاسلام ، مهما كان صادقا فيما أقسم عليه من كذب الواشين به كما يقول !  
 فوثب الرجل يتوسل  
 - يا أمير المؤمنين .. إنما كان هذا في زمن الحداثة ولم يكن لى بصير بالشعر ، ولا لبلابة  
 فى الكلام ، وقد أقسمت صادقا ، فلا إثم فى قولى ! ..  
 فنهره الخليفة :  
 - كانت تحكم هنا فى قضية ! .. قم فانصرف الى منزلك ، فلا يصلح مثلك للقضاء ! ..  
 فلما انصرف ابن أختى هذا أحزننى أمره ، وقصصت على الخليفة قصتى معه ، وأنى  
 كدت له وشنعت عليه لتيهه وأعجابه بنفسه ، وإلا فهو قاض عادل فطن نزيه .. قال  
 المأمون :  
 - يا علويه .. ماتطيب نفسى باعادته الى عمله ، لقوله « برئت من الاسلام » .. فليس هذا  
 من كلام القضاة ! ..  
 قلت  
 - يا أمير المؤمنين .. لقد كان حين قال هذا الشعر صبيا غريرا دون العشرين من  
 عمره ، وما هو بشاعر يتصرف فى القول تصرف الشعراء الذين يعرفون غث الكلام من  
 سمينه !  
 فما استطعت ان ازحج المأمون عن رأيه .. وندمت على ما صنعت بابن أختى ، على  
 شدة نفورى منه ! ..

### ● اليوم الثالث :

قضيت ساعة عند ابراهيم بن المهدي ، الأمير الذى يتعاطى الغناء وهو جميل الصوت  
 حقا ، ولكنه قليل العلم بأسرار الصناعة ، فقال لى :  
 - ما الذى أحدثت بعدى من الصنعة يا أبا الحسن ؟  
 فغنيته لحنا ثم لحنا ، فرايته قد كاد يموت من حسده لى ، ولم يدر مايقول ، حتى غنيته  
 الصوت الثالث وهو :

إذا كان لى شيئان ياءم مالك فإن لجارى منهما ماتخيرا  
 وفى واحد إن لم يكن غير واحد أراه له أهلا إذا كان مقترا

فكاد ابراهيم بن المهدي يموت حسدا لعجزه عن صنعة مثل هذا اللحن ، فلم يجد  
 مايقوله ، الا ان سألنى متهمكا :  
 - فإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن ، حبوت جارك منهما واحدة ؟ ..  
 فغضبت وقمت عنه وانصرفت نادما على ماضيعت من وقت عنده ، وعذرت اسحاق  
 الموصلى فى طعنه على هذا الرجل وتجهيله فى صناعة الغناء ! ..  
 نزلت فى زويق صغير بدجلة أتفرج وقد أوغلنا فى الليل ، فرايت حراقة القائد على بن

هشام ، الضخمة الفاخرة المشعة بأنوار الشموع الكبار ، تنهادى على مياه دجلة ، فقلت للملاح صاحب الزورق : أطرَح زورِكَ على هذه الحِراقة العظيمة ، ففعل ، وصحت بالخدم أستاذن في الصعود الى السفينة ، فجاءوني بالاذن من على بن هشام ، فدخلت وهو مع الجوارى يسمع ويشرب ، ولم تحتجب الجوارى عنى ، لأن على بن هشام لا يحجب الجوارى ما لم يلدن ، فعندئذ يصرن أمهات اولاد ويعاملن كالزوجات فيحببن ، وليس كل الناس على هذه الطريقة فى أيامنا ..

كانت هناك أعظم مطربتين فى عصرنا كله : بذل ومتميم . وقد أحب على بن هشام المطربتين ، وأظنه سيتزوج من متميم لأنه يهيم بها حبا ولا يرضى لها بأقل من منزلة الزوجة ! ..

غنيت لحنى « إذا كان لى شيئان يا أم مالك » الذى كنت غنيته عند ابراهيم بن المهدي وتحفظت فى الأداء وجئت فيه بكل ما قدرت على من إجادة حتى زلزلت الحِراقة وصاح على بن هشام وبذل ومتميم طربا ..  
وحسبك بلحن يطرب له على بن هشام وبذل ومتميم وهم أصفى الناس ذوقا وأعظمهم علما بالغناء ..

قال لى ابن هشام

- لمن هذا اللحن يا أبا- الحسن ؟!

- هذا لحن صنعته وأهديته لك ، ولم يسمعه أحد قبلك ! ..

أعجبه قولى هذا وأمرنى أن أطرَح اللحن على بذل ومتميم لتأخذاه ، ففعلت ، وقضينا أحسن وقت فى هذه الليلة حتى قال لى ابن هشام :  
- ما أجد لك مكافأة على هذه الهدية إلا أن أتحوّل عن هذه الحِراقة بما فيها وأسلمها اليك ! .

فتسلمت الحِراقة العظيمة ، وهى من أفخر سفن أمراء بغداد فى دجلة ، وتحول على بن هشام بجواريه وخدمه الى حِراقة اخرى له ..  
فى الصباح ، سارعت فبعت الحِراقة ، لأن مثلى لا يقتنى مثلا ولا يقدر على صيانتها والانفاق على من يخدم فيها ويحفظها ، فكان ثمن بيعها مائة وخمسين ألف درهم ، وقال لى العارفون اننى بعتها بثمن بخس ! ..  
اعتزم ان شاء الله أن اشتري بهذا المال ضيعة تكون سندا فى تصارييف الزمان !

إن سفينة واحدة من السفن الفاخرة التى تمخر دجلة أو ترسو فى مراسى القصور المطلة عليه ، تساوى ضيعة كبيرة خصبة ، فكم ضيعة تمخر مياه دجلة أو ترسو عند قصورها ؟!

وإن رجلا كريما عظيما مثل على بن هشام يحبو فقيرا مثلى هذه الضيعة العائمة ، وكأنه لم يعطنى الا درهما واحدا ، فكم من الضياع العائمة وغير العائمة عند عشرات الألوف من أمراء وكبراء بغداد والعراق ودولة الخلافة العباسية العظيمة ؟ !

## ● اليوم الرابع

خرجت مع الخليفة المأمون الى الشام فدخلنا دمشق فطفنا فيها على قصور بني أمية ، فدخل صحننا من صحنهم مفروشا بالرخام الأخضر كله وفيه بركة ماء ، وفي البركة سمك ، وحولها أزهار ورياحين ، فأعجبه ذلك فجلس وقال لى : غننى ونشطنى ، فكأننى نسيت الغناء كله ولم أذكر الا هذا اللحن :  
لو كان حولى بنو أمية لم تنطق رجال اراهم نطقوا  
من كل قزم محض ضرائب عن منكبيه القميص ينخرق

فنظر إلى مغضبا وقال : عليك وعلى بنى أمية لعنة الله ! .. ويلك ! .. ألم تجد إلا هذا الكلام ؟ ..

فأققت من غفلتى وقلت مع البديهة :

- ياأمير المؤمنين .. أتولمنى أن أذكر بنى أمية ؟ ! هذا عبدكم زرياب الذى أبق منكم إلى بنى أمية فى الأندلس ، صار يملك هناك ثلاثمائة الف دينار وهبوا له سوى الخيل والضياع والرقيق .. وأنا عندكم أموت جوعا ، وكان زرياب عندكم عبدا من العبيد لاتأبهون له !  
قال :

- فكيف كان زرياب هذا الذى هرب إلى الأمويين ؟ !

- كان وسطا فى جمال الصوت وجودة الصناعة ، لايعلو ولايسفل ، ولم يجد مكانا بين فحول الصناعة فى بغداد ، ولكنه صار نجم قرطبة الأوجد ! ..  
قال المأمون :

- إنما صيره الأمويون كذلك ، نكاية فىنا ، لارغبة فيه ، ولو كانت لديه بضاعة تتفق عندنا لعرضها علينا .. فهو عند بنى أمية ، عبد بنى العباس الأبق ، فلهذا يظهرون له احتفاءهم وكرمهم ، فاذهب اليهم ، وانت خير منه ، لعلك أن تكون عندهم احظى وأوفر نصيبا من المال والخيل والضياع والرقيق ! ..  
فأخرجنى المأمون - والله - فقلت :

- لاوالله ياأمير المؤمنين ! .. لو اعطانى بنو أمية قرطبة كلها ، ماعدلت بها حفنة تراب تطوؤها نعلكم على أرض بغداد ! ..  
فانبسطت أسارير المأمون ، وأجزل جانزتى ! ..



يوميات محمد الزف

---

# مجل الأصوات



## ● اليوم الأول

---

يسميني المطربون « الزف » .. وقد نسي الناس أن اسمي محمد بن عمرو ، وأنتى كوفى الأصل والمولد والمنتشأ ، من موالى بنى تميم .. ولم يعد أحد يذكر الا هذا اللقب : « الزف » .. الذى اتساهم اسمى وأصلى وبلدى والقبيلة التى انتمى بالولاء اليها ! ..

سبب ذلك أننى أسرع خلق الله جميعا الى حفظ آية أغنية أسمعها ولو مرة واحدة ... فإذا سمعتها أديتها أداء متقنا لا يكون بينه وبين من أخذتها عنه أدنى فرق الا فى نبرات الصوت .

لهذا سميت « الزف » .. ومعنى الزف والزفيف الإسراع ، وأنا أسرع خلق الله أخذا للغناء ! ..

وأنا والله مغن ذو صناعة وبراعة ، صحيح الأداء ، ذكى الفؤاد ، مليح النادرة ، لكننى فى الحقيقة قليل الحظ من جمال النبرات ! .. فإذا سمعنى أحد قال : مغن بارع الأداء ، ولم يقل : جميل الصوت ! ..

وإلى ما ابتليت به من خشونة النبرات ، فإنى معربد سبىء العشرة إذا انتشيت بالنبيذ ، ولو فى مجلس الخليفة .. وقد عربدت فى حضرة أمير المؤمنين الرشيد ذات ليلة فأمر بإخراجى من مجلسه ، ثم أمر بمنعنى من الوصول اليه ، وجفانى وتناسانى ، والزمنى بيتى ، لا أبرحه الا الى بعض السهرات المتواضعة التى لا يكاد يقى ما أكسبه منها بعيش الكفاف ! ..

وأنا الآن متعطل عن العمل أو شبه متعطل ، فالسهرات الغنائية الحقة انما تقام فى بيوت العلوية من الأمراء والوزراء والكتاب والقواد وسراة بنى هاشم والبرامكة وأمثالهم .. أما هذا الذى أنا فيه من طلب العيش بالغناء للسوقة وأشباه السوقة ، فهو الاملاق والشقاء ! ..

## ● اليوم الثانى :

---

طرقات خفيفة مفاجئة على باب منزلى أخرجتنى من عزلتى وملأت قلبى أملا بعد اليأس الطويل ، فهذا خادم من خدم أمير المطربين والملحنين ابراهيم الموصلى يقول لى :

- سيدى يقرئك السلام ويقول لك إنه ينتظرك بمنزله فى هذه الساعة ، لأمر فيه خير لك إن شاء الله ! ..

همست لنفسى وأنا أحت الخطي الى دار صديقى الموصلى : فزت والله يازف  
 إن كان ما تحدثك به نفسك صحيحا ! .. إنه ليبدو لى أن المحنة قد تقضت ، وأن  
 رضا الخليفة يوشك أن يعود فيغمرنى بنعمائه ! .. وكيف لا يعفو عنى الخليفة حفظه  
 الله وهو الانسان الرقيق الغزير الدمع ، على جبروته ؟ ! .. وهل ينسى لحنى البارغ  
 الذى غنيته فى حضرته ذات ليلة ، فسار فى الآفاق وتناقلته الأسماع وتغنت به  
 الحناجر :

يا زائرينا من الخيام      حياكما الله بالسلاام  
 يحزننى أن اطعمتانى      ولم تنالا سوى الكلام  
 يورك هارون من إمام      بطاعة الله ذى اعتصام  
 له إلى ذى الجلال قربى      ليست لعدل ولا إمام

ثم إننى كنت أضحكه كثيرا بنوادرى ، وبما أذعيه من الحان المطرب  
 والملحن الكبير اسماعيل بن جامع منافس ابراهيم الموصلى .. فإن ابن  
 جامع ، برغم نسبه فى قریش ، وانفراده دون المغنين جميعا بهذا النسب  
 العربى الكريم ، يضمن بدرهم واحد يمنحني ولهذا تعودت أن أضع عينى  
 عليه حين يغنى ، وأصغى اليه فأحفظ لحنه بعد أن يغنيه مرة واحدة ، ولم  
 يكن يغنيه مرة واحدة ، لأن الرشيد لاجبابه بصوته الجميل كان يستعيده  
 مرتين أو ثلاثا فيزداد لحنه تمكنا فى رأسى وأحكيه كأننى أنا هو .. لافرق  
 بينى وبينه الا جمال صوته ! ..

وقد غنى مرة لحننا جميلا جدا أحسن فيه كل الاحسان ، فحفظته وخرجنا  
 ساعة من مجلس الرشيد للراحة ، فأعدت اللحن على مسامع الموصلى حتى  
 حفظه ، وحفظه أيضا المطربون الآخرون : مخارق وعلويه وعقيد ..

فلما عدنا الى مجلس الرشيد بادر الموصلى فغنى هذا اللحن ، وقال  
 للرشيد : هذا لحن كنت أرويه قديما وقد أخذته عنى مخارق وعقيد وعلويه ! ..  
 فأمر الرشيد كلا منهم بأداء اللحن ، ففعلوا .. فوثب ابن جامع وهو يكاد  
 ينشق غيظا يقول للرشيد :

- ياسيدى .. وحياتك ماصنع هذا اللحن أحد غيرى ، وقد سرقه هؤلاء  
 ليسقطوا منزلتى عندك ! ..

فقال الرشيد للموصلى .. بحياتى اصدقنى عن القصة ياموصلى ! ..  
 فصدقته الموصلى عن القصة ، فجعل الرشيد يضحك ويصفق ويقول :  
 - لكل شىء أفة .. وأفة ابن جامع فى غناؤه محمد الزف ! ..

حدثت نفسى بذلك كله وأنا مسرع الى منزل الموصلى ، وتلقانى الرجل  
 مرحبا ، وأجلسنى فى رواق أنيق .. ومد الخدم لنا السفرة حافلة بالطعام

والشراب والرياحين ! ..

قال لى الموصلى :

- إننى اخترتك يا صديقى لأمر لا ينهض به غيرك ، فانظر كيف تكون !

قلت متلهفا لمعرفة ما وراء كلامه :

- أبلغ فى ذلك محبتك إن شاء الله ! ..

ففكر الموصلى قليلا ، ثم قال لى متمهلا :

- ماتقول فى اسماعيل بن جامع ؟!

- بخيل شديد البخل ، أما أنت فبحر من الكرم لا ساحل له ! ..

- ماسألتك عن هذا .. إنما أسأل عن غنائه وألحانه ونبرات صوته ! ..

- هو والله محسن بارع فى التلحين ، وضىء نبرات الصوت ، وقد صدق

من قال إن فى صوته مثل حلاوة العسل ! ..

- إنه والله لكذلك ، وما كنت أنتظر أن تقول عنه الا هذا .. ولكنه -

يا صديقى - غلبنى البارحة فى مجلس الخليفة وفاز بجوائز عظيمة ، وانخذلت

انا وانكسرت وخرجت بلا جائزة !

قلت متعجبا :

- وكيف يغلبك عند الخليفة وأنت من أنت ؟!

- غنى صوتا فأحسن فيه وطرب له الرشيد وسأله : أهذا الصوت من

صنعتك يا اسماعيل ؟ ..

فأجابه لا .. ولكنه من صنعة ابن سريج رئيس القدمات من أهل

صناعتنا ، وقد كذب ابن جامع فإن اللحن والله من صنعته هو ، ولكنه أراد

أن يرى أمير المؤمنين اتساعه فى رواية الغناء القديم ، وتفوقه فى ذلك على

جميع المطربين وأولهم انا .. فلما سمع الرشيد منه ذلك أمرنى بغناء هذا

اللحن فاعتذرت وانكسرت وانهزمت فى مجلسه وابن جامع ينتفش كالديك

ولايالى أن يكذب ويزعم تلك المزاعم ! .. حتى قال لى الرشيد ساخرا

- ألسنت تزعم أنك تحفظ الغناء القديم كله ، لا يفوتك منه شيء ؟!

ومضى الموصلى يروى لى قصته :

- ثم غنى ابن جامع صوتا ثانيا أحسن من الأول من تلحينه وزعم أنه من

صناعة القدمات ، فقال لى الرشيد :

- هات هذا اللحن يا ابراهيم لنرى فرق ما بين أدائك وأداء ابن جامع ! ..

فاعتذرت وقلت : « ولا هذا أعرفه يا أمير المؤمنين أبىك الله » !

ثم غنى ابن جامع صوتا ثالثا هز الخليفة طربا ، وزعم كذلك أنه صنعة

قديمة ، وإنما هو من تلحينه ، فأمرنى الرشيد بغنائه فلم أستطع .. وانصرف

ابن جامع من مجلس الخليفة ظافرا ، وخرجت أنا مخذولا ! ..

ثم نظر الموصلى فى وجهى لحظة كأنه يستطلع أثر قصته فى نفسى

فقلت له :

- وماتطلب منى الآن يا أبا اسحاق ؟!

قال

- تذهب الى ابن جامع فتهنئه على فوزه هذا وتنتقدني وتشتمني ثم تحتال على سماع الأصوات الثلاثة حتى تحفظها وتعود بها الى منزلي فتنطرحني إياها حتى أحفظها وأذهب الى الخليفة وأغنيها وأفسد على ابن جامع مكيدته ! .. ولك بعد ذلك ماتحبه من جهتي ، مع رضا الخليفة وعودتك الى مجلسه إن شاء الله ! ..

### ● اليوم الثالث :

---

استأذنت على ابن جامع في منزله وقلت له متهللا :  
- جئتكم مهنتا بما بلغني من خبرك في مجلس الخليفة أعزه الله ! ..  
فالحمد لله الذي أخزى على يدك الموصلي الدعي ، وكشف الفضل في محلك من صناعتك وفنك ! ..  
ضحك ابن جامع مسرورا وقال :  
- ويحك ! لقد كان خبرا يجلب عن الوصف ، وما علم به الا جلساء الخليفة ، فكيف بلغك !؟ ..  
قلت متملقا متزلفا :  
- هو أشهر من أن يخفى على مثلي ، وقد سرى في بغداد كلها .. فهلا سررتني أيها الأستاذ بأن تسمعني الخبر كله حتى أرويه عنك !؟ ..  
قال ابن جامع والنصر يملا كلماته :  
- أقم عندي ساعة حتى أروى لك كل شيء ! ..  
وروى لي ابن جامع القصة ، وغناني الأصوات الثلاثة مجتهدا في أدائها على أحسن وجه ، وأنا أصفق وأصيح طربا وأشرب رطل النبيذ وأسجل الألحان في دماغى بغاية الانتباه حتى أخذتها كلها بحذافيرها .. ثم ودعته وانصرفت أتعجل الوصول الى منزل الموصلي ! ..

### ● اليوم الرابع :

---

في سهرة أمير المؤمنين دعا بالمغنين فلما بصر بالموصلي بينهم قال له ساخرا : « أوقد حضرت !؟ .. أما كان ينبغي أن تجلس في منزلك شهرا بسبب انتكسارك من ابن جامع أمس !؟ ..  
فقال الموصلي : « ولم ذلك يا أمير المؤمنين ، جعلنى الله فداعك !؟ ..  
فوالله لئن أذنت لى أن أقول لأقولن ! » ..  
قال الرشيد والسخرية لم تزل في لهجته : « وما عساك أن تقول !؟ »

قال الموصلى : « انه ليس ينبغى لى ولا لغيرى أن يراك نشيطا لشيء فيعارضك ! .. والا فما فى الأرض صوت لا اعرفه » .. قال الرشيد : « دع ذاعتك ! .. قد أقررت أمس بالجهالة بما سمعت من ابن جامع ، فان كنت امسكت عنه عن معرفة ، فهات اليوم تلك الالحان ، فليس ها هنا عصبية ولا تمييز » ! ..

ضرب الموصلى بعوده فغنى عليه الالحان الثلاثة كما غناها ابن جامع تماما ، فاندفع ابن جامع يحلف للخليفة ان هذه الالحان من صنعته هو لايعرفها غيره ولايدرى كيف اخذها الموصلى منه ! ..

التفت الرشيد الى الموصلى وسأله متبسما :

- يا ابراهيم .. ما أحدثت بعدى ؟! .. بحياتى اصدقنى ! ..

قال الموصلى

- رميته بمثل سهمه يا امير المؤمنين .. بعثت اليه بمحمد الزف مغنيك وعبدك الذى غضبت عليه وأبعدته والزمته بيته ، وضمنت للزف ضمانات ، اولها ان ترضى عنه وتعيده الى مجلسك ، فمضى الزف فاحتال لى على ابن جامع حتى نقل الاصوات الثلاثة وطارحنيا حتى احكمتها كما سمعت يا امير المؤمنين ! .. وقد سقط عنى الآن اللوم بإقرار ابن جامع أنها من صنعته هو لا من صنعة قدماء أهل الصناعة ، ولا يلزمنى أن أعرف ما يصنع ابن جامع ولاغيره من نظرائى ، وإنما يلزمنى ان يعرف هو شيئا من غناء الأوائل وأجعله انا .. وان ابن جامع ليشهد انى اكثر منه رواية للغناء القديم ، وماغنى القدماء لحنا الا وهو عندى ، لاينكر ذلك ابن جامع ولاغيره ! .. ضحك الرشيد انبساطا وقال :

- صدقت يا ابراهيم ، وأبطلت كيد ابن جامع ، وقمت بحجتك ! ..

ثم التفت الى ابن جامع وقال له متفكها مواسيا :

- هيه يا اسماعيل .. الا ترى الموصلى كيف ابطل عليك مكيدتك وانتصف

منك ؟ !

## ● اليوم الخامس :

لما انتهت السهرة قال الخليفة للموصلى :

- قد رضىنا عن الزف ، وأمرنا أن يؤذن له بالدخول مع المغنين فى مجالسنا ، على الا يعربد على احد من المغنين أو الندماء ! ..

أبلغنى الموصلى هذا الخبر السعيد فقلت له :

- سألتزم الصمت المطبق ، لا اصنع شيئا الا الإصغاء الى ابن جامع

وتسجيل اغانيه فى دماغى ، لعلك تحتاج اليها يوما ! ..

ضحك الموصلى وضحكت ، ثم اخرج ثلاثة الاف درهم فأعطانيها ، وقال

لى :

- ولك عند الخليفة ماتحب إن شاء الله ! ..

يوميات عبد الله الربيعي :

---

## ابن الحاجب والوزير



اسمى عبدالله ، واسم أبى « العباس » أما جدى فهو الفضل بن الربيع حاجب أمير المؤمنين الرشيد ووزيره ، ورث الحجابة عن أبيه « الربيع » الذى نشأ فى كنف أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور جد الرشيد ، وارتفع من خادم يمسك للخليفة إبريق الوضوء ، حتى بلغ رتبة الحجابة الرفيعة الشأن !

يرانى جدى الفضل بن الربيع - حفظه الله - فيتذكر أبى الذى مات شابا صغيرا فتدمع عيناه ويضمنى الى صدره باكيا .. كان جدى شديد المحبة لابنه وقد سماه « العباس » تيمنا باسم الجد الأكبر لخلفاء الدولة العباسية ، وسمانى « عبدالله » تيمنا باسم عبدالله بن العباس ، بحر العلوم ، وإمام العلماء ، وجد الخلفاء .. عمتى « رقية » فى حال لا نهاية وراءها من الرقة والمحبة لى .. كلما رأتنى بكت ، لما يساورها من الحزن الدائم على أخيها أبى رحمه الله !

أحببت جارية مغنية من جوارى عمتى ، حبا ملا قلبى ، ولكنى لم أستطع ملازمة الجارية خوفا من أن ينكشف لعمتى ولجدى حبى لها فأمنع من لقائها

ادعيت لعمتى أننى أشتهى أن اتعلم الغناء من هذه الجارية ، فى ستر عن جدى الذى يرشحنى للحجابة أو الوزارة متى كبرت ، ويريدنى أن أطلب العلم الذى أبلغ به هذه الرتبة الرفيعة فى الدولة ، ولا يخطر بباله أنى أطلب علم الغناء فأسقط به من عين الناس كما سقط إبراهيم بن المهدي الذى يغنى ويلحن وهو ابن خليفة وحفيد خليفة وأخو خليفة ! ..

قالت لى عمتى :

- يابنى .. لاتجعل الشهوة للغناء تغلب عقلك .. إن جدك يعلق أماله عليك ويعدك لكبرى الوزارة ! ..

قلت

- ياعمتى إن منعتمونى من تعلم الغناء مت غما وكمدا !

قالت مشفقة غير متشدة :

- أكره يابنى أن تحذق الغناء وتشهر به فتسقط ويفضح بك أبوك - رحمه الله - وجدك أطلال الله بقاءه ! ..

قلت أطمئنها :

- لا تخافى ياعمتى ، فإنما أنال منه مقدار ما ألهو به ، لا أزيد على ذلك شيئا إن شاء الله ..

قالت

إن كان قصدك أن تلهو بما تأخذ من الغناء ، ولا تظهره أبدا للناس ، فذلك إليك ، وإن كنت به أعلم



لازمت الجارية المغنية التى شغفتنى حبا ، فتعلمت منها ضرب العود وأخذت عنها وعن الجوارى الأخريات فى قصرنا ألحانا كثيرة ، وأنا سريع الأخذ والحفظ ، ولى فى الغناء طبع أصيل ..

تأثرت على حضور مجالس جدى التى يغنيه فيها اسحاق الموصلى ومخارق ولويه وغيرهم ، فلم يبق لحن من ألحانهم إلا حفظته ، حتى أحسست من نفسى قوة فى صناعة الغناء ، فلحنت فى شعر للعرجى حفيد عثمان بن عفان  
أماطت كساء الخز عن حر وجهها

وأدنت على الخدين بردا مهلهلا

عرضت لحنى على حبيبتي الجارية المغنية فقالت لى

- والله ما يقدر اسحاق الموصلى على أحسن من هذا ..

وبعض الجوارى المغنيات يجئن إلى دارنا فيطرحن على جوارى عمتى وجوارى جدى ألحانا كثيرة ، ويأخذن منهن ألحانا أخرى ، وقد أسمعتهن لحنى فى شعر العرجى فأخذنه وغنيه ، ثم اشتهر اللحن حتى غناه بعض المغنين لأمير المؤمنين هارون الرشيد فاستحسنه ، وقيل له إنه من صناعتي ! ..

دعا الرشيد جدى وقال له :

- يا فضل .. يكون لك ابن يغنى ويصنع ألحانا جميلة ، ولا تخبرنى بذلك ؟ !

قال جدى :

- بحق ولائك يا أمير المؤمنين ، ونعمتك ، وإلا فأنا نفى منهما برىء من بيعتك ، وعلى العهد والميثاق ، والعق والطلاق .. إن كنت علمت بشيء من هذا قط إلا منك الساعة ! .. فمن هذا من ولدى يا أمير المؤمنين ؟ ! ..

قال الرشيد :

- حفيدك عبدالله بن العباس .. فهلا أحضرته عندنا يوما فنسمع منه صنعته وقد سمعناها من غيره ؟ ! ..

عاد جدى الى قصرنا يكاد ينشق غيظا ، فشتمنى وقال لى : يا كلب ! .. بلغ من حمقك أن تتعلم الغناء بغير إذن ، ثم زدت فصنعت ألحانا وألقيت صنعتك على الجوارى فى دارى ، ثم تجاوزتهن الى جوارى المغنين ، حتى بلغت قصتك أمير المؤمنين ، ففضحت أباك فى قبورهم ، وسقطت الى الأبد إلا عن رتبة المغنين .. وكنت أظنك تبلغ مرتبة الحجابة أو الوزارة من بعدى ! ..

فبكيت غما بما جرى ، فرحمنى وضمنى اليه وقال :

- قد صارت الآن مصيبتى فى أهلك مصيبتين .. إحداهما بموته ، والأخرى بك وهى موصولة بحياتى ! .. أما مصيبة العار فهى باقية علينا وعلى أهلنا من بعدنا ! .. ثم بكى جدى أحر بكاء ، حتى هان على أن أموت وتوارينى الأرض فى جوفها ! ..

### ● اليوم الثالث :

● رأيت جدى اليوم هادئا مستسلما للأقدار ، وابتدرنى .  
- يعز على يابنى أن أراك على غير ما أحب لك .. كنت أرشحك حاجبا أو وزيرا ،  
فالآن سقطت عن هاتين الرتبتين الرفيعتين فى الدولة .. وقد خرج الأمر من يدي  
فليست لى فيه حيلة ! ..  
ثم قال منكسرا محزونا  
- يابنى .. جئنى بعود وأسمعنى صوتك والحنك حتى أنظر كيف أنت فى صناعة  
الغناء ، فإن كنت تصلح للخدمة عند الخليفة فى هذه الفضيحة ، وإلا جئت أمير  
المؤمنين بك منفردا وعرفته خبرك وأنتك تلهو ولا تحسن شيئا ، واستعفيتك لك ،  
لتقصيرك فى هذه الصناعة .. وأمير المؤمنين خير من يستر عورتنا ! ..  
فلما غنيته ، بكى وقال :  
- الآن بطلت والله حجتى ، وخاب فيك أملى ، فإن صناعتك فى الغناء جيدة ،  
وصوتك حسن ، ووالله ما أراك إلا صائرا إلى احتراف الغناء طول حياتك ، فوا  
حزنى عليك وعلى أبيك ! ..  
قلت ضارعا متألما :  
- ياسيدى .. ليتنى مت قبل هذا الذى أنكرته من امرى ! .. لكنى وحياتك  
ياسيدى لاغنيت أبدا إلا لخليفة ، أو لولى عهد مرشح للخلافة  
قال وهو يمسح دموعه :  
- قد أحسنت يابنى فيما نبهت عليه من هذا ، فلا تغن إلا للخليفة أو لولى  
عهده ! ..

### ● اليوم الرابع :

أخذنى جدى إلى مجلس الرشيد فوقفت بين يديه أرعد ، فاستدنانى حتى  
صرت قريبا منه ، ومارحنى وأقبل على بوجه منبسط ، وهذا من روعى ، وأمر جدى  
بالانصراف لكىلا أخجل من الغناء فى محضره ومن حولى المغنون المحترفون ! ..  
ثم أمر المغنين فحدثونى وتفكهوا معى بالنوادر ، وسقونى أقداحا ، ثم غنوا  
واحدا بعد واحد .. فلما جاءت نوبتى فى الغناء أمسكت بالعود ووقفت استأذن فى  
الغناء ، فضحك الرشيد وقال لى : غن جالسا .. فجلست وغنيت ، فطرب واستعادنى  
ثلاث مرات وشرب أقداحا ..  
ثم دعا بمسرور الخادم فقال له :  
- يا مسرور .. أحمل الساعة مع عبدالله عشرة آلاف دينار وثلاثين ثوبا من فاخر  
ثيابى وصندوقا مملوءا بالطيب ..

## ● اليوم الخامس :

قال لى جدى وقد مضت أسابيع على غنائى فى قصر الرشيد :  
- كانت سررت بما أعطاك أمير المؤمنين من الدنانير .. ولوددت والله أنى أضع  
ألف ألف دينار ولا يكون لك أدنى علم بالغناء ، ولكن قضاء الله لا مرد له ، وإن تغلح  
أبدا ! ..

قلت

- ياسيدى هل جنيت جنابة ؟ !

صاح مفتاضا :

- أخبرنى عنك أيها الغلام .. هل كنت منذ يوم أو يومين فى « قطربل » تشرب  
النبيذ بغير غناء فى حانة هناك مع بعض الفساق ؟ ! ..  
لم أحر جوابا فمضى يقول :

- قد جاءنى من أخبرنى بذلك .. فهل هذا فعل من يفلح ، وهل هذا إلا من ضعة  
النفس وسقوط الهمة والتبذل والانخفاض عن مراتب أهلك ، والتدلى الى السوق  
والشطار والراقصين فى الأفراح ؟ ! وقد بلغنى أنك تتفكه بغناء شعر مدحنى به  
اسحاق الموصلى منذ بضعة عشر عاما ، وكنت أنت وقتئذ فى نحو السنتين من  
عمرك ، فأراك اسحاق جالسا فى حجرى فقال ذلك الشعر يمدحنى ويبشرنى  
بمستقبلك العظيم ! ..

فاجأنى كلامه هذا فقلت متظلما :

- والله ياسيدى ما أعرف هذا الشعر الذى تتحدث عنه فكيف أغنيه وأتفكه  
به ؟ !

أشاح عنى

- كذبت يا غلام ! .. أما تروى الرجز الذى نظمه اسحاق يمدحنى ويذكرك بقوله :

مد لك الله الحياة مدا  
حتى يكون ابنك هذا جدا  
مؤزرا بمجده مردى  
ثم يفدى مثلما تفدى  
أشبه منك جبهة وخدا  
وشيما محمودة ومجدا  
كأنه أنت اذا تيدى

- لا والله ياسيدى ما أروى هذا الرجز ولا سمعته إلا الساعة منك ! ..  
زمجر متعجبا متحزنا على مصيرى :

- إن مصيبتى فيك لعظيمة ! صرت مغنيا وصارت حانات قطربل مكان  
صبوحك وغبوقك ! .. تتكلم فتكذب وتنكر ما ترتكب من الموبقات ، والناس يرونك  
هاژئين متندرين بك وبى ويقولون شامتين :

- هذا حفيد حاجب الخلافة ووزيرها ! ..

## ● اليوم السادس

مرت الأيام مر السحاب .. تسارعت السنون .. مات جدى رحمه الله حسران على أننى لم أسلك مثله الطريق إلى الحجابة والوزارة .. وقد مات الرشيد ثم لحق به الأمين والمأمون والمعتمد .. وما نحن أولاء فى عصر الخليفة الواثق بالله !  
أراجع نفسى أحيانا : هل أخطأت ؟! .. هل كان طريق الوزارة والحجابة خيرا من طريق الغناء ؟!

ركبتنى الهموم فصرت لا أفارق رطل النبيذ لا فى الصباح ولا فى المساء ، إلا يوم الجمعة ، أو فى شهر رمضان ، أو فى الحج ! ..  
أثقلتني الديون فاستترت من الغرماء الذين أقرضوني بالربا الفاحش ، فشكوت إلى الخليفة ، فأمر بقضاء ديني وألا يحتسب للدائنين إلا رؤوس أموالهم ويسقط الربا كله ، وينادى بذلك فى سامرا وبغداد ، فلا يدفع مدين إلى دائن إلا رأس ماله فقط فسقط عني وعن الناس من أرباح الربا زهاء مائة ألف دينار  
علمت أن أمير المؤمنين الواثق وجاريته « فريدة » المغنية البارة الحسنة قد تغاضبا وتهاجرا ، ولزمت فريدة مقصورتها ..

حدثت نفسى بأن فريدة قد امتلكت قلب الواثق امتلاكاً ، ولابد له من مراجعتها واسترضائها ، فنظمت أبياتا فى معنى خصام الاحبة ، وغنيتها فى سهرة الخليفة ، ففطن إلى معناها واستعادها مرارا وشرب عليها ، وأمرلى بألف دينار وثياب فاخرة ، وقام من وقته فاسترضى فريدة وعادا أحسن مما كانا ..  
أقبلت فريدة بعد انصراف المغنين وليس عند الخليفة غيرى ، فأخذت عودا وتغنت فانت بالسحر فى غنائها حتى كاد الخليفة يشق ثيابه طربا .. وتماسكت أنا حتى لا أسوء الأدب إذا أظهرت ما داخلنى من الطرب ! ..  
فلما هدا الواثق اقترح أن أغنيه هذا اللحن من صنعتى وشعرى :

أفدى التى قلت لها

والبين منا قد دنا

هجرك قد انحل صبرى

وأذاب .... البدنا

قالت فماذا حيلتى

كذاك قد ذبت أنا

غنيته وفريدة مرفهة السمع تحفظ اللحن ، وهى سريعة الحفظ ، تسمع اللحن مرة واحدة فتؤديه كأنه من صنعتها ! ..

فبينما نحن فى ذلك ، دخل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات لأمر من أمور الدولة ، فقال للواثق بعد أن فرغت من الغناء منوها بى :  
- هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بأقبالك عليه ، واستحسانك له ، واصطناعك إياه ! ..

قال الواثق :

- أجل لاغرو .. إن عبدالله هو ابن موالى أبى وجدى ! ..

قال الوزير :

- ليس كل مولى يا أمير المؤمنين ولا كل خادم ، يجمع ما جمع عبدالله من ظرف وأدب وصحة فكر وجودة شعر وحسن غناء !  
فلما كان من الغد قصدت الى الوزير شاكرًا فقلت له : قد أفرط الوزير - أعزه الله - فى وصفى وتقريظى عند أمير المؤمنين حتى وصفنى بجودة الشعر ، وليس الشعر من شغلى ، وإنما أعبث بنظم البيتين والثلاثة ، وذلك يصغر عن أن يصفه الوزير ويثنى عليه ومحل الوزير فى الشعر هو المحل الرفيع المشهور .. فقال الوزير  
- والله يا أخى لو عرفت مقدار إحسانك فى قولك :

يا شادنا رام إذ مر

فى السعائين قتلى

يقول لى كيف أصبحت ؟ !

كيف يصبح مثلى !

لما استهنت بما تنظم من الشعر ! .. فوالله لو لم يكن لك شعر فى عمرك كله إلا قولك « كيف يصبح مثلى » .. لكنت شاعرا مجيدا !  
لم تدهشنى دقة ذوق الوزير وفهمه العميق للشعر ، فإن له وهو الكاتب العظيم - فرائد فى الشعر عجيبة ! ..

### ● اليوم السابع :

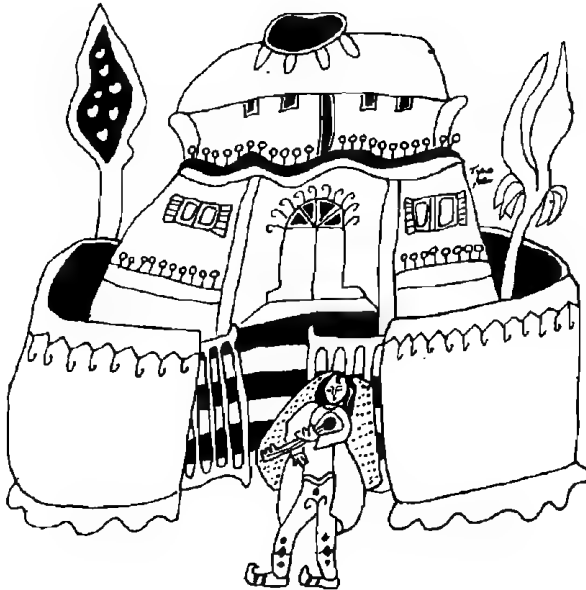
اشترت لى عمتى رقية من مالها جارية امتلأ قلبى بحبها فقلت لى المغنية الكبيرة ، بل أستاذة المغنيات « بذل »  
- يا عبدالله .. بلغنى أنك عشقت جارية وعشقتك واشتريتها ، فاعرضها على ، فيما عذرتك لعشقها ، وإما عذلتك وأنكرت عليك ..  
فلما أحضرتها قلت لبذل :  
- هذه هى ياستى ، فانظرى واسمعى ثم مرينى فيها بما شئت أطلعك ! ..  
فقلت له الجارية عاتبة  
- يا عبدالله .. أتشاور الناس فى أمرى ؟ ! .. فوالله ما شاورت فيك أحدا لما أحبيتك ! ..

فنعرت « بذل » وصاحت وقد هزها الاعجاب العظيم بالجارية :  
- إيه ! .. أحسنت والله يا صبية جدا .. ولو لم تحسنى شيئا ولا كانت فيك خصلة محمودة ، لوجب أن يعشقك عبدالله لهذه الكلمة البارة التى قلتها له ! .. أحسنت والله فى كلامك وجئت بأحلى المعانى !  
ثم قالت لى « بذل » :

- يا عبدالله .. ما ضاع شئ من مالك فى هذه الجارية .. ولو أنفقت عليها ألف ألف دينار لكنت رابحا ! احتفظ يا عبدالله بصاحبك ! ..  
لقد طربت « بذل » لأربع كلمات فاهت بها جاريتى .. ولم أرها قط تطرب مثل هذا

الطرب لمغن أو مغنية !  
وهكذا أنا أمضى فى الحياة .. أغنى وأحب الجوارى وأنادم الملوك والأمراء  
والوزراء ، وأتذكر جدى - رحمه الله - إذ يقول لى فى سالف الزمان « والله لن  
تقلح أبدا » !  
كان يريدنى وزيرا أو حاجبا للخلافة العباسية الجلييلة ، كما كان هو يرحمه الله !  
ولكننا نريد ، والدنيا تذهب بنا حيث تريد ! ..  
فهل ترانى أفلحت فى شىء ؟ ! ..

# مائة ألف دينار .. وولاية مصر



## ● اليوم الاول :

أخذت فن الغناء وصنعة الضرب بالعود ، عن ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق ، وطارحت يحيى المكي المغنى العجوز الحان الاقدمين حتى حفظتها وأحكمت حفظها ، وتفوقت على الجوارى المغنيات ، ونزلت سوق الرقيق فاشترانى سيدى صالح بن عبدالوهاب .. ولما قبض النخاس ثمنى همس فى اذنى :

- أبشرى .. فإن الله أراد بك خيرا ، فهذا السيد الذى اشتراك من أكبر بيوتات بغداد .. أخوه من حاشية أمير هاشمى قريب النسب من الخليفة المعتصم بالله ! ولما صرت فى بيت سيدى هذا عرفت أنه ليس من حاشية أمير عادى ، بل من حاشية أمير من أبناء الرشيد ، واسمه صالح أيضا .. صالح بن الرشيد ! .. وفى أولى سهراتى فى بيت صالح بن عبدالوهاب ، جاء أخوه أحمد .. وجاء أيضا الأمير صالح بن الرشيد ! أخو الخليفة المعتصم ..

ولم أكد أسسك بالعود لأضرب وأغنى ، حتى دخل علينا اسحاق الموصلى ! .. جاء متأخرا ، لايبالى أن يجيء بعد الأمراء والكبراء ، فقد اعتادوا أن يتيه عليهم ، وأن يتلطفوا فى معاملته ، إكبارا لشأنه ، وانهم ليرىون الخليفة المعتصم نفسه يعلى مكانه ويحبه ويجزل له العطاء ، وربما خصه بالحديث فيما لايتحدث فيه مع أكبرهم شأنًا ، وكذلك كان يفعل الخليفة المأمون من قبل .. والخليفة هارون الرشيد أيضا ..

قال لى صالح بن الرشيد فى كبرياء ابن الخليفة وأخى الخليفة وعم ولى عهد الخليفة :

- ماذا تحسنين يا جارية من الغناء ؟ ! ..

فبادر اسحاق الموصلى فقال :

- إنها تحسن الغناء والضرب بالعود ، ولها فى التلحين صنعة تفضل صنعة بعض كبار المغنين ! ..

قال صالح بن الرشيد لاسحاق ضاحكا متأدبا :

- لم يزل دأبك يا أبا محمد انتقاص كبار المغنين ، ولا يلومك من يعرف قدرك فى الصناعة ، فأين هم منك ؟ ! ..

ضربت بالعود وغنيت لحنا لى فى شعر لمحمد بن كناسة كان اسحاق الموصلى معجبا به :

فى انقباض وحشمة فإذا صادقت أهل الوفاء والكرم  
ارسلت نفسى على سجيبتها وقلت ما قلت غير محتشم



فارتج الحاضرون طربا ، وعلى رأسهم صالح بن الرشيد ، ورايته يحملق فى وجهى ، كأنه يقول فى نفسه ما أجمل هذه الجارية ! ..

### ● اليوم الثانى :

أقبل على سهرتنا بعض كبار المطربين وقد تسامعوا بجمال صوتى وإحسانى فى التلحين والضرب بالعود ..  
رأيت المطربين الكبارين مخارقا وعلويه لأول مرة ، وكنت أسمع بهما ويقول لى من يحدثنى عنهما مخارق أجمل المغنين المحترفين صوتا .. ثم علويه ! ..  
وفى بغداد التى يبلغ عدد سكانها ألف ألف نسمة ، لايعرف الناس وجوه المغنين الكبار ، ولا يلتقون بهم ، لأن هؤلاء المغنين الكبار يتحركون فى دائرة القصور فقط .. قصور الخليفة والأمراء والوزراء والكبراء .. إلا أن أسماءهم الشهيرة تملأ أسماع بغداد ..

ويسكن هؤلاء المغنون فى الأحياء الفخمة القريبة من قصور العظماء ، وقد فرض عليهم قربهم من الطبقة العليا فى المدينة ، أن يحجبوا أنفسهم عن العامة ، فلا يعرف العامة إلا عبيدة الطنبورية وهى أحسن المغنيات الطنبوريات صوتا وصناعة ، ولكنها ابتذلت نفسها فى أعراس العامة وسهراتهم ، فصار أجرها لايتعدى دينارين فى الليلة ، فى حين يتقاضى المغنى الكبير ألوف الدنانير ! ..  
وقد أوشكت أنا أن أصير مغنية مغمورة فى بيت من بيوت النخاسين الذين يجمعون فيها المغنيات ويدخلها الناس تظير أجر معين ، ويسمعون الغناء - وهم كثيرون - فى صخب وجهل بأصول السماع وأدابه ! ..

ولكن حظى الطبيب عدل بى إلى بيت سيدى صالح ، فصرت كبيرة الأمل فى أن أصير يوما الى منزلة أكون فيها مساوية أو مقاربة للمغنيات المترفات اللاتى أسمع عما يتمتعن به من مال وجاه ومجد فى قصور الأمراء والكبراء ..

غنيت فى السهرة طويلا ، ومخارق وعلويه يسمعان ، وينظران إلى يدى على أوتار العود ، حتى فرغت من غنائى ، فقال لى مخارق :

- والله .. ما أنت يا جارية بأقل شأننا ممن سمعنا غناهم فى قصر الخليفة وقصور الأمراء والوزراء .. وإنك فوق جودة غنائك لفائقة الحسن .. فما اسمك أيتها الحسنة ؟ !

قال سيدى

- اسمها قلم ! ..

قال علويه :

- فهى إذن قلم الحسنة ! ..

### ● اليوم الثالث :

مات الخليفة « المعتصم » .. وتولى الخلافة ولده « هارون الواثق » .. وهو يحب

الغناء .. وسمعت اسحاق الموصلى منذ قليل يقول : « الواثق أكثر معرفة بالغناء من المعتندين الذين يسمعونهم » ! ..  
وحدثنى سيدى صالح بن عبد الوهاب أن الواثق لما جلس أخيراً بعد مبايعته بالخلافة ، دخل عليه الشاعر على بن الجهم ، فأنشده :

قد فاز ذو الدنيا وذو الدين بدولة الواثق هارون  
وعم بالاحسان من فعله فالناس فى خفض وفى لين  
ما أكثر الداعى له بالبقا وأكثر التالى بأمين

ثم أنشده ابن الجهم أيضا :

وثقت بالملك الواثق

بالله النفوس

مالك يشقى به المال

ولا يشقى الجليس

يابنى العباس يابى الله

إلا أن تسوسوا

فقلت لسيدى :

– ألم ينشده أبو تمام الطائى عظيم الشعراء شيئاً ؟ !

قال :

– الواثق لا يقرب إلى مجلسه إلا صغار الشعراء ، وأظن أن أبا تمام لن ينال منه شيئاً مدة خلافته ، مع أن أبا تمام هو الذى أغرى « المعتصم » بجعله ولياً للعهد ، بمدائح كثيرة مشهورة .. حسبك منها قوله :

فأشدد بهارون الخلافة إنه سكن لوحشتها ودار قرار  
ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

صنعت لحنين جميلين فى الشعر الذى نظم به ابن الجهم ، وجاءت إحدى جوارى صالح بن الرشيد فحفظت اللحنين .. ثم بلغنى أن الواثق لما سمعهما أعجب بهما وسأل عن صاحبهما ، فذكروا له اسمى وحدثوه عنى ..

#### ● اليوم الرابع

غنت إحدى جوارى الواثق لحنى فى شعر محمد بن كناسة : « فى انقباض وحشمة » .. فسأل عن صاحب اللحن فذكرونى له ، فقال :

– أهى « قلم » التى لحننت من قبل فى شعر ابن الجهم ؟

ثم أرسل إلى وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، فأمره بأن يشخصنى إليه مع سيدى صالح بن عبد الوهاب ..

غنيت فى حضرة الواثق فطرب أشد الطرب ، وقال لسيدى

- بكم تتبعها ؟ !

- بمائه ألف دينار وولاية مصر ! ..

فغضب الواثق ، وظننت أنه سيأمر بقتل سيدي ، ولكنه هدا .. وأعرض عنى وعن سيدي ، وأمر فغنى المطرب زيزور الكبير لحنا ، فلما أتمه سأل عن صاحب اللحن ، فقال : قلم ! ..

فرايت الواثق قد تحير ، وتنازعت الرغبة فى شرائى ، والنفقة على سيدي الذى اشتط فى ثمنى حتى اشتطت الولاية على مصر ! .. ونظرت إلى سيدي صالح فوجدته قد قطن الى خطئه وخشى مغبة تطاوله على الخليفة ، فقام بين يديه مطاطنا يقول :

- يا أمير المؤمنين .. أما وقد رغبتم فيها فما يجوز أن املك شيئا لكم فيه رغبة ، وقد أهديتها إلى أمير المؤمنين ، فإن أكبر ما يتناهى إليه أمل هذه الجارية أن أصيرها إليه ، فبارك الله لك يا أمير المؤمنين فيها ! .. وتهدج صوت سيدي فى آخر كلماته هذه كأنه ينتزع روحه من بين جنبيه ، فلم يبال الواثق بحاله هذه التى تدعو للشفقة ، وقال له :

- قد قبلنا الهدية ! ..

ثم التفت إلى ابن الزيات الوزير وقال

- ادفع إليه خمسة آلاف دينار ! ..

فكادت الأرض تميد بى ، فقد أنحط ثمنى من مائه ألف دينار وولاية مصر ، إلى خمسة آلاف دينار ! ..

### ● اليوم الخامس .

تسللت إحدى الجوارى وأخبرتني أن سيدي السابق صالح بن عبد الوهاب يستنجد بى ، لأن الوزير المتعسف ابن الزيات قد مطله بثمنى قلم يعطه دينارا واحدا ، فضاعت منه مائة ألف دينار وولاية مصر .. ثم ضاعت الألف الخمسة المتواضعة من الدنانير ! .. فكأنه أهدانى للخليفة بلا مقابل ، أو باعنى بلا ثمن ! ..

غنيت الخليفة لحنا جميلا فطرب وقال له :

- بارك الله فيك وقيم رباك وعلمك ! ..

قلت :

- ياسيدي ... وما نفع من ربانى منى إلا التعب والغرم على تربيتى ثم الخروج منى صفر اليدين ؟ !

قال متعجبا :

- إنى أمرت له بخمسة آلاف دينار ! ..

قلت

- بلى .. ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئا ! ..

فغضب الواثق ودعا بخادم من خاصة خدمه ، وكتب إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الى سيدى ومعها خمسة آلاف دينار أخرى .  
وأخذ الخادم بيد سيدى الى ابن الزيات ، فجزع الوزير وقال لسيدى :  
- أما الخمسة الآلاف الأولى فخذها فقد حضرت وهذه هى فى متناول يديك ! ..  
وأما الأخرى فأنا أدفعها إليك بعد أسبوع ! ..  
فأخذ الخمسة الأولى ومضى وانتظر الوزير فتناساه كأنه لم يعرفه ! ..  
فبلغنى أن سيدى صالحا لما تجاهله الوزير ومطله بالخمسة الأخرى كتب إليه يقتضيه ، ثم خشى أن يلفق له الوزير تهمة ويدخله فى «التنور» الذى يرمى فيه من يغضب عليهم .. وكان ابن الزيات غليظ القلب ، يقول «الرحمة خور فى الطبيعة» ..  
وبحث الوزير عن سيدى فلم يجده فى أى مكان يعرفه فخاف أن يعود فيشكوه للخليفة ، فأرسل إليه المال المتأخر كله بعد أن عثر رجال الشرطة على سيدى ، واستكتبه الوزير كتابا بقبض المال ! ..  
اهتم الواثق بقصة سيدى اهتماما كبيرا ، لأنه كان مغیظا من وزيره الذى كثرت منه شكاوى الناس ، وبخاصة من رماهم فى «التنور» وعذبهم فيه أشنع عذاب ! ..  
وبعد مدة أرسل لى سيدى من يخبرنى أنه ابتاع بالمال ضيعة طيبة ، جعلها مورد رزقه ، وأقسم ألا يقترب مرة أخرى أبداً من عمل للخليفة أو الوزير أو لأحد من رجال السلطان جميعا .  
وقال لى من أبلغنى رسالته إنه أقسم أيضا إلا يشتري جارية مغنية ولا غير مغنية أبداً بعد الآن ، لكيلا تقع عليها رغبة كبير من الكبراء أو عظيم من العظماء ، فإذا عارض رغبته هذه كان فى ذلك حتفه ! ..  
ودعوت لسيدى الذى ريانى بطول البقاء !

# فهرس

## صفحة

مقدمة .....	٥
<b>يوميات جميلة :</b>	
المغنية الأولى .....	٧
أحزاب الغناء .....	١٥
زينة الجوارى .....	٢١
عندما يطرب عمر بن أبى ربيعة .....	٢٧
<b>يوميات الغريض :</b>	
قتيل الجن .....	٣٥
<b>يوميات سلامة القس :</b>	
أزهد الناس .. وأطرب الناس .....	٤٢
<b>يوميات حبابة :</b>	
للحب وقت وللموت وقت .....	٥١
<b>يوميات أحمد بن اسامة :</b>	
مخترع النصب .....	٥٧
<b>يوميات ابن عائشة :</b>	
الواليد والساقى .....	٦٥
<b>يوميات عطر</b>	
سقوط الفساد .....	٧٣
<b>يوميات عمر الوادى :</b>	
المهندس المغنى .....	٨١
<b>يوميات دحمان :</b>	
المغنى والقاضى .....	٨٩
<b>يوميات الزبير بن دحمان :</b>	
الغناء فى الصحراء .....	٩٧

يوميات ابن جامع :	
مطرب من قریش .....	١٠٥
يوميات اسحاق الموصلى	
ذكریات البرامكة .....	١١٢
يوميات دناتير البرمكية	
غيرة زبيدة .....	١١٩
يوميات دناتير الكناسية :	
جارية الرجل الصالح .....	١٢٧
يوميات مخارق :	
هدية الموصلى إلى البرامكة .....	١٣٥
يوميات عليّة :	
بين الغناء والتسلية .....	١٤٣
يوميات الملكى الصغير :	
المغنى الراوية .....	١٥١
يوميات علوية :	
الضرب باليد اليسرى .....	١٥٨
الشاعر الخنجرى .....	١٦٣
يوميات محمد الزف :	
مسجل الأصوات .....	١٦٩
يوميات عبدالله الربيعى :	
ابن الحاجب والوزير .....	١٧٥
يوميات قلم الحسناء :	
مائة ألف دينار .. وولاية مصر .....	١٨٢

# يوميات المغنين والجـواري

الناشيء  
الجزء الأول

يطلب من دار الهلال  
والمكتبات الشهيرة

# الناشور

رقم الايداع ٨٨ / ٢٠٥١

الترقيم الدولي : ٧ - ٣٤٢ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN



الناشئ

